الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

جامعة محمد بوضياف - المسيلة
Université Mohamed Boudiaf - M'sila

قسم الفلسفة

الموضوع:

البنية الاجتماعية والنفسية للإنسان المعاصر عند إريك فروم

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في الفلسفة

من إعداد الطالبة:

رقية طيايرة

إشراف الدكتور:

الدراجي زروخي

السنة الجامعية: 2016/2015

إهداء

إلى كل من اضاء بعلمه عقل غيره وهدى بالجواب الصحيح حيرة سائليه فأظهر بسماحته تواضع العلماء وبرحابته سماحة العارفين إلى الدكتور زروخي الدرجي

إلى من علمني الصبر إلى الذي كان يضيء الطريق وكان لي سندا وعونا أبي الغالي

إلى التي لم تأل جهدا في تربيتي وتوجيهي أمي الحبيبة

إلى أفراد أسرتي إخوتي وأخواتي

وإلى صديقاتي اللواتي كانوا لي اخوت في الله سمية، فاطمة مكي، فاطمة صياد، نبيلة زهيرة،إلى أخي في الله ناصر خشاب الذي دعمني وغمرني بلطفه الكبير طوال بداية هذا البحث

وإلى كل طلبة قسم الفلسفة دفعة السنة ثانية ماستر وكل أساتذة قسم الفلسفة بجامعة المسيلة

وإلى أولي الألباب.

MY HOUSE ON WEB
http://www.myhouseonweb.eu/

تشكر

الحمد لله الذي بفضله تتم الصالحات أحمده عز وجل وأثني عليه أن وفقني لانجاز هذا العمل، وأُصلي وأُسلم على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم.

أتقدم بخالص شكري الى أستاذي الفاضل الدكتور زروخي الدراجي الذي كان له الفضل الكبير في إخراج هذا العمل فله مني خالص التقدير والامتنان والاحترام.

هذا وأتقدم بشكر الجزيل إلى أساتذة قسم الفلسفة والذين كان لهم دور كبير علينا طول السنة الجامعية وأخص بالذكر الأستاذة بورنان خيرة، الدكتور مقورةجلول،الأستاذ بوزبرة عبد السلام، وكافة أساتذة القسم

ولا يفوتني أن أشكر الأخ ناصر وكل من ساهم في انجاز هذا البحث من قريب أو من بعيد.

مقدمة:

شهد النصف الأول من القرن العشرين تحولات كبيرة على الصعيد الفكري، حاول الإنسان من خلالها خلق مجتمع متحضّر ليتخلص به من إنسان الفطرة، وقد ساد هذا العصر ظاهرتان الأولى طغيان التفكير الصوري المثالي، والثانية التفكير المادي خاصة وأن المجتمع الصناعي المعاصر أصبح يعمل كمنظومة مترابطة العناصر وفق قاعدة إنتاجية تقنية تكرس البحث عن المردودية، ومن هنا وحسب هذا المجتمع انتفت روح المعارضة وابتلع الاختلاف، فقد خلق هذا المجتمع الصناعي احتياجات وهمية للإنسان من خلال الآلة والتقنية ما جعل الفرد يتجه نحو الفكر الاستهلاكي، أين أصبح الصراع صناعي هو عنوان المجتمع المعاصر، أما عن الجانب النفسي لهذا المجتمع فقد تصدّرته مدرسة التحليل النفسي، حيث كان لها دور كبير في قوة تفسير الشخصية وتخليص الإنسان من أمراضه النفسية التي نتجت عن نشاط الغرائز المادية، حيث أحدثت هذه الأخيرة ثورة علمية في مجال الدراسات النفسية بفضل أعمال الطبيب النمساوي سيغموند فرويد بإكتشافه للاشعور، هذا الأخير الذي يتألف من موجهات غريزية قوية تؤثّر في حياة الفكر والعمل و حركة النفس برمتها، أين فتح التحليل النفسي الطريق لفهم الوعي الزائف كما قدم فهما نقديا للمجتمع الرأسمالي الصناعي، والذي أصبح يعاني من الكبت على الرغم من أن النقد الذي وجهه التحليل النفسي للمجتمع كان مقتصرا على القمع الجنسي.

وانتهى التلميذ اليساري لكل من ماركس وفرويد إلى محاولة للتوفيق بين الفرويدية والماركسية، من خلال قراءة البنية الاجتماعية والنفسية للإنسان المعاصر حيث تعد محاولته هذه منعرج هام في أفق الدراسات الاجتماعية والنفسية لإقامة نسق قيمي للإنسان الغربي المعاصر فجاءت قراءته هذه في ظل التطور التقني الرهيب الذي شهده المجتمع الرأسمالي، وقد حاول إريك فروم أن يدرس البنية النفسية للفرد في إطار هذا المجتمع الغربي وقد أكّد على أهمية الفكر الذي جاء به كل من ماركس وفرويد، فكلاهما أراد أن يعلم فهم القوانين التي تتحكم بحياة الفرد والمجتمع، ما يعني الإنسان في وجوده الاجتماعي، وللرجلين محاولتهما في تحرير البشر من قيود التبعيّة ومن القوى المجهولة والتي تتحكم في حياتهم، ومن هنا أخذ فروم على عاتقه مهمة أن يبيّن للبشر طبيعة الكارثة التي توشك أن تُحيق بهم، فالتغير الاجتماعي الراهن له أثره الكبير على شخصية الإنسان فالانتقال من المجتمع الإقطاعي إلى المجتمع الرأسمالي له أثره على الطبائع الفردية كما له أثر على الطبائع الاجتماعية، وأثناء هذه الحركات الانتقالية يكون الإنسان الضحية الوحيدة التي تغرق في متاهات هذه الاديولوجيات، فهل استطاع إريك

فروم من خلال دراسته النقدية أن يجد حلا لازمة الإنسان المعاصر من خلال دراسته للبنية الاجتماعية والنفسية؟

ومن بين أهم الدراسات التي تناولت هذه المشكلة الإنسان المغترب عند إريك فروم لحسن حماد، وأبحاث فيصل عباس وأهمها الفرويدية ونقد الحضارة المعاصرة حيث ناقش في هذه الدراسة أهمية الفكر الفرومي بالنسبة لفرويد، وعلى الرغم من أهمية هذه الدراسات، والتي كانت لها أهمية كبيرة في إنجاز هذا البحث إلا أنها اقتصرت على جانب واحد من فكر فروم؛ فالأول اقتصر على مشكلة الاغتراب والثاني تناول دراسة إريك فروم من زاوية التحليل النفسي، لذلك لجأت إلى الاعتماد على مصادر إريك فروم بالدرجة كبيرة خاصة المجتمع السوي وكذلك الخوف من الحرية والإنسان من أجل ذاته، ثورة الأمل، ماوراء الأوهام والإنسان المستلب وأفاق تحرره وغيرها من المصادر الأخرى التي اعتمدتها، وقد أردت من خلال بحثي هذا أن أتقصّى أهمية البنية الاجتماعية والنفسية ودورهما في تكوين الشخصية السوية من خلال طرح المشكلات التي آل إليها الإنسان المعاصر على الرغم من التطور الذي نشهده في شتى المجالات، وعلى الرغم من التطور في كافة العلوم سواء العلوم التقنية والعلوم الإنسانية والاجتماعية وكذلك النفسية، كل هذا كان من أجل فهم الخلّل الذي بتر المنظومة القيمية، في كافة فروعها خاصة وأننا نشهد تضارب النظريات القيمية وتعددها حتى وإننا لا نكاد نسمع باسم فيلسوف إلا وله نظريته في مجال القيم، فالدراسات الفلسفية المعاصرة متشبعة بالنظريات القيمية، إلا أن الإنسان أصبح تائها بينها ما دفعني للبحث في هذا المجال، كونه اهتم بالإنسان بالدرجة الأولى سواء في الجانب النفسي أم في الجانب الاجتماعي، فمن خلال معرفة التكوين النفسي والاجتماعي قد نستطيع أن نحلّ المشكلة القيمية التي أصبح الإنسان غريبا عنها .

ومن أجل تحقيق هذا الهدف اعتمدت على المنهج التحليلي في دراستي للموضع وذلك عائد إلى طبيعة الموضوع كونه موضوع ثري وله مشكلات متعددة، وقد التزمت خطة تتكون من ثلاثة فصول وفقا للترتيب التالي:

الفصل الأول:الهيكلة الاجتماعية للإنسان المعاصر عند إريك فروم.

أخذ هذا الفصل طابع نقدي لفلسفة اريك فروم حيث حاولت إبراز الجانب النقدي الذي توجه به إريك فروم في دراسته للجانب الاجتماعي من خلال الطرح الماركسي ومحاولته لسدّ الثغرة التي تجاهلها ماركس و من أجل فهم الدراسة الفرومية للجانب الاجتماعي قسمت الفصل إلى ثلاث مباحث تنطوي بدورها على مجموعة من العناصر وهذه المباحث كالتالي:

المبحث الأول: ماهية البنية الاجتماعية عند إريك فروم.

المبحث الثاني: النظرية النقدية للمجتمع.

المبحث الثالث:التغير الاجتماعي وتأثيره على الشخصية.

الفصل الثاني: الهيكلة النفسية للإنسان المعاصر عند إريك فروم.

كذلك في هذا الفصل تطرقت إلى النقد الفرومي الموجه إلى الدراسات النفسية التي قدمها فرويد، كما تطرقت إلى وجهة نظر فروم والحلول التي قدمها للتحليل النفسي وانطوى الفصل على ثلاث مباحث هي كالأتي:

المبحث الأول: ماهية البنية النفسية عند إريك فروم

المبحث الثاني: النظرية النفسية

المبحث الثالث: الأزمة الروحية الحاضرة ونقد الحضارة المعاصرة

الفصل الثالث: دور القيم الإنسانية في بناء الهيكلة النفسية والاجتماعية عند إريك فروم.

في هذا الفصل تطرقت إلى وجهة نظر إريك فروم للجانب القيمي ودوره في هيكلة البنية النفسية والاجتماعية من خلال دمجه للدراسات الاجتماعية والنفسية وكذلك قسمت هذا الفصل إلى ثلاث مباحث:

المبحث الأول: التربية النفسية والاجتماعية للإنسان المعاصر عند إريك فروم.

المبحث الثاني: النزعة الإنسانية عند إريك فروم.

المبحث الثالث: القيم الروحية والأخلاقية ودورها في تكوين الإنسان.

وواجهتني عدة صعوبات أثناء إنجاز هذا البحث وأهمها كثرة المصادر إلا أنّ هذه المصادر وفي أغلب الأحيان كانت تتكلم عن نفس الفكرة فكلها كانت تدور في فلك واحد، كما أن المراجع التي تناولت فكر إريك فروم قليلة جدّا ونادرة، إلا أنني حاولت السيطرة على الموضوع من خلال الخطة المهيكلة وبفضل مساعدة الأستاذ المشرف وتوجيهاته تمكنت من انجاز هذا العمل وإنهائه.

الفصل الأول: الهيكلة الاجتماعية للإنسان المعاصر عند إريك فروم

تفسر البنية الاجتماعية السلوك البشري، وكذلك المتغيرات الاجتماعية، كما تعبر عن الضوابط والقيود التي يمليها الكل على حركة عناصره، وقد درس فروم حركة المجتمع المعاصر في ظل التطور الراهن محاولا أن يفسر تأثير المجتمع على سلوك الفرد، ومن هنا فإنّ فروم حاول أن يدرس تأثير المجتمع على الطبع الإنساني من خلال إحاطته بالجوانب التي يعيش فيها الإنسان في ظل المجتمع المعاصر.

المبحث الأول: ماهية البنية الاجتماعية عند إريك فروم*

أولا: تعريف البنية الاجتماعية (Structure Sociale)

1. مفهوم البنية الاجتماعية

قبل أن نعرف البنية الاجتماعية يجب أولا أن نعرف البنية وتطلق البنية**<< على الكل المؤلف من الظواهر المتضامنة بحيث تكون كل ظاهرة منها تابعة للظواهر الأخرى ومتصلة بها>>**.[1]

فالمقصود بالبنية هو أنها منظومة من العلاقات المتضامنة والقواعد والتراكيب والمبادلات التي تربط بين مختلف الحدود أو حدود المجموعة الواحدة، بحيث تكون متصلة بعضها بالبعض في الظاهرة الواحدة[2].

ويعتبر مفهوم البنية الاجتماعية من المفاهيم الرئيسية في علم الاجتماع، بل ويكاد يحتل المركزية بالنسبة لهذا العلم، ونجد أن **كارل ماركس**(Karl Marx) قد استخدم هذا المصطلح في كتابه **رأس المال** في صياغة البنية التحتية والبنية الفوقية، حيث انطلقت الماركسية بصفة عامة في تعريفها للبنية الاجتماعية من تصور ماركس عن النسق الاجتماعي بوصفه تكوينا اجتماعيا اقتصاديا فتعرف البنية على أنها :**<< مفهوم يشير في أوسع معانيه إلى نظام من علاقات داخلية ثابتة، يحدد السمات**

---

[1] جميل صليبا :المعجم الفلسفي، ج1، مادة البنية، دار الكتاب اللبناني، بيروت 1984، ص217.

[2] روجي غارودي: البنيوية فلسفة موت الإنسان، ترجمة جورج طرابيشي، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، 1969، ص17.

*إريك فروم (Erich fromm)(1900-1980) من نوابغ التحليل النفسي، وسيكولوجيته سيكولوجية إنسانية مدارها الحاجات الاجتماعية والعلاقات بين البشر، صاحب اتجاه إنساني في علم النفس يحاول به التوفيق بين الدينامكية السيكولوجية عند فرويد والتقدمية الاجتماعية عند ماركس. نبيل موسى: موسوعة مشاهير العالم، أعلام علم النفس وأعلام التربية والطب النفسي والتحليل النفسي، ج2، دار الصداقة العربية بيروت، ص264.

الجوهرية لأي كيان، ويتشكل منه كل متكامل لا يمكن اختزاله إلى مجرد حاصل مجموع عناصره>>. [1]

فعلى أساس مفهوم البنية الاجتماعية أصبحت العلوم الاجتماعية تهتم بجمع جوانب الحياة الاجتماعية المختلفة التي لم تكن تدرس من قبل إلا بطريقة غير منهجية، فالبينة الاجتماعية هي نسق اجتماعي أو كل اجتماعي، وهذا الكل له مجموعة من السمات والأدوار، ودراسة النسق الاجتماعي تحتاج إلى دراسة البنى التي يتشكل منها المجتمع، ولا يختلف التعريف الذي أورده الماركسيون عن التعريف الذي قدمه ماركس في كتابه **رأس المال** وفق منهج يعالج الأداء الوظيفي الظاهر للنظام، ثم ينتقل إلى بنيته الداخلية الخفية، وما يسعى إليه ماركس في هذا أن أي نظام هو مركب محدد من أنماط معينة لإنتاج وتبادل وتوزيع السلع المادية، ويلعب نمط الإنتاج وتبادل وتوزيع السلع المادية الدور المسيطر في هذا المركب، ويتكون نمط الإنتاج من بنيتين لا يمكن اختزال الواحدة منها في الأخرى بنية القوة الإنتاجية وبنية علاقة الإنتاج.

2. عناصر البنية الاجتماعية

يشير ماركس إلى ثلاث مستويات داخل تكوين البنية هي **<<الأساس الاقتصادي أو البنية الاقتصادية والبنية الفوقية السياسية والقانونية وثالثا أشكال الوعي الاجتماعي>>.** [2]

إن هذه المستويات تعني أنّ هناك اختزال مزدوج لما يمكن تسميته التواصلية الزمنية بمعنى يقترب من التواصلية الاجتماعية، فمن جهة هناك عملية اختزال لما هو ثابت في العناصر التي توجد في كل بنية اجتماعية، ومن جانب آخر هناك عملية التقسيم إلى مراحل و التي تضع محل الاستمرار التاريخي أو التواصلية التاريخية نوعا من عدم التواصلية متمثلا في تعاقب حالات لبنية ثابتة نسبيا لكنها تتغير بتحولات وإيقاعات سريعة إذ **<<إن حالات البنية من أساليب انتاج وتاريخ المجتمع يمكن اختزاله إلى تعاقب غير متصل لأساليب الإنتاج>>.** [3]

---

[1] نقلا عن: أحمد قصير: منهجية علم الاجتماع بين الماركسية والوظيفية والبنوية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط2، 1985 ص 155.

[2] نفسه، ص170.

[3] نفسه، ص170.

ومعنى ذلك أن مكونات البنية تكمن في مكونات نمط الإنتاج، كما أن تحليل عملية التشكيل التاريخي لبنية ما هو تحليل لظروف نشأة عناصرها الداخلية، والطريقة الخاصة التي ترتبط أو تتواجد بها تلك العناصر، كما يعني ذلك أن تحليل بنية معينة هو في نفس الوقت تحليل لعملية تحلل بنية أخرى، و بهذا تمتزج عملية المعالجة الآنية بالمعالجة التاريخية بحيث يؤدي الفصل بينهما إلى عدم إدراك العملية التاريخية.

ولتحديد العناصر المكونة للبنية وبمعنى آخر لاستخلاص العنصر الثابت المؤثر في تشكل العلاقات الداخلية في البنية حسب ما تصوره ماركس فإنه<< **مهما كان شكل الإنتاج الاجتماعي يظل العمال ووسائل العمل على الدوام هما عناصر هذا الشكل...ولكي يمضي الإنتاج ينبغي أن يتحدا**>>.[1]

وتحقق هذا الاتّحاد هو الذي يميز المراحل الاقتصادية المختلفة لبنية مجتمع عن الآخر، وهو يشير هنا إلى نقطة الانطلاق في فهم مكونات البنية، وهناك عناصر ثابتة تتواجد في البنية الاجتماعية وهي العمل ووسائل العمل وكلاهما متواجد في كل بنية وما يميز بنية عن الأخرى هو العلاقة التي تجمع بين هذين العنصرين وما يتولد عنهما من عناصر أخرى وعلاقات أخرى.

3. الشخصية الاجتماعية:

تعرف الشخصية بالمعنى المجرد على أنها<< **سمة الكائن الذي يكون شخصا معنويا أو شخصا حقوقيا اعتباريا**>> أما بالمعنى الملموس << **فهو إنسان يلفت أنظار المجتمع إليه**>>.[2]

فالمعنى المجرد يشير إلى الفرد بوصفه "أنا" فهي ترمز إلى الحياة العقلية والعاطفية والادراكية والجسمية والارادية من حيث هي وحدة مستمرة، فالذات تدرك نفسها تدريجيا كما هو الحال بالنسبة للطفل، أما عن الجانب الملموس فهو يعني المكانة التي تحتلها الشخصية داخل البيئة الاجتماعية بحكم وظيفته ونفوذه وتأثيره في الأماكن التي يكون فيها، وكذلك السلوك الذي يساعده على التكيف داخل الحيز الاجتماعي الذي ينتمي إليه.

[1] نقلا عن: أحمد القيصر: منهجية علم الاجتماع بين الماركسية والوظيفية والبنيوية، ص 171.

[2] أندري لالاند: الموسوعة الفلسفية، تعريب أحمد خليل، المجلد 1، مادة الشخصية ، منشورات عويدات ببيروت، ط2، 2001، ص961.

والشخصية الاجتماعية عند إريك فروم تطلق على **<<الاندماج بين الدائرة النفسية للفرد والبنية الاجتماعية الاقتصادية>>**[1] وقد أطلق إريك فروم على الشخصية الاجتماعية من قبل مصطلح الشخصية الليبيدية للمجتمع، فهو يسعى إلى دراسة الشخصية الفردية داخل إطارها الاجتماعي أي أعضاء الجماعة التي ينتمي إليها، وهو هنا يسعى إلى إبراز تطور الشخصية نتيجة تجاربها داخل نمط الحياة المشترك للجماعة دون أن يلغي العوامل الذاتية التي تختلف من فرد إلى آخر، مثل التفكير الذي هو فعل مستقل عن النسيج الاجتماعي كما أنه يسعى إلى إبراز كيفية تبادل التفكير داخل الجماعة والذي هو مفتاح الحضارة، فعلى أساس الشخصية الاجتماعية تتطور الأفكار المختلفة وتصبح قوية، فالعمل والنجاح مثلا كهدفين أساسين للحياة قادرين على تكوين إنسان معاصر على أساس الوحدة الاجتماعية التي تنهض بالحضارة الإنسانية .

وهناك عدة عوامل تتشكل في ظلها الشخصية الاجتماعية ومن بينها الأسرة وفي هذا يقول إريك فروم **<< وأن الأسرة يمكن أن تعد الوكالة النفسية للمجتمع أو منشأة تقرب مطالب المجتمع إلى فهم الطفل الناشئ>>**.[2]

فالأسرة تعد النواة الأولى لتكوين الشخصية الاجتماعية، فهي تلعب دورا كبيرا في التربية النفسية للطفل وذلك من خلال التأثير الذي يتركه الوالدان من انطباع في نفسية الناشئ وطبع الآباء طبع ناشئ عن المجتمع، أو بعبارة أخرى يعبر عن روح المجتمع، فهم يسقطون ما يرغب فيه المجتمع على الطفل وبذلك تبدأ فيه الطباع الاجتماعية، فالآباء يمثلون الشخصية الاجتماعية لمجتمع معين فهم ينقلون إلى الطفل روح المجتمع وبهذا يمكن اعتبار الأسرة **<< الوكيل السيكولوجي للمجتمع>>**.[3]

وبالتالي فإن وظيفة الأسرة هي وظيفة نفسية نابعة من روح المجتمع، ودورها الأساسي هو تأهيل الفرد لأداء الدور الذي سيقوم به في المجتمع، فعليها أن تكوّن شخصيته بما يتطابق مع المجتمع وأن تخلق فيه الرغبات التي تتوافق مع دوره الاجتماعي.

---

[1] إريك فروم: الإنسان بين المظهر والجوهر، ترجمة سعد زهران، مراجعة لطفي فطيم سلسلة عالم المعرفة، العدد 140، الكويت، 1978 ص125،126.

[2] إريك فروم: ما وراء الأوهام، ترجمة صلاح حاتم، دار الحوار للنشر والتوزيع، سورية، ط1، 1994، ص87.

[3] إريك فروم: الخوف من الحرية، ترجمة مجاهد عبد المنعم مجاهد، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 1986، ص228.

لقد قدم فروم تحليلا للشخصية الاجتماعية ربطه بالأسرة، لكن هناك حالات خارجة عن نطاق الأسرة بل والمجتمع فهناك شخصيات أعظم من المجتمع الذي ولدت فيه، فعلى حد ما يصف فروم فإن الإنسان كائن اجتماعي لكن في أغلب الأحيان اجتماعية الإنسان تكون مدمرة له.

لقد ربط إريك فروم بين الشخصية الاجتماعية والبنية الاجتماعية في قوله: **<< العلاقة بين الشخصية الاجتماعية والبنية الاجتماعية لا يمكن أن تكون ساكنة أبدا لأن طرفي العلاقة صيرورتان دائمتا التغيير>>**.[1]

وهذا يعني أن أي تغير في الشخصية الاجتماعية يعني بالضرورة تغير داخل البنية الاجتماعية فشخصية الفرد تتطابق تماما بشكل أو بأخر مع الشخصية الاجتماعية، وعليه فإن الدوافع السائدة في شخصيته تفضي به إلى العمل مع ما هو ضروري ومرغوب فيه في ظل الظروف الاجتماعية الخاصة بالبيئة السياسية والاقتصادية المشكلة للبنية الاجتماعية، فالشخصية الاجتماعية كما يراها فروم **<< شكل نوعي فيه تتشكل الطاقة البشرية بالتكيف الدينامي للاحتياجات الإنسانية مع النمط الخاص للوجود لمجتمع معين>>**.[2]

ومنه تتحدد أشكال التكيف والشخصية الاجتماعية بنمط البنية الاجتماعية، فهو يرى أن السلطة الباطنية للشخصية الاجتماعية والمتمثلة في الواجب الاجتماعي والضمير يعملان على نحو يجعل الشخصية الاجتماعية أكثر فعالية في بناء البنية الاجتماعية، فسلطة الضمير والواجب أقوى من السلطة الخارجية وبالضمير يسخر الإنسان طاقته لخدمته وخدمة مجتمعه وتلبية حاجاته، فالإنسان المعاصر بدلا من أن ينساق بالإرغام لخدمة المجتمع أصبح ينساق بفعل الضمير الباطني لأداء واجبه الاجتماعي، وهذا ما يسعى فروم إلى بلوغه من خلال تكوين الشخصية السوية لبناء المجتمع السوي، ولن يكون هذا إلا من خلال احداث تغيير في طبائع البشر من خلال تنمية الوعي وتوسيع دائرة القيم خاصة الروحية منها.

[1] إريك فروم: الإنسان بين المظهر والجوهر، ص126.

[2] إريك فروم: الخوف من الحرية، ص222.

4. اجتماعية الإنسان:

ليس الإنسان مجرد كائن طبيعي بل هو كائن اجتماعي وكذلك هو أثناء نزوعه لتكوين كيان اجتماعي لدى المجتمع البشري انتقل من مرحلة جمع المواد الجاهزة إلى مرحلة انتاج أشياء جديدة **<<فالبناء الاجتماعي والدولة ينشأن كنتيجة للتقدم الحياتي لأفراد محددين ليس كما يظهر في ذاتهم...بل كما في الواقع...كمنتجين ماديين>>**.[1]

فالإنتاج المادي هو الشكل المميّز والمقدّر لنشاط الناس، فهو الذي يشكل كل الأشكال الأخرى للنشاط الفردي ويضفي عليها الطابع الاجتماعي، فالإنتاج بما يتوافق ومتطلبات الإنسان الواقعية يشكل منعطفا تاريخيا هاما،ذلك أن الإنتاج يعد انتقالة بالإنسانية من الوجود في شبه القطيعة أي العزلة إلى الحياة الجماعية الاجتماعية، فالإنسان يبدأ حين ينتج أي حين يضيف شيئا للوجود فمنذ أن بدأ الإنسان بإنتاج وسائل العمل وخرج من حالة الطبيعة اكتسب سمات بيولوجية واجتماعية ونفسية مميزة تشكل في مجهودها طبيعة الإنسان ككائن نوعي.

وفي هذا يقول كارل ماركس:**<<إن الموجود البشري ليس تجريدا باطنيا في الفرد المنعزل، بل هو في صميمه مجموعة من العلاقات الاجتماعية>>**.[2]

فللمجتمع الأثر البالغ على الفرد، فهو إنما يأخذ من المجتمع اللغة والمبادئ الأخلاقية وحتى عواطفه وأهدافه وأفكاره، وهذا ما أثبته صاحب العقد الاجتماعي **جون جاك روسو**(Jean-jacques Rousseau) حين رأى بأنه لو جردنا الإنسان من كل ما أعطاه المجتمع إياه لما بقي منه سوى موجود لايكاد يتميز عن الحيوان، فالجماعةهي قوة لها سطوة ونفوذ بالغين وهي وليدة اتحاد القوى الفردية.

واجتماعية الإنسان حسب **دوركايم** (Emile durkheim)هي التي حررت الفرد من قوى الطبيعة، وخُروج الإنسان من المجتمع حسبه هو خروجه من إنسانيته، فالمجتمع هو خالق الحضارة وحارسها في الآن نفسه، فالعوامل الاجتماعية هي التي عملت على تقديس الشخصية الإنسانية لهذا نجد أن الإنسان في المجتمع هو أسمما في الطبيعة، وعليه ينبغي أن نعيد للإنسان هذه القدوسية داخل اطاره الاجتماعي في ظل هيمنة الآلة التي تسعى إلى سحق الإنسان في المجتمع المعاصر ففي ظل تطور

[1] إريك فروم: مفهوم الإنسان عند ماركس، ترجمة السيد محمود رصاص، دار الحصاد للنشر والتوزيع، سورية، ط1، 1998، ص37.

[2] نقلا عن: زكريا ابراهيم: مشكلة الإنسان، مكتبة مصر، دار مصر للطباعة، ص154.

الإيديولوجيات تراجعت قيمة الإنسان من طرف الإنسان نفسه وكل هذا بسبب تقديس الآلة والتكنولوجيا التي حلت محل الإنسان المعاصر، فقد أصبحت الصناعة بمثابة الدين في المجتمع لذا يقول إريك فروم **<< وللديانة الصناعية أساسها في الشخصية الاجتماعية الجديدة>>**.[1]

وذلك لأن الروابط الإنسانية في المجتمع المعاصر لم تعد بالمقدسة، فقد أصبحت تحكمها المصالح الذاتية وبالتالي نمت فيها العداوات المتبادلة، وأصبح العمل والملكية والربح والسلطة شعار الحضارة ورمز قدسيتها، فقد أصبح هدف الإنسان هو الربح وأداء عمله بكفاءة، حيث اختفت فيه مشاعر المحبة والتسامح والتضامن والتعاون وروح المسؤولية اتجاه الآخر والمستقبل كل هذا من أجل أن تستمر أرباحه ولو على حساب الشخصية الإنسانية وحتى الشخصية الاجتماعية فقد مات في الشخصية إحساسها بالمسؤولية وبالهوية.

فالشخصية المعاصرة ما هي إلا أداة لخدمة العمل فقد انسلخت عن ذاتها فالفرد يقوم بعمله فقط وفقا لما تمليه عليه الآلة، ومنه أصبحت العلاقات الاجتماعية علاقات وهمية فلم يعد الإنسان المعاصر يكترث بالبيئة ولا بالفرد ولا بالمخاطر التي تحدثها الصناعة مثل الكوارث النووية مع علمهم بكل المعلومات التقنية لهذه الصناعة، وكأن الخوف لدى الإنسان المعاصر غير موجود لا على أنفسهم ولا على مصير أبنائهم وأحفادهم، فالعاطفة لدى الإنسان المعاصر ميتة حتى لأ قرب للناس لديهم.

ثانيا: الطبيعة البشرية

1. الطبيعة البشرية عند ماركس

ينطلق إريك فروم في تعريفه للطبيعة البشرية من خلال دراسته لكارل ماركس و **فرويد** (Sigmund Freud)فقد سعى فروم مع **هوركهير**(Max Horkheimer) إلى دراسة الطبيعة البشرية من خلال الجمع بين هاتين الفلسفتين وقد عرف ماركس الطبيعة البشرية بأنها **<< قوة محددة أو بنية شرطية أو المادة الإنسانية الأولى التي لا يستطيع المرء أن يحولها من حيث هي >>**.[2]

[1] إريك فروم: الإنسان بين المظهر والجوهر، ص138.

[2] إريك فروم: ماوراء الأوهام، ص36.

فالطبيعة الإنسانية قابلة للمعرفة والإدراك، فالإنسان بوصفه كائن نستطيع تحديده ليس فقط بيولوجيا أو فسيولوجيا بل كذلك بسيكولوجيا، فجوهر الإنسان ليس متأصل في كل فرد على حدى فالطبيعة البشرية متشبعة من أصول اجتماعية معينة وأوضاع إنتاج محددة وكذلك شروط الإنتاج والتواصل الاجتماعي.

وحسب ماركس فإن الإنسان يتغير عبر التاريخ فهو يطور نفسه ويحولها فالطبيعة الإنسانية هي نتاج التاريخ وبما أن الإنسان يصنع تاريخه إذن فالتاريخ هو تاريخ عملية تحقيق ذات الإنسان **<< إنّ مجمل ما يدعى بالتاريخ العالمي ليس إلا عملية خلق الإنسان بواسطة العمل وعملية انبثاق الطبيعة للإنسان>>.**[1]

فحسبه أن الإنسان هو من يصنع تاريخه من خلال عمله وإنتاجه، وبهذا فالإنسان يمتلك البرهان عن أصله وعن ذاته، فالتاريخ ليس نتيجة حتمية إلهية غير خاصة بإرادة الإنسان بل هو نتيجة نشاط الإنسان، وبما أن الشرط الأساسي لبقاء النظام الاجتماعي وتطوره لا يصبح فعلا إلا بفضل النشاط الإنساني فهو الدور الأساسي في التاريخ، والإنسان لا ينتج فقط من أجل ضمان وجوده ومعاشه وخلق القيم الروحية وحسب، بل كذلك من أجل تغيير البيئة الطبيعية والاجتماعية وأثناء تغييره للبيئة الطبيعية والاجتماعية فإنما هو يغير ويطور طبيعته المادية والروحية أي الطبيعة الإنسانية.

فبقدر ما يتطور الإنتاج بقدر ما يتقدم أو يتحضر المجتمع ويزداد تأثير الإنسان في العملية الاجتماعية ومنه فإن التطور في قوى الإنتاج هو المعيار للتقدم الاجتماعي، ومنه لا ينبغي أن نحكم على حقبة تاريخية من خلال وعيها فالوعي الاجتماعي للبشر أي الأفكار العلمية تتحدد تبعا لوجودها الاجتماعي، كما تمثل انعكاسا لهذا الوجود ومنه تتحدد الطبيعة البشرية.

2. طبيعة الإنسان عند إريك فروم:

لقد تجاوز إريك فروم هذا الطرح الذي من خلاله حاول أن يؤسس لما يعرف بعلم الإنسان باعتباره يتناول معطيات التاريخ وعلم الاجتماع وكذلك علم النفس وعلم الأساطير و الفسيولوجية والاقتصاد والفن

[1] إريك فروم: مفهوم الإنسان عند ماركس، ص45.

على أساس أن لها صلة بفهم الإنسان فإريك فروم يرى أن **<<كل فرد يحمل كل إنسانية داخل نفسه>>**.[1]

فالإنسان سواء أكان صالح أو سيء محب أو مدمر على حد تعبير فروم يمكن خداعه ببساطة أو حتى أنه مستقل بذاته فكل هذه الصفات يمكن أن يحملها الإنسان بداخله، فلا شيء غريب عن الإنسان سواء أكان قديسا أو مجرما، لذا نجد بأن فروم يسعى للوصول إلى حقيقة مغايرة عن هذا الطرح؛ فكيف يمكن لنا أن نكون مختلفين ومع هذا نكون إنسانيين وقد سعى إريك فروم في كتابه "**ثورة الأمل**" إلى بلوغ الإنسان الإنساني من خلال الظروف الخاصة بالوجود الإنساني وكيف يمكن أن نجعل هذه الظروف أو الأحوال للوجود الإنساني من خلال الظرفان، الأول نقصان النزعة الحتمية الغريزية كلما ازددنا رقيا في التطور الحيواني بالوصول إلى أدنى نقطة في الإنسان، والذي فيه النهاية الصفر في سلم الميزان، أما الثاني فهي الزيادة الهائلة في حجم وتعقيد المخ بالمقارنة بوزن الجسم وهو أساس الوعي والتخيل[2].

أما عن الظرف الأول فيحاول فروم أن يبين أن الإنسان على غرار الحيوان يمكنه التحكم في غرائزه وتوجيهها بشكل إيجابي، ويرى فروم أن الإنسان يراوده شعور بعدم الأمان وهذا الشعور يقاوم بالوعي وبذلك يجب على الإنسان أن يتجاوز نزوات الطبيعة بقوة اتخاذ القرار والمسؤولية وإن أهم خطر يحدق بالإنسان ليس الموت بل الجنون أي فقدان العقل وغياب الحب كقيمة إنسانية، وبصفة أهم العمل الذي يحدد إنسانية الإنسان داخل النظام الاجتماعي، وبإمكان الإنسان أن يحيا حياة سعيدة داخل المجتمع بالعمل وبإمكانه أن يعمل أي عمل، فالإنسانية لا تتحقق من خلال العيش الرغد بل من خلال القيمة التي يعطيه المجتمع أيها من خلال الحب والتقدير أيا كان العمل الذي يقوم به في هذا المجتمع لذا نجد أن الظرف الثاني مرتبط أشد الارتباط بالظرف الأول، فالوعي هو الذي يهذب الغرائز الإنسانية فبإمكان المجتمع أن يحول الإنسان إلى كائن متمرد إذا عوامل كآلة بدون احترام.

[1] إريك فروم: ثورة الأمل نحوى تكنولوجيا مؤنسنة، ترجمة مجاهد عبد المنعم مجاهد، مكتبة دار الكلمة للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 2010 ص99.

[2] نفسه، ص101.

ثالثا: الفاعلية الذاتية للإنسان

1. الإنسانية الماركسية:

الفاعلية الذاتية للإنسان من وجهة نظر اجتماعية ماركسية تكمن في إدارك الذات لذاتها وإدراكها للعالم، من حولها وتدمير موضوعية العالم الباردة، ففهم العالم لا يتم إلا من خلال اتصال الذات بالعالم وهنا يعتبر ماركس العاطفة هي الطاقة المحركة للإنسان فهو يرى أنها **<< القوة الجوهرية للإنسان التي تندفع بقوة إلى موضوعها>>**.[1]

فالفاعلية الذاتية للإنسان حسب ماركس يمكن استيعابها من خلال فهم فكرة العلاقة بين الذات والموضوع، فكل إحساسات الإنسان التي هي موجودة داخل الطبيعة البشرية تتكون في الأشياء الموجودة خارج الذات، فتواصل الإنسان مع العالم الخارجي الموضوعي كفيل بأن يجعل العالم الخارجي واقعيا بالنسبة للذات.

والعلاقة بين الذات والعالم الموضوعي عند ماركس هي الحياة المنتجة **<<إنها الحياة الخالقة للحياة ففي نمط الفاعلية الحياتية، تستقر السمة الكلية لنوع ما سمته النوعية كما أن الفاعلية الذاتية الواعية الحرة هي السمة النوعية للكائنات الإنسانية>>**.[2]

فالسمة النوعية للإنسان في نظر ماركس سمة كونية، إنها الإنتاج عن طريق العمل، وهذا ما تثبته المجتمعات الصناعية، فالعمل هو الذي أوجد الإنسان وطور له قواه فبفضل العمل ارتقت اليد الإنسانية، فالسمة النوعية للإنسان طورت التقنية والعلم ففي عملية العمل دفع البشر قواهم الإنتاجية خلال العصور التاريخية إلى المستوى المعاصر وبها أوجدوا الثقافة المادية والروحية أي الحضارة الإنسانية وهو ما يميز الإنسان عن الطبيعة فالناس هم من يصنعون تاريخهم أما الطبيعة فهي موجودة بشكل مسبق، إن الإنسان بإنتاجه العملي لعالم موضوعي وصياغة الطبيعة غير العضوي يقدم براهينه بصفته كائنا نوعيا شاملا واعيا أي بصفته كائنا يتصرف إزاء النوع تصرفه ازاء جوهره هو ذاته، ولا يختلف اثنان في أن الحيوان هو الآخر ينتج لكنه ينتج فقط ما يحتاج إليه مباشرة في حين أن الإنسان ينتج بصورة شاملة أما الحيوان فينتج في حالة سيطرة الحاجة الفورية المباشرة على خلاف الإنسان الذي ينتج وهو متحرر

[1] إريك فروم: مفهوم الإنسان عند ماركس، ص48.

[2] نفسه، ص51.

من الحاجات الجسدية، وهو لا ينتج إلا إذا تحرر من هذه الحاجات، فالإنسان يكون ذاته وهو نفسه نتاج متغير لعمله وقادر على أن يتطور عبره فهو يتميز عن جميع الأنواع الأخرى بنشاطه الواعي والهادف هذا ما ذهب إليه ماركس.

ونجد أن إريك فروم قد حاول أن يهذب العمل داخل المجتمع الغربي المعاصر خاصة منها الولايات المتحدة فقد أصبح الإنسان فيها عبدا للآلة، كما انتشرت في أوساط المجتمعات الغربية فكرة الطبقية والنظرة الدونية للآخر على أساس فكرة الرجل الأبيض فهم يضعون في الحسبان كيفية توزيع المناصب فالأعمال المضرة بالصحة مثلا و الأعمال القذرة كما يصفها فروم ينجزها بشكل رئيسي الطبقات الدنيا من الشعب مثل العمال السود، وفي أوربا ينجزها الإيطاليين والإسبان، أو الأتراك والعمال الوافدين يقول فروم: **<< اليوم اتضحت إحدى سمات العمل غير السارة... وإنه من أجل تحفيز العامل على العمل في كل الأحوال فقد احتاج إجمالا إلى التهديد بالجوع>>**.[1]

فمن أجل أن يؤدي الإنسان عمله في كل الأحوال الصعبة منه أو المرضية ومن أجل جعله يعمل أفضل وينتج أكثر؛ لا بد من تجويعه أو حتى مكافأته بأجور أعلى ويوم عمل قصير، والمشكلة التي يسعى إريك فروم إلى حلها من خلال هذا الطرح ليست مشكلة تقاضي الأجور بشكل مناسب أو الاتفاق بين العمال وأرباب العمل حول الأجور ومدة العمل طوال اليوم، وإنما يرغب فروم في تحسين نوعية سيرورة العمل بحيث يصبح فيه العمل أكثر متعة وأكثر تحقيقا للإنسانية الإنسان، وإلغاء الاحتقار للعامل أيا كانت مكانته الاجتماعية، فالعمل بالنسبة للإنسان لا يقتصر عن كونه ضرورة لا غنى للإنسان عنها فالعمل يحرر الإنسان ويكون شخصيته الاجتماعية المستقلة بذاتها، يقول فروم: **<< في سيرورة العمل أي سبك الطبيعة التي هي خارج نفسه وتحويلها فإنه يسبك نفسه ويحولها >>**.[2]

بمعنى أن الإنسان يجب أن يعيش على وفاق مع الطبيعة التي هي خارجة عن ذاته، وذلك بفضل ملكاته العقلية فهو خارج ومنفصل عنها، وهو من باستطاعته توحيد ذاته معها بوصفه كائن عاقل له القدرة على الإبداع فيها والمساهمة في صناعتها وتسيرها بفضل عمله وبعمله يضفي عليها الصبغة الجمالية ويكون ذاته الفردية، وبهذا فإن العمل هو عبارة عن ضرورة طبيعية للوجود البشري، فهو يمتلك ماهو موجود في الطبيعة ويحقق بهذا الامتلاك تطور مكانته وجوهره الاجتماعي، لذلك فالإنسان حين ينتج

[1] إريك فروم: مساهمة في علوم الإنسان، ترجمة محمد حبيب، دار الحوار للنشر والتوزيع، سورية، ط1، 2013، ص43.

[2] إريك فروم: المجتمع السوي، ترجمة محمود منقذ الهاشمي، مطبعة لجنة التأليف والترجمة و النشر، ط1، 2009، ص294.

علاقاته الاجتماعية مع الناس الآخرين فهو لا يمتلك الطبيعة كوسيلة لحاجاته الخاصة، بل كشرط ضروري لحياته الاجتماعية وتظهر بذلك وحدة الإنسان الاجتماعية مع الطبيعة أثناء عملية العمل كامتلاك للطبيعة وكشرط للإنتاج.

إن الإنتاج من حيث جوهره هو عملية اجتماعية، وهذا ما يحدد الطبيعة الاجتماعية للإنسان، إن هذه العلاقات الإنسانية تعد شرطاً ضرورياً لوجود الإنسان الاجتماعي والتي تتحقق عن طريق أنسنة الظروف المحيطة به، هذه العلاقة تعتبر مرحلة هامة لوجود الحضارة الإنسانية، إن هذا التصور يكشف عن الجوهر الاجتماعي لوحدة الإنسان والطبيعة الكامنة في الإنتاج الاجتماعي بفضل الوعي الإنساني تغدو الطبيعة من نتاج الإنسان ولذلك فإن موضوع العمل يعد حجر الأساس في حياة الإنسان.

2. الكينونة الإنسانية:

تتعلق الكينونة بالتجربة الإنسانية لذا يقول فروم عنها<< **الشروط الأساسية لنمط الكينونة هي الاستقلالية والحرية وحضور العقل النقدي والسمة الأساسية لنموذج الكينونة هي أن يكون الإنسان نشيطا ايجابيا فاعلا.... لا بمعنى النشاط الظاهري**>>.[1]

ويقصد إريك فروم هنا توجيه الطاقة الإنسانية توجيه إيجابي مثمر وأن يكون الإنسان قادر على تسخير كل مواهبه وملكاته نحو النمو وتجاوز قصور الذات وعزلتها، فإريك فروم يرى أن أغلب الناس لا يرون إلا أسلوب التملك باعتباره الأسلوب الأكثر تعبيرا عن طبيعة الوجود، ففي أسلوب الكينونة يعمل الإنسان فكره في المشكلات التي سيعالجها فالإنسان في أسلوب الكينونة مستقبل ايجابي، فكل ما يستقبله ينشط فيه العملية الفكرية ويثير فيه أفكار نحو آفاق جديدة وهو منصت حي، فأسلوب الكينونة يحفز نحو التغير الخلاق، لذا يشترط فيه حضور العقل النقدي كمتلقي للأفكار، فهو لا يذعن للأفكار الجوفاء بل يغربلها بعقله النقدي واستقلالية آرائه وأفكاره، وهذا كله يعني أن التفكير الإنساني في أسلوب الكينونة ذو فاعلية إيجابية أو سلبية.

أ-الفاعلية الإيجابية أو" الايجابية الفاعلية":تعرف الإيجابية الفاعلية بالمعنى الحديث بأنها<<**صفة السلوك الذي تبذل فيه طاقة ويترتب عليه أثر مرئي**>>[2] بما أن الكينونة تنتفي بالسلبية فإن كلمة

[1] إريك فروم: الإنسان بين المظهر والجوهر، ص80.

[2] نفسه، ص82.

فاعل تعني منتج أو ما يقدمه الإنسان بصفة إيجابية ومفيدة للمجتمع، وتتطلب الفاعلية الإيجابية الإنسانية التركيز والاهتمام فينبغي على كل إنسان داخل إطاره وتوجهه أن يقدم بإيجاب، فالإنسان يعمل بغية إصلاح الطبيعة وإصلاح المجتمع، فبإمكان الإنسان أن ينمي قدراته ومواهبه في ظل الحرية فالإنسان هو خالق ذاته وصانع قدراته، فهو القادر على قلب كل العلاقات الاجتماعية وتصحيحها، فهو يعمل من أجل غاية سامية لا من أجل منفعة فردية وحسب، وبذلك يصنع من ذاته إنسان واقعي له ضميره ووعيه بحقوقه وكذلك له أيضاً احترامه لشخصه.

ب–الفاعلية السلبية: <<تهتم فقط بالسلوك وليس بالشخص من وراء هذا السلوك>>[1]وهذا يعني أنه لا فرق بين شخص يعمل تحت ضغط سيده أو شخص يعمل خوفا من القهر والجوع أو حق شخص مهتم بعمله وأداءه ما يهم هنا هو الإنتاج لا غير فيدخل بذلك الإنسان حيز الاغتراب واللااغتراب.

المبحث الثاني: النظرية النقدية للمجتمع

أولا: النقد الماركسي للاقتصاد السياسي:

1. الاغتراب الاقتصادي الماركسي

أ– مفهوم الاغتراب(Aliénation): تحمل هذه الكلمة تعريف عيني لفظي **<< هو الذي لا يمتلك ذاته>>**.[2]

فيمكن أن ينتمي الفرد إلى شخص آخر، وهو يدل على الآخر وهو يشير بذلك لشخص أصبح بفعل ظروف خارجية اقتصادية أو دينية أو سياسية عبد للأشياء، ويعامل هو نفسه كشيء، فالاغتراب هو أن يضيّع الإنسان شخصيته الأولى ويفقد استقلاله الذاتي.

والاغتراب عند ماركس هو**<<أن الإنسان يغترب عن نتاج عمله، عن نشاط حياته، عن وجوده كنوع، اغتراب الإنسان عن الإنسان...ويتحقق اغتراب الإنسان وفي الواقع كل علاقة يقف**

[1] إريك فروم: الإنسان بين المظهر والجوهر، ص82.

[2] أندري لالاند: الموسوعة الفلسفية،المجلد1، مادة الاغتراب ص43.

فيها الإنسان أمام نفسه بالدرجة الاولى ويجد تعبيرا عنه في العلاقة التي تقوم بين الإنسان وغيره من الناس.>>.[1]

وكأن العالم أو الأشياء ضد الإنسان، ونجد أن ماركس قد أخذ المنهج عن هيجل في هذه النقطة بالذات وأعاد طرحه للموضوع من خلال تجريد فكرة هيجل وجعلها واقعية حقيقية بدت مغايرة لما جاء به هيجل، وقد فسر ماركس الاغتراب من خلال التناقضات القائمة بين الإنسان وذاته وبينه وبين عمله وكذلك مجتمعه، ورأى أن العامل المادي هو الذي يفسر ظاهرة الاغتراب بأشكالها المختلفة فالاغتراب بمثابة بنية تحتية تقوم عليها بنى فوقيه وهي مرتبطة بالوعي المادي، وعلى هذا فإن الاغتراب معناه أن وعي الإنسان يصبح ضحية لعلاقات الإنتاج المادية في المجتمع الرأسمالي.

وتتمثل خطورة الاغتراب حسب ماركس في اغتراب الإنسان عن عمله، وفي الوقت نفسه اغترابه عن ذاته، فالعمل عند ماركس وسيط يستخدمه الإنسان لتحقيق ذاته وتنمية ملكاته الإنسانية ويشير اغتراب الإنسان عن ذاته عند ماركس إلى معنيين.

أ- **المعنى الأول:** أنّ عمل الإنسان هو حياته، وأنّ إنتاجه هو حياته في شكل متموضع ومن ثم فإنه عندما يغترب عنه فإن ذاته تغترب عنه أيضا.

ب-**المعنى الثاني:** يشير إلى انفصال الإنسان عن حياته الإنسانية الحقيقية وبهذا المعنى فإن ماركس يقصد بالاغتراب عن الذات الفقدان الكلي للإنسانية.

وحسب ماركس فإنه لن يتم القضاء على الاغتراب إلا بالاشتراكية التي تسعى إلى تحرير الإنسان وليس ملكية وسائل الإنتاج إلا وسيلة لقهر الاغتراب وتحطيم صنميّة المال والملكية الفردية ليتحول العمل في المجتمع الاشتراكي إلى عمل مبدع.[2]

والتعريف الذي قدمه إريك فروم نفسه للاغتراب لا يختلف كثيرا عن ما جاء به ماركس خاصة في فكرة اغتراب الإنسان عن ذاته، لكن ما يحسب لإريك فروم أنه لم يتجاهل الذات الإنسانية كذات متدينة مثلما فعل ماركس الذي جعل من الذات الإنسانية مرتبطة كل الارتباط بالعمل عليها أن تتحرر

[1] كارل ماركس: مخطوطات عام 1844الاقتصادية والفلسفية، المخطوط الأول،النقطة الرابعة العمل المغترب، ترجمة محمد مستجير مصطفى، ص45.

[2] جمال تالي نور الدين تاوريريت: الاغتراب من الفكر الفلسفي إلى ما بعد الحداثة محاولة لتحليل مفهوم الاغتراب وأزمة الإنسان المعاصر، مجلة الحكمة، العدد 16، الجزائر، 2013، ص197.

من سلطة العمل وعليه يعرف فروم الاغتراب على أنه **<< نمط الخبرة الذي يخبر به الشخص أنه غريب، ويمكننا القول أنه أصبح غريبا عن نفسه، أنه لم يعد يعيش لنفسه كمركز لعالمه وكخالق لأفعاله بل أن أفعاله ونتائجها تصبح سادته الذين يطيعهم أو الذين حتى يعبدهم>>**.[1]

فهنا يشير إريك فروم إلى اغتراب الإنسان عن ذاته ويطبقها هو على باقي المشكلات الاجتماعية كاغتراب الإنسان عن العمل وعن الآخرين، وجوهر الاغتراب عند فروم يكمن في عبادة ما يصنعه الإنسان بيده من أشياء ثم يركع لها، بمعنى آخر يصبح الشيء مقدسا على إنسانية الإنسان بل وأثمن منه، فيعبدها على الرغم من أنه صانعها، والأصنام الحديثة كما يراها فروم تأخذ عدة أوجه يمكن أن تتجسد في الدولة أو النظام السياسي أو الزعيم أو حتى اللغة والنجاح وكذلك الممتلكات، فالكثير من الأشياء يمكن أن يقدم الإنسان المعاصر نفسه لها قربانا على حد تعبير فروم، وإريك فروم هنا لا ينفي وجود الإله كما فعل ماركس فهو يرى أن أولى مسببات الاغتراب هي انفصال الإنسان عن الله والتعلق بالخطيئة وارتكاب المعاصي.

مع أن فروم يعترف بفضل ماركس ويدين له بصورة مباشرة فيما يتعلق بالاغتراب وهذا من خلال تقديمه لمخطوطات ماركس للمجتمع الأمريكي تحت عنوان **"مفهوم ماركس للإنسان"** وقد استقى كذلك من الكتابات اللاهوتية الأولى.

ويرى إريك فروم أنه تم فهم ماركس أو الفكر الماركسي فهما خاطئا حتى بين الاشتراكيين، فهم يرون أن ماركس قد اهتم بالجوانب الاقتصادية على حساب الجوانب الإنسانية، ولكن ماركس اهتم بتحرير الإنسان من العمل الذي يحطم فرديته ويحوله إلى شيء ويجعله عبدا.

دون أن نتجاهل أن فروم رأى بأن ماركس اهتم بالحل الاقتصادي للاغتراب وتناسى الجانب النفسي، فهو يرى أنها حالة نفسية بامتياز وترتبط بالعمق السيكولوجي للفرد، وقد انتفع فروم من ماركس حيث تطرق هذا الأخير إلى فكرة التّشيّؤ، فقد عمق فروم نظريته الاجتماعية من خلال النهج الماركسي.

أما عن فروم فهو يرى أن الاغتراب عائد إلى عوامل نفسية وعوامل اجتماعيه، وقد ربطه فروم بخبراته ومعالجاته السريرية، منطلقا من نقطة مركزية هي الترابط الجدلي بين الإنسان ومحيطه ربط فروم كل هذا بتوجه أخلاقي ونفسي لا هو وليد صراع اقتصادي ولا هو نتاج صراع جنسي بل هو نتاج أمور وجودية،شخصية الطابع اجتماعية المنشأ، وبالتالي وضعها في إطارها الإنساني الأوسع ،ومن هذا المنطلق حاول فروم أن يعيد للإنسان إنسانيته من خلال القيم الروحية والقيم الاجتماعية، فهو يرى أن غياب

[1] إريك فروم: المجتمع السوي، ص232.

منظومة القيم عن الإنسان سواء الدينية أو قيم الحب والتعاون والتكافل الاجتماعي والفوارق الطبقية هي سبب اغتراب الإنسان عن نفسه وعن الآخرين، ونجد أن النقطة الأساسية التي يخالف فيها فروم ماركس هي فكرة الدين حيث أن ماركس يرى أن الدين ما هو إلا سبب يتجاوز به الإنسان واقعه، في حين أن فروم يرى أن الحل الأساسي للخروج من الاغتراب هو العودة إلى الدين من حيث هو قيمة روحية تخلص الإنسان من وثنية الآلة.

2-الصنمية عند إريك فروم:

يرى إريك فروم أن المجتمع المعاصر يعيش صنمية(idole) جماعية ومن أشكال الصنمية الجماعية نجد **<< عبادة القوى والنجاح وسلطة السوق وبجانب هذه الأنماط من الصنمية الجماعية نجد أشكالاً أخرى من العبادات الفردية الصنمية كعبادة الأسلاف والطوماطية والفتشية>>.**[1]

فبالرغم مما وصل إليه المجتمع المعاصر من سيادة على الطبيعة، إلى أنه قد تحول إلى عبد للصناعة والإنتاج، وبالتالي فقد السّيطرة على الذات الفردية وحتى الاجتماعية التي هو صانعها، فالشبح الذي يخشاه الإنسان المعاصر هو البطالة والتهديد النووي المدمر، فعلى رغم من أنه صانعه إلا أنه أصبح مهدّد من قبله يقول إريك فروم**<< هذا العالم الذي هو من صنع الإنسان قد أصبح سيده وأمامه ينحني والذي يحاول أن يسترضيه او يستغله على افضل نحو، إن عمل يده قد أصبح عمل إلهه، يبدوا أنه مساق بالمصلحة الذاتية، لكن نفسه الكلية بكل إمكانياتها العينية قد أصبحت في الواقع أداة لأغراض الآلة نفسها التي شيدها، إنه يبقى على وهم أنه مركز العالم، ومع ذلك فهو محاصر بشعور مضاعف باللاجدوى والعجز>>.**[2]

وبهذا يصبح الإنسان مغتربا لا عن الماديات وحسب، بل في كل صور التأليه سواء في العمل أو داخل السلطات السياسية والدينية والحياة الاجتماعية وحتى في ذاته، فلم يعد يمتلك الرأي في التفكير وفي الكلام فالتفكير الإنساني للفرد في المجتمع المعاصر تحول إلى طاعة لوثن خارج عنه، وهو يرى فيهم أنهم من يعبر عن فكره لكنه من يتبنى أفكارهم على أنها أفكاره، فهو من اختار من يعبد سواء سلطة أو مال أو معارف وأراء وبهذا يصبح هو ذاته تابع للأوثان وعاجز على أن يكف عن عبادته لها، لأنه تخلى عن قدراته في التفكير وبهذا تضيع هويته فهو من خلق لنفسه هذه الأقاليم فيصبح عديم المسؤولية ولا يبالي بالحياة

[1] حسن حماد: الإنسان المغترب عند إريك فروم، مكتبة دار الكلمة، القاهرة، 2005، ص201.

[2] إريك فروم: الخوف من الحرية، ص100.

يقول إريك فروم **<<إن الإنسان الحديث إنسان المجتمع الصناعي غير صورة عبادة الأصنام وشدتها لقد أصبح موضوع قوى اقتصادية عمياء تتحكم بحياته فهو يقدس عمل يدّيه ويتحول هو نفسه إلى شيء>>**.[1]

أي أن الإنسان في ظل التطورات العلمية التي توصل إليها المجتمع المعاصر أصبح يقدس الصناعة على نفسه، حيث أصبحت هي أثمن منه على الرغم من أنه صانعها، كما أصبحت القوى الاقتصادية والسياسية تتحكم فيه فغاب عنه الوعي والإرادة وانفصلت ذاته عنه فلم يعد ذاتا مستقلة بل ذات تابعة للصناعة، فأصبح يعبد الأصنام التي هيكلها بنفسه، وقد فَقَدَ هذا الإنسان استقلاليته وذاته وأصبح مسلوبا فهو يعبد القوى، السيطرة، المال والسلطة والزعيم والقوى المختلفة.

3. توجيه فروم للفكر الماركسي "الرأسمالية البرجوازية":

ينطلق النقد الماركسي للاقتصاد السياسي من نقد الفكر الرأسمالي البرجوازي فهو يرى أن الاشتراكية لا يمكن أن تنهض إلا إذا انهارت الرأسمالية البرجوازية فهو يرى أن الطبقة البرجوازية ثارت على النظام الاقتصادي فحطمته وبَنَتْ على أنقاضه نظاما مستندا إلى الحرية الاقتصادية وأصبح للنقود فيه السلطة العليا، يقول ماركس**<< وتحت مظهر الاعتراف بالإنسان لم يعد الاقتصاد السياسي حقا –ومبدؤه هو العمل– أكثر من التحقق المنسق لإنكار الإنسان، لأن الإنسان ذاته لم يعد يقف في علاقة خارجية من التوتر مع الجوهر الخارجي للملكية الخاصة بل أصبح هو ذاته الماهية المتوترة للملكية الخاصة>>**[2].

فماركس يرى أن هناك طبقة كادحة يتزايد عددها، فالبرجوازية تقوم على الأنانية وذلك باستقلال جهود الطبقة الكادحة.

فالبرجوازية حسب كارل ماركس تناقض الطبيعة الإنسانية أو طبيعة المجتمع الإنساني، فوظيفة الدولة هنا أي في المجتمع البرجوازي تهتم بحماية مصالح الطبقة المسيطرة، وهي تقمع العامل وتجبره على الخضوع خاصة الطبقات المضطهدة والتي تجبرهم على الخضوع للطبقة الاحتكارية لوسائل الإنتاج وأصحاب رؤوس الأموال وأرباب العمل، وحسب ماركس الاقتصاد السياسي لهذه الحكومات رجعي فهم يزعمون إعطاء

[1] إريك فروم: ماوراء الأوهام، ص63،64.

[2] كارل ماركس: مخطوطات عام 1844الاقتصادية والفلسفية، المخطوط الثالث، الملكية الخاصة والعمل، ص54.

الحرية للناس والديمقراطية ففي الانتخابات مثلا نجد أن حق الانتخاب لا يكون متساوي مع ما تعلنه دساتير البلدان الرأسمالية وهو مجرد حق شكلي إذ بواسطة العديد من التصنيفات والشروط**<< لا يسمح لجزء هام من الشعب أن يساهم في الانتخابات ومن ثم فإن الانتخابات لا يجمعها جامع بالديمقراطية ...ونتيجة كل هذا ينتخب ذلك البرلمان الذي يريح أقطاب المال>>**.[1]

وبالتالي فإن كل أعضاء البرلمانات السياسية هم من أصحاب رؤوس الأموال مع أن الطبقة العاملة في أغلب الدول الرأسمالية تشكل نصف المجتمع، فالنظام الرأسمالي نظام اضطهادي من قبل جماعة صغيرة نسبيا من المستغلين وهو حسب ماركس سيظل نظام يسوده الفقر والبطالة.

ونجد فروم كذلك يتوجه بنقده للمجتمع الرأسمالي، إلا أنه ينتقد أيضا الاشتراكية فهو يرى أن الاشتراكية كما طُبقت فشلت في تحقيق ما كان مرجوا منها، فعلى سبيل المثال النظام الذي أنشأه ستالين قد جاء مخيبا للآمال لينين Lenin و تروتسكي Trotsky وماركس في أن تؤدي الثورة في النهاية إلى سيادة المجتمع بالفرد، كذلك أقام الزعماء الشيوعيون في الصين إنجازاتهم عن طريق مربح من القهر وعبادة الشخصية والتلقين مخالفين بذلك ما نادى به ماركس في أن يقوم المجتمع على الحرية والتفرد.

وتتجلى خطورة موقف فروم النقدي للمجتمع المعاصر في أنه لا يفرق بشكل موضوعي بين النظامين الاشتراكي والرأسمالي بل يرى أن التضحية بالإنسان من أجل الإنتاج وإحالة الإنسان إلى شيء هو ما يميز المجتمع المعاصر بشقيه الرأسمالي والاشتراكي، وفي هذا يقول فروم: **<< إنّ الولايات المتحدة مثل باقي الغرب ومثل روسيا قد قبلت الروح المادية التي في ظلها يصبح كل من الإنتاج و الاستهلاك غاية في ذاته، بدلا من أن يكون وسيلة لما هو أكثر إنسانية وللحياة الخلاقة>>**.[2]

ولا يقف إريك فروم عند هذا الحد، فهو يذهب إلى حد القول بأن التمايز الطبقي وتفاوت الاجتماعي قد أصبح في الدول الاشتراكية أشدّ منها في الدول الرأسمالية، والملاحظ أنّ الموقف النقدي لفروم من المجتمعات الاشتراكية يتفق في جانب كبير مع موقف معاصره **هربرت ماركيوز** (Herbert Marcuse) في هذا الجانب، فماركيوز ينتقد التجربة الاشتراكية في روسيا باعتبارها أهم التجارب الاشتراكية رسوخا وبوصفها القوة الكبرى المواجهة للرأسمالية كما تتمثل في الولايات المتحدة

[1] أفانا سيف: أُسس الفلسفة الماركسية، ترجمة عبد الرزاق الصافي، دار الغرابي، بيروت، ط3، 1978، ص262.

[2] حسن حماد: الإنسان المغترب عند إريك فروم، ص176.

الأمريكية << **و ماركيوز مثل فروم يصرح بأنّه لا ينتقد الماركسية كنظرية ولكن كتطبيق وكتجربة>>**.[1]

فهو يرى أن التطبيق السوفيتي للماركسية قد أدى إلى الإساءة للفكر الماركسي، فالنظام السوفيتي أخذ يتباعد شيئا فشيئا عن التعاليم الماركسية حتى أصبح المجتمع الروسي الآن لا يختلف إطلاقا عن المجتمعات الرأسمالية.

وما ينادى به هو الأخوة والمساواة والمبادئ الإنسانية التي تكفل العدالة والحرية لجميع أفراد المجتمع حيث عنيت الماركسية الحقيقية بالمشكلات الاجتماعية.

ثانيا: النقد الاجتماعي لمدرسة فرانكفورت

1. دور العقل الأداتي في تحطم المجتمع

يعتبر مفهوم العقلانية من أهم المفاهيم التي شكلت المشروع الحضاري الغربي في مختلف أطوار تأسيسه وتكوينه، خاصة عصر الأنوار الذي ارتبط أيضا بالحداثة وشكل نقطة تحول أساسية في مسارها حيث أصبحت Zmesternite الغربية العقلية والنقد والحرية والتقدم الإنساني مفاهيم وتصورات أساسية في الفكر والحضارة الغربيين[2].

ويعرف العقل الأداتي على أنّه:**<<المتمثل في التفكير العقلي والتقني السائد في المجتمع الصناعي والإدارة الحديثة بما يخدم السيطرة والتسلط>>**[3]

فقد تحول العقل من التفكير إلى أداة للسيطرة على الطبيعة وعلى الإنسان، وأصبح مسخرا لخدمة أهداف الإنسان من أجل تحقيق مصالحه ومنافعه المادية.

فعلى الرغم من التطورات العلمية التي شهدها العصر الحالي إلى أنّ الإنسان جراء خوفه من مخاطر الصناعة وخوفه كذلك من فقدانها أصبح عبدا لها، وفي ظل التقنية العلمية وفي المجتمعات المتطورة أصبحت

[1] حسن حماد: الإنسان المغترب عند إريك فروم، ص176.

[2] كمال بومنير: مدرسة فرانكفورت من ماكس هوركهايمر إلى أكسل هونيث، الدار العربية للعلوم ناشرون منشورات الاختلاف، ط1، 2010، ص25.

[3] فيصل عباس: الفرويدية ونقد الحضارة المعاصرة، دار المنهل اللبناني للطباعة والنشر، بيروت، ط1، 2005، ص690.

الدول الصناعية تستند في سياساتها إلى المعرفة العلمية وبهذا تحولت إلى أداة للسيطرة<< **تتحول إلى نظام شامل للقمع والقوة والسيطرة فعرضت الإنسان لأشكال مختلفة من القهر الظاهر والباطن، والقمع الواعي وغير الواعي الذي ينطلق من أجهزة الإنتاج الضخمة والمؤسسات الإدارية والبيروقراطية والاستهلاكية و الإعلامية التي تشبه آلات هائلة يحاول الناس أن يكيفوا أنفسهم مع ضغوطها و مضاربها>>**.[1]

فالعقلانية الأداتيّة أصبحت تسيطر على الإنسان حتى من طرف جهاز الدولة الذي أصبح كأداة قمع وسيطرة، ليس هذا وحسب بل لقد غرق الإنسان في خضوعه لوسائل الإعلام والبعد الاستهلاكي، فكما يرى ماركيوز فالإنسان المعاصر في ظل التقنية فقد كل أبعاده الروحية من رغبات وعواطف ومشاعر وأصبح يخضع لبعد واحد وهو البعد الاستهلاكي، فالعقلانية الأداتية أغرقت الإنسان في أشكال جديدة من القمع، وأقنعته بالحرية الزائفة وأدخلته ضمن دائرة اللاوعي، فالإنسان في المجتمع المعاصر أصبح يخضع لجهاز سيطر على كل كيانه لذا يرى هوركهيمر أنّ المجتمع البشري أصبح يعيش وضعا مأسويا.

2- العائلة البرجوازية عند هوركهيمر:

تعتبر الأسرة عند هوركهيمر دعامة أساسية من دعائم المجتمع إذ يقول:<< **تتولى العائلة، بوصفها واحدة من الفعاليات التكوينية المهمة، أمر نوع الشخصية الإنسانية التي تحتاجها الحياة الاجتماعية، وتوفر للكائن البشري قدرا كبيرا من التكيف الذي لابدّ منه مع سلوك سلطوي التوجه يعتمد عليه وجود النظام البرجوازي ذلك الاعتماد الشديد>>**[2]

وعليه فإن الأسرة تحظى بنصيب الأسد في تكوين شخصية الفرد فالعائلة تحتل مكانة مهمة في المجتمع، ويرى هوركهيمر بوجود هذه العلاقة، لكن هذه العلاقة في الفترة المعاصرة هي علاقة متوترة وذلك لوجود الطبقية داخل المجتمعات، فهناك دائما طبقة كادحة ووسطى وطبقة أرستقراطية، ونجد أن هوركهيمر يعتمد على فكرة **ماكس فيبر**(Maximilian Carl Emil Weber) في كتابه "**الأخلاق البروتستانتية وروح الرأسمالية**"، من خلال فكرة الرأسمالية الأداتية التي تقتضيها روح الرأسمالية، وهذا من خلال استقلالية ذات الأب، فهو الذي يتقمص السلطة داخل الأسرة فالأب حسب

[1] نقلا عن: كمال بومنير: النظرية النقدية لمدرسة فرانكفورت، ص30.

[2] آلن هاو: النظرية النقدية مدرسة فرانكفورت، ترجمة ثائر ديب، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ط1، 2010، ص140.

هوركهيمر هو السيد في البيت لأنّه كاسب الأجر فهو من يمثل رأس المال بالنسبة للأسرة، وفي هذا يقول هوركهيمر:**<<إذا كف عن الكسب أو عن امتلاك النقود على الأقل فإنه يفقد بذلك مركزه الاجتماعي وذلك يهدد كل هيمنته داخل الأسرة أيضاً>>**.[1]

وبهذا فإن المجتمع البرجوازي سيفرض عليه ضريبة ويمكن أن تكون هذه الضريبة قاسية وهي تفكك الأسرة، فالأسرة في المجتمع الرأسمالي أصبحت مشيئة، فرواد مدرسة فرانكفورت يسعون من خلال نقدهم الرأسمالية إلى حماية الأسرة والدفاع عنها، وشخصية الأب داخل الأسرة البرجوازية أصبحت شخصية وظيفية تنحصر وظيفتها في كونها أداة أو يد عليا أو رأس مال.

ثالثا: نقد المجتمع الاستهلاكي عند إريك فروم

1. التملك:(Appropriation)

لقد أصبح الأساس الذي تقوم عليه المجتمعات الغربية المعاصرة يعتمد على الملكية والامتلاك هو**<<الحيازة والاستمتاع بشيء أو بواسطة آخر يملك الشيء أو يمارسه باسمنا>>**.[2]

المجتمع المعاصر أصبح مكرسا للامتلاك وتحقيق الأرباح في مختلف مجالات الحياة الاجتماعية وينطلق إريك فروم في توضيحه لأسلوب التملك من التعلم فهو يرى أن الطلبة في هذا الأسلوب **<<ليس أمامهم إلا هدف واحد أن يتشبّثوا بما تعلموا إما بتثبيته جيدا في ذاكرتهم وإما بالحفاظ على مذكراتهم ليس عليهم أن ينتجوا أو يبتكروا شيئا جديد>>**.[3]

وبهذا يرى فروم أنّ الطالب ومحتوى المحاضرة يظل كل واحد منهما غريب عن الآخر وأي جديد يضاف أمامهم يصيبهم بالهلع والاضطراب، لأنّ تعلمهم كان استهلاكيا فقط وحتى في طريقة استرجاع المعلومات فإن التذكر لا يكون إلا بطريقة ميكانيكية كالرّبط بين كلمة وأخرى وتذكر الضد بالضد أو المفهومات المتقاربة، وحتى في أسلوب المحاورة لا يهتم الإنسان إلا بالحجج التي يمتلكها وعدد هذه الحجج ولا يهمه أن ينتفع بالرأي المخالف له، على أساس أنّ رأيه جزء من ممتلكاته وتخليه عن رأيه يجعله فقير للرأي أو لوجهة النظر الخاصة به ويتعدى الأمر هذا إلى أصحاب السلطة، وتتعدد أنواع

[1] فيصل عباس: الفرويدية ونقد الحضارة المعاصرة، ص715.

[2] أندري لالاند: الموسوعة الفلسفية، المجلد الأول، مادة التملك، ص103.

[3] إريك فروم: الإنسان بين المظهر والجوهر، ص42.

السلطات منها السلطة الأبوية أو أرباب العمل كلّ داخل الإطار الخاص به، يمارس السلطة على الآخرين على أنهم ممتلكات له.

2. عبادة الإنتاج والاستهلاك

المجتمع المعاصر أصبح يعاني من أزمة عبادة الإنتاج وتأليهه وتقديسه بطريقة غير عقلانية يقول إريك فروم:**<< كانت المشكلة قبل مئة عام في أننا لم ننتج من أجل الاستخدام بل من أجل الفائدة...اليوم لم تعد المشكلة مشكلة إنتاج من أجل الفائدة بل إنتاج من أجل ذاته>>**.[1]

فقد أصبح الإنتاج من أجل الإنتاج؛ أي أصبح الإنتاج آلة فهو غاية في ذاته وهو عبثي، ينتج الإنسان ما لا حاجة له به، ففي زمن مضى كان الإنسان يطمح إلى تحقيق الفائدة والنهوض بالمجتمع السوي وقد كان الهدف الأساسي للإنتاج هو الاستفادة من قدرات وفعاليات الإنسان وما إن فتئ الإنسان على هذا حتى وجد نفسه يعبد الإنتاج، والأمر نفسه بالنسبة للاستهلاك فقد أصبحت المجتمعات تقتني ما لا حاجة لها به، يقول إريك فروم:**<<نحن مسحورون بفكرة شراء الأشياء بدون مرجعية كبيرة إلى مقدار فائدتها>>**.[2]

فهو يرى أنّ المجتمعات أصبحت مهووسة بالشراء حتى ولو كانت تملك الشيء فلو عرض عليها في قالب جديد لاقتنته، ويرى إريك فروم أن الإنسان أصبح لا يشعر بالمتعة عندما يقتني شيئا جديدا، ذلك أن الإنسان لم تعد تواجهه أي صعوبة في الاقتناء، فهو أصبح يحصل على أي شيء جديد في أسرع وقت ممكن، ولم يعد الإنسان يرضى بأساسيات الحياة بل توجّه إلى الكماليات التي هو في غنى عنها، فأصبح يغير ممتلكاته في الوقت الذي يشأ حتى وإن كان يمتلك الشيء اليوم فإنه سيقتني نفس الشيء في الغد، وهنا وصف فروم هذا الإنسان الاستهلاكي أنه يسعى إلى بلوغ جنة من الممتلكات، فكلما امتلك ازداد جشعه وطمعه في الحصول على أكبر قدر من الممتلكات وذلك لتحقيق الرخاء، و فروم يرى أنّ الإنسان في ظل هذا الرخاء يصبح مغتربا.

[1] إريك فروم: مساهمة في علوم الإنسان، ص54.

[2] نفسه، ص54.

فالإنسان في ظل الإنتاج والاستهلاك مغترب يقول فروم:<< **أصبح الإنسان يتحدى المؤسسة لكي تستجيب لهذا التحدي وأن المديرين وكذلك المستهلكين هم جزء من نفس النظام المغترب>>**.[1]

فهم قد أصبحوا حبيسي الإنتاج والاستهلاك، فالمؤسسات الإنتاجية تسير على مبدأ أنّ كل ما يريده المستهلك ويطمح إليه ينبغي تقبله تقبلا أعمى، وعلى المجتمع أن يلبي ما أمكن من رغبات الأفراد، وكذلك المؤسسات أصبحت تنتج ما لا حاجة للإنسان به، فالإنسان المعاصر أصابه مرض الاستهلاك اللاعقلاني، وقد حَضِيَت هذه المؤسسات بحرية الإنتاج فأصبح لها الحق في أن تنتج أكبر قدر ممكن من المقتنيات بغية تحقيق الأرباح والرخاء لأرباب العمل، حتى أصبحت هذه السلع أثمن من مالكيها ومن مقتنيها، فأصبح ينظر إلى الفرد بما يملك فإن كانت ممتلكاته ثمينة فهذا الفرد إنسان يستحق التقدير والإعجاب باعتباره كائن أرقى بغض النظر عن سبل امتلاك هذه الثروة، فليس من شأن أحد أن يسأل من أين جاءت ثروته وماذا يصنع بها.

3. نقد المجتمع المتّشيئ

لا يختلف إريك فروم عن قرنائه من الجيل الأول لمدرسة فرانكفورت "**ماكس هوركهيمر وأدورنو** (Theodor Wesengrund Adorno)**ماركيوز**" في طرحه لمسألة التّشيؤ وعبادة التقنية خاصة في المجتمع الرأسمالي، وقد كان تأثير **مارتن هيدجر**(Martin Heidegger) على الجيل الأول من مدرسة فرانكفورت تأثير واضح وجلي خاصة الجانب السلبي منها كالقنابل النووية والهيدروجينية والذرية التي تهدد الوجود الإنساني، فالمعرفة العلمية في نظر إريك فروم أصبحت ذات طابع تقني، فحتى المعرفة أصبحت مشيّئة ويرى إريك فروم أن الأفكار التي تقترحها مجموعات العمل في الولايات المتحدة الأمريكية وكذلك في فرنسا يجب أن توجه من أجل الصناعة، ونجد إريك فروم يستشهد بقول لنكولن (James Flincoln) في كتابه المجتمع السوي على هذا بقوله:<<**إن الصناعي يركز على الآلات و يهمل الإنسان الذي هو منتج الآلة ومطورها والذي من الواضح أن لديه طاقات كامنة أكبر بكثير>>**.[2]

فهو أصبح يخاف على الآلة أكثر من خوفه على الإنسان و على مستقبله ومستقبل الأجيال اللاحقة، فالرأسمالية حسب إريك فروم تقوم على مبدأ الطبقية وهو استخدام إنسان بإنسان كما هو الحال

[1] إريك فروم: ثورة الأمل، ص188.

[2] إريك فروم: المجتمع السوي، ص361.

في التجارب النووية التي تستخدمها ضد الشعوب المتخلفة، والأمر نفسه في استخدام فرد لفرد أو فرد لنفسه، فالرأسمالية تجعل الإنسان وسيلة لا غاية في ذاته، وإنما وسيلة للمصالح الاقتصادية التي تخصها، أو تتبع لشخص آخر غيره، أو خضوع الإنسان للمجهول مثل الأنظمة الاقتصادية، وعندما يصبح الإنسان وسيلة فإن الأشياء الجامدة التي يخلقها تصبح فوقه وأرقى منه، فالشخص الذي يمتلك المال يستطيع أن يسود الشخص الذي لا يمتلك وبهذا عزلت الرأسمالية الفرد وجعلت منه عاجزا أمام القوى الاقتصادية.

المبحث الثالث: التغير الاجتماعي وتأثيره على الشخصية

أولا: إنسان القرن العشرين "أزمة الإنسان الغربي والقيم الروحية"

1. الخواء الديني:

يعتبر إريك فروم الدين جوهر المجتمعات، والدين حسب إريك فروم لا يعني نظاما يتضمن مفهوما معين للمعبودات وإنما<< **نظاما للفكر تشترك في اعتناقه جماعة من الناس يعطي لكل فرد في الجماعة إطار للتوجه وموضوعا يكرس من أجله حياته**>>[1]

وإريك فروم ينفي أن تقوم للحضارة قائمة دون دين سواء في الماضي أو الحاضر أو حتى في المستقبل، ولا ينفي فروم أن يكون للناس معبودا أيا كانت هذه المعبودات حيوان أو إله خفي أو مال أو غير ذلك، ويرى فروم أن الدين قد يقود الإنسان نحوى المحبة والنجاح وقد يقوده إلى التدمير والتسلط، فالدين حسبه قادر على تحريك الإنسان لأنه ضارب بجذوره في بناء شخصية الإنسان الفردية والجماعية فما يكرس الإنسان نفسه من أجله هو الذي يحركه.

ومشكلة المجتمع المعاصر حسب وجهة نظر إريك فروم هي الخواء الديني، حيث أصبح إيمان الإنسان إيمان لا عقلاني، أصبح موجها نحو السلطات السياسية والاقتصادية ومتعلق بما هو مادي لا غير، وهنا بدأت الأزمة الروحية للإنسان، يقول فروم<< **أنه في المجتمع العصري أفضت نهاية الثقافة الدينية للعصور الوسطى إلى ما يمكن تسميته بالخواء الديني**>>.[2]

[1] إريك فروم: الإنسان بين المظهر والجوهر، ص127.

[2] إريك فروم: مساهمة في علوم الإنسان، ص43.

ويرى إريك فروم أن السبب الأساسي للخواء الديني هو ما يطلق عليه اسم الروتين، فالإنسان أصبح مثل الآلة يأكل ويشرب ويعمل، وبهذا افتقد عنصر الإثارة في حياته فهو في إطار عمله يعمل دون هدف ولا يعلم لما يعمل بكل هذا الجهد، فقد مات فيه الجانب الروحي، وما يشغل بال الإنسان المعاصر هو التنافس، فالحياة بالنسبة للإنسان المعاصر هي حياة الصناعية، حقائق تتم بموجب اتفاقيات ومعاهدات ومأكل ومشرب وفخامة وسيارات وكل ما يخص الملكية، فالمشهد الاجتماعي المعاصر يفضي إلى افتقار الإنسان إلى الإيمان ويرى إريك فروم أن الإنسان أصبح يؤمن إيمانا لا عقليا إما بالسلطة أو المال، وبهذا المعنى افتقد الإنسان ذاته ولم تعد لديه القدرة على فهم غيره.

2. تفكك الحب في المجتمع الغربي المعاصر

في العادة يعبر الحب عن العلاقات الروحية و الإنسانية ويرى إريك فروم أن المقدرة على الحب في الفرد الحي**<< تتوقف على تأثير هذه الحضارة على شخصية الشخص>>**[1]

فالقدرة على الحب حسب إريك فروم نابعة من تأثير الحضارة على الفرد، لذا نجد أن إريك فروم يحاول أن يوضح غياب الحب عن الحضارة الغربية المعاصرة انطلاقا من الأسرة وصولا إلى السلطة السياسية فقد أفضت الحضارة الغربية إلى انحلال العلاقات الروحية، وحل محل هذه العلاقات حب زائف دمر العلاقات الإنسانية، أين أصبحت العلاقات فيه قائمة على أساس رأس المال والمادة والحرية، فالعلاقات داخل المجتمع الغربي ما هي إلا علاقات سوقية اقتصادية، فالسوق هو الذي ينظم العلاقات الاجتماعية فكل العلاقات داخل المجتمع الرأسمالي تحولت إلى سلع فحتى داخل الأسرة الواحدة أصبح الفرد يعيش حالة اغتراب رهيبة، فالإنسان أصبح في المجتمع الرأسمالي لا يحب أسرته وأولاده وإنما يحب الآلات مع أنها لا تستطيع أن تحبه.

فبدلا من أن يكون الإنسان في الحب**<< قد وجد أخيرا مأوى من الوحدة، أن الإنسان يكوّن تحالفا من اثنين ضد العالم>>**.[2]

لكن هذا التحالف اليوم داخل الأسرة هو في الغالب أناني، فالأسرة لم تعد تعمل بروح الوحدة المتماسكة، وأصبح مفهوم السعادة فيها غائب تماما، فالرأسمالية تحاول أن تبرهن أنها تلبي احتياجات الإنسان الطبيعية، وقد أسفرت الرأسمالية عن بزوغ العدوانية، وأن الأسرة أصبحت تعاني من ضغط

[1] إريك فروم: فن الحب بحث في طبيعة الحب وأشكاله، ترجمة مجاهد عبد المنعم مجاهد، دار العودة، بيروت، 2000، ص77.

[2] نفسه، ص80.

اجتماعي ودخلت المنافسة حتى في الأسرة يقول إريك فروم**<< إن الحب كإشباع جنسي والحب باعتباره فريق عمل كإنقاذ من الوحدة هما الشكلان المعتدان لتفكك الحب في المجتمع الغربي الحديث >>**.[1]

فالحب في هذه المجتمعات أصبح لا يعبر إلا عن علاقات جنسية أو عن علاقات داخل إطار العمل، فقد تحول إلى مادة، فهو لم يعد يحوي الوجود الإنساني في أسمى معانيه بل أصبح مجرد وثنية تعتليها المادة والجنس وهما ما يحطم البناء الاجتماعي، فالحياة أصبحت غريزية لا روحية مادية لا إنسانية فأصبحت العلاقات الأسرية علاقات شبيهة بالسلع فكل قدرات الإنسان وأحاسيسه هي عبارة عن خداع وتجارة ومصالح وبهذا أصبح الإنسان يعيش حالة اغتراب ووحدة.

3. السعادة والأمان

تعد السعادة (bonheur)مطلب ضروري من مطالب الحياة والتي يبحث عنها الإنسان ويسعى إلى تحقيقها ونجد إريك فروم في تعريفه للسعادة يرى أنها **<< إحدى الأشكال التي يعبر فيها عن العيش المكثف تجربة العيش المكثف متطابقة مع الفرح>>**.[2]

ويرى إريك فروم أن الناس في فهمهم للسعادة يرون أنها تعني المرح والسرور والبعد عن الألم والاكتئاب، فهي بعيدة عن الحزن والمعاناة، وإريك فروم يرى أن هذا التصور خاطئ، لأن من لم يجرب الحزن فهو ليس بالحي، فالحياة الإنسانية كل مركب تشتمل الحزن والألم والسعادة، فهذه أجزاء أساسية من حياة الإنسان، فالسعادة ليست نقيض لشيء آخر، فالألم والفرح كل منهما ينتمي إلى الآخر أما ما لا ينتمي إلى هذا الكل المكثف فهو الاكتئاب الذي يعيش فيه الإنسان جسد بلا روح فثمة تنعدم كثافة الشعور.

أما عن هدف الحياة الثاني فهو الأمان(sécurité) فالاقتصاديين يرون أن الأمان يحصل عندما **<< يكون ناجحا، موافقا للمعايير يجسد نموذج النجاح نحن مهووسون بالأمن كهدف في الحياة>>**.[3]

---

[1] إريك فروم: فن الحب، ص 85.

[2] إريك فروم: مساهمة في علوم الإنسان، ص59.

[3] نفسه، ص59.

وكـأن الأمـن يتجلـى في تحقيـق الرخـاء المـادي وروح المبـادرة والعوامـل الاقتصـادية وتـأمين رواتـب الشيخوخة، وكسب أكبر قدر ممكن من الممتلكات والحصول على أعلى وارقي الشهادات من أجل الشعور بالاطمئنان والراحة على المستقبل، وما يراه إريك فروم هنا هو أن المجتمع أصبح متهورا في البحث عن سُبل الأمـن والأمـان وتحقيـق السـعادة والرخـاء، فجسـم الإنسـان المعاصـر لـيس بأمـان بسـبب هـذه التطـورات التي وصلت إليها الأبحاث العلمية، وكل طريقة وجود الإنسان المعاصر غير مبشّرة ولا مطمئنة، فالأسلحة النووية تهدّد الوجود، والأبحاث العلمية تشير إلى أن التطور الروحي مرتبط بقدرة الإنسان على تحمل عدم الأمان والتهور، فالإنسان المعاصر غير أمن جسديا ولا عقليا ولا روحيا، لأن تصورات الإنسان عن العيش وطريقة الحياة هي تصورات خاطئة، وهذا نتيجة غياب الوعي، ويرى إريك فروم أنه لو يعود الإنسان لوعيه فإنـه سـيحس بأنـه يخـوض في تجربـة مرعبـة، فـالفرح الـذي يعيشـه الإنسـان جـراء حصـوله علـى المـادة بشتى أنواعها هي التي جلبت عدم الأمان والاستقرار لحياته.

ثانيا: مشكلة الحرية في المجتمع المعاصر

تعـد الحريـة مسـألة بالغـة الأهميـة في البنـاء الاجتمـاعي وتعـرف الحريـة بأنهـا:**<< خاصـة الموجود، الخالص من القيود العامل بإرادته أو طبيعته>>**.[1]

فهي تساعد الإنسان على ممارسة أعماله دون إكراه أو إرغام وقد عرفت الحرية الكثير من الأفكار والمذاهب المتعلقة بها، فهي كانت على مر العصور مطلب ينشده الإنسان لكن ما يثير الانتباه أن الفكر الغربي المعاصر اشتغل بفكرة الخوف من الحرية، ففي عصور مضت كان الخوف من الظواهر الطبيعية الشريرة والخوف من الموت، أما ما يسعى فروم إلى مناقشته فهو ظاهرة ترتبط بحياة الإنسان المعاصر في حياتـه الاجتماعيـة والسياسـية وهـي الخـوف مـن الحريـة حيـث أصـبح الإنسـان المعاصـر يعـيش تحت الضغوط.

فالحرية عند إريك فروم هي التي**<< تميّز الوجود الإنساني كوجود إنساني...بتغير معناها حسب درجة وعي الإنسان وتصوره لنفسه>>**.[2]

[1] جميل صليبا: المعجم الفلسفي،ج1، مادة الحرية، ص462.

[2] إريك فروم: الخوف من الحرية، ص27.

فالإنسان حسب وجهة نظر إريك فروم كائن يتميز بالحرية، وعليه أن يعي هذا الشيء فهو ليس ذات لصيقة بالطبيعة وإنما هو متحرر من سيطرتها عليه، فهو ذات مستقلة بذاتها فالطبيعة بالنسبة للإنسان هي بمثابة الملجأ الآمن ويركز فروم في دراسته للحرية على المجتمع الرأسمالي وتفكك المجتمع الاقطاعي، وفي ظل هذه التغيرات أحس الفرد بالاستقلالية والتفرد والحرية، وكأنه تحرر من القيود التقليدية به لمجتمع العصور الوسطى وعلى عكس هذا يرى فروم أن الإنسان في ظل المجتمع الرأسمالي أصبح يحس بالوحدة والقلق والعجز ولذلك فإن **<< أقل ما اتخذه هذا الانهيار من أشكال مأساوية ...هو شكل التطور في اتجاه الديمقراطية لمجتمع وجدت فيه النزاعات الأساسية حلولا أو وساطات مؤسساتية...فقد تسبب استغلال البروليتاريا بإطلاق حركة اجتماعية غالبا ما كانت مشحونة بعنف مفروض.>>**.[1]

وهو يرى أن الحرية تأخذ جانبين إيجابي وسلبي، فمن جهة الحرية معيقة ومضطهدة للإنسان ومعادية وغريبة عنه وقد انتقل إريك فروم في تحليله للحرية من التحليل النفسي الفرويدي إلى التحليل النفسي الاجتماعي ليوضح لنا لماذا يخشى الإنسان الحرية ويهرب منها التي حارب من أجلها وفي سبيلها مات الكثيرون.

وقد سعى فروم إلى تحليل العوامل الدينامية التي توضح طابع النسيج الاجتماعي للإنسان الحديث، والتي جعلته يرغب في الكف عن الحرية في الدول الفاشية، والذي أصبح سائدا في الشعوب المعاصرة، ما جعله يطرح مجموعة من الأسئلة التي تنشأ عندما نتطلع إلى الجانب الإنساني للحرية والشوق للخضوع وشهوة القوة، ما هي العوامل الاجتماعية والاقتصادية في المجتمع التي تتسبب في الشوق إلى الحرية؟ هل يمكن أن تصبح الحرية عبئا لدرجة لا يستطيع أن يتحملها الفرد ويحاول أن يتخلص منها؟ ولماذا إذن تكون الحرية للعديدين هدفا منشودا وللآخرين تهديدا؟

وفي هذا يقول إريك فروم **<< لقد اضطررنا إلى أن نتبين أن هناك في ألمانيا توجد ملايين شغوفة بأن تسلم حريتها بالقدر نفسه الذي كان أباء هذه الملايين يقاتلون من أجلها>>**[2]

[1] آلان تورين: براديغما جديدة لفهم عالم اليوم، ترجمة جورج سليمان، مراجعة سميرة ريشا، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط1 2011،ص 101.

[2] إريك فروم: الخوف من الحرية، ص12،13.

بينما يرى أن هناك فئة أخرى غير مكترثة بالدفاع عن الحرية ولا القتال من أجلها، فهذا حال ألمانيا في الثلاثينات والخطر الذي يواجه الديمقراطية حسب فروم ليس وجود دول تسلطية خارجية، وإنما الخطر يكمن في المواقف الشخصية داخل المؤسسات، خاصة منها الاجتماعية، فهذه الأخيرة هي من يعطي الانتصار للسلطة الخارجية والنظام والهيمنة بالاعتماد على القوي، فالمعركة هي معركة مع النفس ومع المؤسسات، فالحضارة الغربية المعاصرة تشهد تقهقرا وانحطاطا، حيث أن مبادئ الليبرالية الاقتصادية والديمقراطية السياسية والاعتناق الديني الذاتي والنزعة الفردية في الحياة الشخصية تعبر عن الشوق للحرية، وفي الوقت نفسه تقرب البشرية أكثر من تحقيق الحرية، وسرعان ما ظهرت أنظمة جديدة تتنكر لكل شيء يؤمن البشر بأنهم كسبوه خلال قرون الصراع، وذلك لأن جوهر هذه الأنظمة الجديدة التي تتولى قيادة الحياة الاجتماعية والشخصية الكلية للإنسان هو خضوع الكل فيما عدا حفنة من الناس تتمتع بسلطة لا يتحكمون فيها.

1-بزوغ الفرد وضبابية الحرية:

يعيش الإنسان في حياته نوع من تعلق النفس بالعالم الخارجي وذلك تجنبا للوحدة والعزلة فهو يفضل الارتباط بالعالم على العزلة، وعليه فإن حياة الإنسان ليست مجرد محصلة ثابتة ونظرية بيولوجية للدوافع بل هي نتاج تطور ميكانيزمات تساعد على تجنب العزلة والوحدة الأخلاقية.

ويرى فروم أن الحرية هي من يميز الوجود الإنساني كوجود إنساني، وهذا يتغير حسب درجة وعي الإنسان وتصوره ككائن مستقل، عندما يصبح فردا كي يتمكن من مواجهة العالم في كل جوانبه الحافلة بالخطر والمفرطة القوة، يقول فروم**<<إن الطفل يولد عندما لا يعود متحدا مع أمه ويصبح ذاتية بيولوجية منفصلة عنها...هذا الانفصال البيولوجي هو بداية الوجود الإنساني الفردي>>**.[1]

وتعتبر هنا فترة انفصال الطفل عن أمه هي المرحلة الأولى من مراحل الاستقلال والفردية، فنُمُو النفس وتطور الطفل يكون تطورا متناغما، وهو يرى أن هذا لن يتأتى كون عملية الاصطباغ بالصبغة الفردية تحدث على نحو آلي، بينما نمو النفس يتعرقل لأسباب عديدة فردية واجتماعية ينتهي هذا الحال بوجود هوة بين هذين التيارين إلى شعور لا يطاق من العزلة والعجز وهذا يفضي إلى الهروب من الحرية، فإن لم تقدم الظروف الاجتماعية والاقتصادية والسياسية التي تعتمد عليها عملية الاصطباغ بالفردية، بينما الناس في نفس الوقت قد فقدوا الروابط التي تمنحهم الآمان، فإن هذه الهوة تجعل الحرية عبئا

[1] إريك فروم: الخوف من الحرية، ص29.

لا يطاق، إنها تصبح حينئذ متماثلة مع الشك مع نوع من الحياة ينقصها المعنى و الاتجاه، وتنشأ الاتجاهات القوية للهروب من هذا النوع من الحرية إلى الخضوع أو إلى نوع من العلاقة بين الإنسان والعالم تعد بتخفيف الزعزعة لو حرمت الفرد من حريته.

2-أساليب الهروب من الحرية:

أ-النزعة التسلطية:

يرى فروم أن الميكانيزم الأول للهروب من الحرية هو تطابق الفرد مع الآخرين **<< يكون الفرد الصحي والسوي عينها من أن يساير الآخرين في المجتمع، وهذه الصفات عينها ذاتها هي علامات القهر، هي علامات الإنسان المشوه الذي يتجمع في قهره...اطلاق العنان للعدوان>>**.[1]

وأشد هذه الأشكال يتمثل في الرضوخ للهيمنة أي في الرغبات المازوكية والسادية الموجودة في الأسوياء والعصابيين بدرجات متفاوتة وكلا هذين الميلين هرب من وحدة لا تطاق، وأشد الأشكال التي يذكرها فروم هي الدونية والعجز واللاجدوى الفردية هؤلاء الأشخاص يظهرون ميلا إلى التقليل من أنفسهم وإلى الخضوع لأوامر القوى الخارجية، وفي الغالب هم عاجزون تماما عن معايشة شعور التحكم والسيطرة هذا عن المازوكية.

أما عن الميول السادية، فيميز فروم بين ثلاثة أنواع من الميول السادية وتوجد عادة في النوع نفسه من الأشخاص، وهي مرتبطة بشدة الأول، فهو من يجعل الآخرين يعتمدون على المرء، وتكون لهم قوة مطلقة غير مقيدة لهم، والنوع الثاني لديه دافع ليس للسيطرة على الآخرين بل لاستغلالهم والسرقة منهم استنزافهم، أما النوع الثالث فهو الرغبة في جعل الآخرين يعانون أو أن يروهم يعانون في الغالب معاناة تكون معاناة ذهنية هدفها أن تؤذي الآخرين تماما أو تذلهم، فالسادي يحتاج إلى الشخص الذي يتحكم فيه إنه يحتاج إليه لدرجة مميتة حيث أن شعوره بالقوة يتمثل في كونه سيد إنسان ما.

وإطلاق اسم الشخصية التسلطية الاستبدادية على الشخصية المازوكية السادية مسألة مبررة ذلك لأن الشخص المازوكي السادي يتميز دائما بموقفه نحو السلطة، إنه يعجب بالسلطة ويميل إلى الخضوع لها .

[1] هربرت ماركيوز: فلسفات النفي دراسات في النظرية النقدية، ترجمة مجاهد عبد المنعم مجاهد، مكتبة دار الكلمة للنشر والتوزيع، القاهرة ط1، 2011، ص255.

ومن هنا نجد أنّ جل الجماعة الإنسانية وفي ضل هذه الاوضاع قد ترنحت عنها القيم الإنسانية ودخل دائرة البضاعة، وتحولت الإنسانية إلى سوق بشرية انصهرت فيها كل الفئات الاجتماعية.

ب–التدميرية:

هدف التدمير هو استئصال الحرية وهي الأخرى غير قادرة على تحمل الوحدة والعزلة ولهذا نجدأنّ<<**الأشكال الجديدة للسلطة التي تطورت في النصف الأخير للقرن الماضي...طغى الخوف من تلك القوة الهدامة...لقد أصبح بإمكان الإنسان القضاء على نفسه وعلى الأرض برمتها في لحظة واحدة.**>>[1]

فالتدميرية تهدف إلى تدمير وإزالة العالم فهي تسعى إلى تدعيم الهيمنة على الآخرين بغية تهديدهم من الخارج، فالتدميرية لا نستطيع تبريرها من الناحية الشعورية لكنها مبررة واقعيا فالظروف الفردية والاجتماعية التي تساهم في كبح الحياة تنتج انفعالا للتدمير يشكل خزانا تتغذى منه الميول العدوانية إما ضد الآخرين أو ضد النفس.

ج–تطابق الإنسان الآلي:

يتغلب الإنسان في الميكانيزمات السابقة عن الشعور باللامعنى بالمقارنة مع القوة المهيمنة للعالم الخارجي عن طريق التنازل على تكامله الفردي أو عن طريق تدمير الآخرين، وذلك حتى نكف العالم عن توجيه التهديد أو الانسحاب بدرجة كاملة، حتى أن العالم يفقد تهديده وتتضخم النفس سيكولوجيا لدرجة تجعل العالم الخارجي يصبح صغيرا، و رغم أهمية هذه الجوانب إلا أن أهميتها بالنسبة للجانب الاجتماعي والسياسي ثانوية، لذا نجد فروم يتوقف أمام ميكانيزم آخر أكثر أهمية من الناحية الاجتماعية هو ما يطلق عليه امتثال الإنسان الآلي.

يقول فروم<< **إن إصطباغ الفرد بصبغة آلية في المجتمع الحديث قد زادت من عجز وزعزعة الفرد المتوسط**>>[2]

[1] يورغن هابرما وجوزيف راتسنغر: جدلية العلمنة العقل والدين، تعريب حميد لشهب، جداول للنشر والترجمة والتوزيع، الكويت، ط1 2013، ص71.

[2] إريك فروم: الخوف من الحرية، ص165،166.

فالفرد هنا يكف عن أن يكون هو نفسه بل يعتنق نوع من الشخصية المقدم له من جانب النماذج الحضارية حيث يصبح مثل الآخرين وكما يتوقعون منه أن يكون، فتختفي هنا الهوة بين العالم والأنا ويتنازل عن نفسه الفردية ويصبح آلة متطابقة مع ملايين الآخرين من الآلات المحيطة به حيث لا يحتاج إلى أن يشعر بأنه وحده القلق، لكن الثمن هنا تكون ضريبته قاسية إذ أنه يفقد نفسه.

2. التبعية (Subordination):

يرى فروم أن التبعية كانت سائدة في ظل العصور الوسطى حيث كان الإنسان تابعا للكنيسة يقول إريك فروم **<< إن مجتمع العصور الوسطى لم يحرم الفرد من حريته لأن الفرد لم يكنقد وّجد بعد فقد كان الإنسان لا يزال مرتبطا بالعالم عن طريق الروابط الأولية>>**.[1]

فما يميز مجتمع العصور الوسطى هو نقصان الحرية الفردية، وفروم يرى أن الفرد لم تتكون معالمه بعد في ظل هذه المجتمعات، لأنه كان مقيدا بأداء دوره في ظل النظام الاجتماعي السائد، فحسب إريك فروم الفرد في ظل مجتمع العصور الوسطى لم يكن معزولا ولا وحيدا فقد كان للإنسان ما يربطه بمجتمعه، فهو ينتمي إلى طبقة سواء أكان فلاحا أو جنديا أو من النبلاء أو حتى القديسين فالروابط الاجتماعية في ظل العصور الوسطى ظلت قائمة.

إن ما يميز مجتمعات العصور الوسطى هو نقص فردية الإنسان، لأنه كان مقيدا بدور معين ومحدد في ظل طبقته، وكان واقعا تحت تسلط النزعة الأوتوقراطية، وكانت العلاقات الاجتماعية للإنسان في ذلك العصر تكتسي طابع التسلط والخضوع والتبعية وبالتالي فالنظام الاجتماعي أنا ذاك بمثابة النظام الطبيعي فهذا ما منح الإنسان في تلك الفترة الطمأنينة والأمان.

وحسب وجهة نظر فروم فإن انحطاط مجتمعات العصور الوسطى يعود إلى عوامل اقتصادية وسياسية، صحيح أن الفرد كان يعيش التبعية لكنه كان يحس بالأمان ولا يحس بالاغتراب والوحدة والتي لحقت بالإنسان المعاصر اليوم جراء التطور الاقتصادي والتكنولوجي.

صحيح أن إنسان العصور الوسطى لم يكن ذلك الإنسان الوحيد ولا المنعزل لكنه كان محروما من التفكير والذي من خلاله يتمكن من تطوير قدراته خارج طبقته الاجتماعية.

[1] إريك فروم: الخوف من الحرية، ص41.

3-الخضوع:

مع انهيار المجتمع الإقطاعي وبزوغ عصر النهضة ظهرت بوادر تفكك المجتمع، وأصبح أكثر هشاشة وتفرقا، وبهذا تمزقت الروابط الاجتماعية التي كان الفرد يحتمي في ظلالها، وطرأت تغيرات على المجتمع بل وعلى الإنسان في حد ذاته، مع ازدياد رأس المال والقوى الاقتصادية وروح المنافسة والمبادرة الحرة وحق الفرد في التملك، وببزوغ فجر الرأسمالية أتيح للفرد حق امتلاك المشاريع ليتحرر الفرد لأول مرة، يقول فروم:**<< تحرر من قيد الروابط الاقتصادية والسياسية وليكسب أيضا في الحرية الإيجابية عن طريق الدور الفعال والمستقل الذي كان عليه أن يلعبه في النظام الجديد>>**.[1]

وفي الوقت نفسه تحرر الفرد من تلك الروابط التي كانت تمنحه الأمان والشعور بالانتماء فقد أصبح هذا الفرد خاضعا بل ومهددا من قبل رأس المال والسوق، و أصبحت كل علاقاته عدائية، فهو مهدد من قبل رفقائه في السوق، ولما كان الفرد خائفا على ثروته وفقد معنى الوحدة مع الآخرين ومع العالم فقد **<< تجيز الصناعة انتاج مواد على شكل سلسلة غزيرة على هيئة طبقات شعبية تتزايد باستمرار كذلك...إن هؤلاء يعملون في وسط هذه المشاريع استعبدوا من خلال عملهم>>**.[2]

فالحياة في ظل هذا المجتمع لم يعد الإنسان مركزها بل المادة، فهو يعيش في عالم مفتوح يهدده، كما حرم من معنى قدوسية الحياة، فهو وحيد يواجه كل العالم، وقد أصبح خاضعا لأشكال مادية مختلفة فتحرره من الأشكال التقليدية في العصور الوسطى أوقعه في أزمة أعتى منها فالقلق والحرية والخوف يهددانه فبعد أن تحرر الإنسان من القيود الخارجية التي تتمثل في السلطة، وقع في سجن داخلي هو العزلة والانغلاق، فالحرية في ظل المجتمعات الرأسمالية لم تساعده على تكوين ذاته بل أدت به إلى الاغتراب فقد حررته من كل الروابط التي منحت لحياته مسبقا معنى مقدس وشعور بالانتماء، فوحدة العالم محطمة بالنسبة للإنسان المعاصر لدرجة أنه فقد حق القدرة على إقامة علاقة مع ذاته ومع الآخرين

والعالم، هذا ما دفعه إلى الهروب من نفسه وكره الحرية وهروبه منها، فقد اختار الإنسان التضحية بنفسه وفقدانها لأنه لا يستطيع تحمل الوحدة وفي رأي فروم أن النتيجة التي سيتوصل إليها الإنسان هي خضوعه مجددا لقوى خارجه عنه.

---

[1] إريك فروم: الخوف من الحرية، ص58.

[2] جون بودريارد وإدغار موران: عنف العالم، ترجمة عزيز توما، تقديم ابراهيم محمود، دار الحوار للنشر والتوزيع، سوريا، ط1، 2005 ص 77.

ثالثا: أمراض المجتمع

1. السلطة المجهولة:

لقد اتخذت السلطة عدة أوجه في المجتمع المعاصر، فبعد أن كان الإنسان يعاني من خضوعه لسلطة الكنيسة أو الدولة أو لنقل السلطة الوالدية ، فإنه في ظل المجتمع المعاصر أصبح لا يدري من يتحكم فيه وفي رغباته فقد أصبح الإنسان خاضعا لا يدري لمن، يقول إريك فروم**<< في منتصف القرن العشرين بدلت السلطة صفتها المميزة فهي ليست سلطة معلومة بل سلطة مجهولة غير مرئية>>**.[1]

فالإنسان في ظل هذه السلطة غير مطالب بفعل شيء من أحد ولا من أفكار خارجية فقوانين هذه السلطة غير مرئية مثل قوانين السوق، فحسب فروم لا الأب أصبح يلقي الأوامر على أطفاله بل هو مجرد مقترح لمجموعة أراء، فهو في حد ذاته لا يمتلك مبادئ أو قناعات خاصة به، وحتى في مجال الصناعة والاقتصاد ليس هناك من يصدر الآمر بل هي مجرد مجموعة مقترحات، فلم يعد هناك ما يمكن للإنسان أن يناضل ضده، لذا يقول فروم: **<< أما في السلطة المجهولة فلا يوجد أحد أو شيء يمكن للإنسان أن يناضل ضده>>**.[2]

ليس بإمكان الإنسان أن يهاجم ما هو غير مرئي، ولا في وسعه أن يتمرد على لا أحد فهي سلطة غير عقلية فإن كانت هذه السلطة باطنية فهل في استعداد الإنسان أن يهاجم أو يباغت ذاته؟وهل هذه هي سلطة الضمير التي نادى بها فلاسفة عصر الأنوار؟ فإن كانت هي فهي سلطة جنونية على حد تعبير فروم ولا يتقبلها عاقل، فهي أشد ضراوة من السلطة الخارجية بل أعتى وأقسى على الإنسان من حكم المجتمع فهي تفقد الإنسان إحساسه بذاته.

ويرى فروم أن الآلية التي تعمل بها السلطة المجهولة هي التماثل والتماثل هو التشبه بالأخر وهو ضد الاختلاف يقول إريك فروم**<< ينبغي لي أن أفعل ما يفعله كل شخص، ومن ثم علي أن أتماثل لا أن أكون مختلفا... ويجب أن أكون مستعدا للتغير وفقا للتغيرات في النموذج>>**.[3]

---

[1] إريك فروم: المجتمع السوي، ص266.

[2] إريك فروم: الخوف من الحرية، ص136،137.

[3] نفسه، ص267.

فمن أجل أن يحس الإنسان أنه سوي عليه أن يتماثل مع مجتمعه وإن لا يسأل أن كان على صواب أو خطأ، بل هل هو متوافق والمجتمع وليس غريبا عنه ولا مختلفا، وينبغي أن يكون دائما على استعداد للتغيرات الطارئة داخل المجتمع مثل الموضى والمآكل والسيارة والمنزل، فهو يخضع للقطيع الذي ينتمي إليه فالإنسان في ظل هذه التغيرات غائب عن الوعي، فالتّوافق مع الجماعة في ظل المجتمع المعاصر أو الإنسان المعاصر يجعل الفرد يعيش في أريحية، فهي ستجنبه المشاكل ويحسب أنه متعاون مع جماعته ولا أحد يرأسه فالإنسان هنا فقد فرديته وذاتيته.

2. التكنولوجيا(Technologie):

لقد أصبحت الحضارة المعاصرة في ظل العلم والتقنية، مهددة من قبلهما فهما وسائل قمع وإبادة لها، بدلا من أن يكونا وسائل للتحرير وخدمة الإنسان، وذلك بحجة الصراع من أجل البقاء، لكنها تعتبر حجة واهية في نظر رواد مدرسة فرانكفورت**<< المجتمع الصناعي المتمكن من العلم والتكنولوجيا قد نظم نفسه بصورة يسيطر معها دوما بقدر أكبر من الفاعلية على الإنسان>>**.[1]

فالمجتمع الصناعي أصبح ينتج بلا عقلانية ما لا يحتاجه الإنسان بالإضافة إلى أنه سخر كل هذه الإمكانات لقمع الإنسانية.

فالمجتمع الصناعي يدعي الحاجة إلى التقنية والتكنولوجيا إلا أنه أصبح مسيطرا عليها وبإمكانه أن يحكم العالم بها، فالعلم والتكنولوجيا قد حددت صورتهما ومعالمهما مسبقا للسيطرة على الطبيعة وعلى الإنسانية، يقول ماركيوز:**<<وهكذا قدم المنهج العلمي الذي فتح الباب على مصرعيه أمام السيطرة الفعالة على الطبيعة مفاهيم محضة ولكنه قدم أيضا مجموع الأدوات التي سهلت سيطرة الإنسان على الإنسان على نحو مطرد الفعالية من خلال السيطرة على الطبيعة>>**.[2]

والهدف الذي ادعت المجتمعات الصناعية أنها تسعى إلى تحقيقه قد تجاوزته، وهو السيطرة على الطبيعة كما أنها أصبحت تقمع الإنسان وتهدده وتهدد البيئة برمتها.

أما نظرة فروم للمجتمع التكنولوجي فهي لا تختلف كثيرا عن ما ذهب إليه زملائه في مدرسة فرانكفورت فهو يرى أن المجتمع التكنولوجي **<<هو نسق المستقبل ولكن ليس هنا بعد إنه يمكن**

[1] ماركيوز: الإنسان ذو البعد الواحد، ترجمة جورج طرابيشي، منشورات دار الأدب، بيروت، ط3، 1988، ص53.

[2] نفسه، ص190.

أن يتطور مما هو موجود من ذي قبل وهناك احتمال أنه سيتطور مالم يرد عدد كاف من الناس الخطر>>.[1]

وهو يرى أن بإمكان هذا المجتمع أن يتطور أكثر مما هو عليه ما لم تأتي صحوة على البشر تنقذهم من سباتهم وتنوه على الخطر المحدق بهم، فالمجتمع التكنولوجي يرى أنه مادام بإمكان التقنية أن تفعل فإنها لن تتوقف ولن تدخر جهدا في سبيل اختراع نووي أشد مما وصلت إليه ومادام بإمكانها أن تصل إلى كوكب آخر فهي ستسعى وإن كان على حساب الإنسان مادامت لا تستطيع التضحية بالأرض، فستضحي لتحقق ما لم تحققه فيه وهذا يعني حسب فروم**<< ففي كل القيم التي طورها التراث الإنساني...وبمجرد تقبل المبدأ بأن شيئا ينبغي أن يحدث لأنه ممكن من الناحية فعله وكل القيم الأخرى يجب انزالها من على عرشها ويصبح التطور التقني أساس فلسفة الأخلاق>>.**[2]

وهنا نجد فروم يسعى إلى توضيح مبدأين الأول، هو ما ينبغي أن يتم لأنه من الناحية التقنية ممكن، حتى لو كان ذلك على حساب احتياجات الإنسان أو احتياجات ما لم تتحقق على وجه الأرض، وبالتالي انتفت كل القيم التي طورها التراث الإنساني.

فالتراث الحديث الذي ستورثه التقنية حسب المجتمع التكنولوجي سيحقق سعادة الإنسان ونموه وفرحه لأنه هو الجمال والخير والحقيقة فستبدل القيم الإنسانية بالقيم التقنية فكل القيم التي عرفها الإنسان ينبغي أن تزول في ظل التقنية في المجتمع المعاصر هي سيدة القيم الأخلاقية ومحركتها.

أما عن المبدأ الثاني فهو مبدأ الكفاية والإنتاج بأكبر قدر وأن مطلب الكفاية يفضي إلى تدني الفردية إلى أدنى مستوى وتعمل الآلة الاجتماعية بمزيد من الكفاية.

فالإنتاج التقني أصبح بلا حدود ودون ما يحتاجه الإنسان فهو ينتج ولا يفكر في مستقبل من سيأتي بعده فالإنسان المعاصر لم يعد في قاموسه مصطلح الكفاية الذاتية فهو يستهلك الطاقة بشكل غير محدود ويعبد الآلة ويمجد بها، ولا غنى للفرد عنها فهو يتحرك وفق إيقاع الآلة ونغمتها ويقتني أشياء لا فائدة له منها.

[1] إريك فروم: ثورة الامل، ص63.

[2] نفسه،ص64،63.

الفصل الثاني: الهيكلة النفسية للإنسان المعاصر عند إريك فروم

إن التطرق للبنية النفسية غاية في الأهمية، لما لها من دور في التعرف على حياة الإنسان وطبيعته، وقد اهتم فروم بهذا الجانب من أجل التعرف على النفس الإنسانية من خلال دراسته لفرويد أولا، فهو يعتبر مُرْتكز أساسي لفلسفته النفسية، والجانب النفسي من منظور فروم يلعب دور حاسم في تشكيل شخصية الإنسان ليصل من خلاله إلى فهم الهيكلة النفسية للإنسان المعاصر، ويسعى فروم من خلال معالجته للبنية النفسية إلى إيجاد حل لازمة الإنسان المعاصر.

المبحث الأول: ماهية البنية النفسية عند إريك فروم

أولا: مفهوم البنية النفسية(Structure psychologique)

1- تعريف البنية النفسية

تعتبر النفس انعكاس للعالم وللشخصية الإنسانية، ما جعلها تبلغ حدّا كبيرا من التعقيد، والبنية نوع من التركيب الخاص للكائنات أو الأجسام، ونوع التركيب هو الذي يعطي نوع البنية، كما تعرف البنية عند الجشطالت أن الكل لا يساوي مجموع أجزائه وليس للشيء معنًا إلاّ بالكل **<<تطلق على الكلّ المؤلف من الظواهر المتضامنة، بحيث تكون كل ظاهرة منها تابعة للظواهر الأخرى، ومتعلقة بها>>**.[1]

فالبنية النفسية وحدة كلية منظمة، وليست مجموعة من عناصر أجزاء متراصة، فهي كلّ مركب اندمجت عناصرها ببعضها البعض فهي مجموعة الخصائص النفسية والعقلية والجسمانية التي تُكوّن الفرد.

وإريك فروم لا يفصل الفرد عن المجتمع، وهو يرى أن المحيط الذي يعيش فيه الفرد من أسرة ومدرسة ومجتمع بصفة عامة قد تُقوض ظروفا ملائمة أو غير ملائمة للنمو النفسي للأفراد، فما قد يسود من عوامل الضغط والتسامح، القمع أو الحرية، التسيب أو الانضباط، وما قد يتوفر للأفراد من مقومات الشعور بالأمان والتهديد كل هذا ينعكس بشكل قوي على حياة الأفراد النفسية ويساهم في تشكيل بنية الفرد النفسية.

[1] جميل صليبا: المعجم الفلسفي، ج1،مادة البنية، ص 218.

وتتكـــون البنيـــة النفســـية عنـــد **ســـيغموند فرويـــد** مـــن مجموعـــة مـــن العناصـــر وهي الأنا، الأنا الأعلى والهو.

أ- الأنا(Ego)

وهو مركز الشعور والإدراك الحسي الخارجي والإدراك الحسي الداخلي والعمليات العقلية، وللأنا مجموعة من الخصائص:

- إنّها هي المتوجهة نحو الخارج والتي تنقل الإحساسات الداخلية نحو الخارج.
- فاعليتها فاعلية شعورية، وتُكون منظومة الإدراك والشعور مع شمولها في الوقت نفسه على عناصر لاشعورية.
- تتفحص وتراقب، الأحلام على سبيل المثال.
- ينطلق الكبت منها.
- تحمي الشخص وتُكيفه مع المحيط.[1]

فالأنا يتكفل بالدفاع عن الشخصية ويعمل على توافقها مع البيئة، وإحداث التكامل وحل الصراع بين مطالب الهو وبين مطالب الأنا الأعلى وبين الواقع، فالأنا حسب فرويد محرك منفذ للشخصية، ويعمل الأنا في ضوء مبدأ الواقع ويقوم من أجل حفظ الذات والتوافق الاجتماعي، وينمو الأنا عن طريق الخبرات التربوية التي يتعرض لها الفرد من الطفولة إلى الرشد.

ب- الهو(lui)

<<هو ذلك القسم من الجهاز النفسي الذي يحوي كل ما هو موروث وما هو موجود منذ الولادة وما هو ثابت في تركيب البدن>>.[2]

فالهو هو منبع الطاقة الحيوية والنفسية التي يولد الفرد مزودا بها، فهو يحتوي على ما هو ثابت في تركيب الجسم، و يضم الغرائز والدوافع الفطرية الجنسية والعدوانية، وهو الصورة البدائية للشخصية قبل أن يتناولها المجتمع بالتهذيب والتحوير، ومستودع القوى والطاقات الغريزية، كما أنه جانب لا شعوري

[1] فريق من الباحثين: علم النفس وميادنه ممارسة علم النفس ونقده، ترجمة وجيه أسعد، الدار المتحدة، سوريا، ط2، 1993، ص117.

[2] سيغموند فرويد: الأنا والهو، ترجمة محمد عثمان نجاتي، دار الشروق، القاهرة ، بيروت، ط4، 1982، ص 16.

عميق، ليس بينه وبين العالم الواقعي صلة مباشرة، كما أنه لا شخصي ولاإرادي لذلك فهو بعيد عن المعايير والقيم الاجتماعية، لا يعرف شيئا عن المنطق ويسيطر على نشاطه مبدأ اللذة والألم، ويندفع إلى إشباع دوافعه اندفاعا عاجلا في أي صورة وبأي ثمن.

ج- الأنا الأعلى(le sur-moi)

<<هو ذلك الأثر الذي يبقى في النفس من فترة الطفولة الطويلة التي يعيش فيها الطفل معتمداً على والديه وخاضعاً لأوامرهما ونواهيهما... وهو ما يعرف عادة بالضمير، ويمثل الأنا الأعلى ما هو سام في الطبيعة الإنسانية>>.[1]

وبهذا فإن الأنا الأعلى مستودع المثاليات والأخلاقيات والضمير والمعايير الاجتماعية والتقاليد والقيم، والصواب والخير والحق، والعدل والجلال، فهو بمثابة سلطة داخلية أو خارجية، رقيب نفسي وهو لا شعوري إلى حد كبير وينمو مع الفرد، ويتأثر الأنا الأعلى في نموه بالوالدين ومن يحل محلهم مثل المربين والشخصيات المحبوبة في الحياة العامة والمثل الاجتماعية العليا، كما أنه يتعدل ويتهذب بازدياد ثقافة الفرد وخبراته في المجتمع، ويعمل الأنا الأعلى على ضبط الهو وكفه عن إشباع كل ما يراه المجتمع خطأً أو محرماً من الدوافع وذلك من خلال الأنا.

وبهذا فإن العناصر المكونة للجهاز النفسي هي أساس البنية النفسية عند فرويد إضافة إلى الشعور وهو منطقة الوعي الكامل والاتصال بالعالم الخارجي، فهو الجزء السطحي فقط من الجهاز النفسي، وكذلك اللاشعور الذي يحوي ما هو كامن وليس متاح ومن الصعب استدعاؤه لأن قوى الكبت تعارض ذلك، وأخيرا ما قبل الشعور؛ ويحتوي على ما هو كامن وما ليس في الشعور و هو متاح ومن السهل استدعاؤه إلى الشعور مثل الكلام والذكريات المعارف.

2- الإنسان عند فرويد

لقد قُدمت عدة تعاريف عن الإنسان منها أنه كائن اجتماعي وحيوان ناطق... أما عن التعريف الذي قدمه فرويد فهو يرى **<<أنه كائن أو حيوان فسيولوجي ذو مظاهر نفسية وهو ذو طبيعة ثابتة>>.**[2] يحيل هذا التعريف الإنسان إلى جانب واحد وهو الجانب الفسيولوجي النفسي، فقد أغلق

[1] سيغموند فرويد: الأنا والهو، ص 17.

[2] محمد سبيلا: مدارات الحداثة، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، ط1، 2009ص 15.

فرويد دائرة التعريف للإنسان في هذا الجانب، فهو يرى أن الإنسان تحركه قوتان هما الحب والحفاظ على الذات، ومصدر الطاقة الإنسانية هي الغرائز التي تسعى إلى الحفاظ على البقاء والاستقرار والتوازن ما يولد في الإنسان جانبا عدوانيا شريرا من أجل حماية نفسه والحفاظ عليها.

فالبنية البيولوجية للإنسان ذات طبيعة عدوانية، فالإنسان عند فرويد ليس بالإنسان الطيب أو الضعيف ومكوناته الغريزية تحتوي على قدر كبير من العدوانية أكثر من احتوائها على الحب، فهو يشبع حاجاته عن طريق الاعتداء، كما يرى فرويد أن الظواهر الاجتماعية هي التي أحالت الإنسان إلى الأنانية وثبتت العدوانية في الجانب البيولوجي فهو يرث من المجتمع كذلك السلوكيات العدوانية.

أ. الطبيعة البشرية عند فرويد:

وقد قدم فرويد تعريفا للطبيعة البشرية من خلال أن الإنسان **<<آلة تدفعها طاقة جنسية ثابتة نسبيا تسمى الليبدو>>**[1]

فالليبيدو طاقة حيوية يشتمل على مجموع الحياة الوجدانية للإنسان، فالطبيعة الإنسانية هنا حسب فرويد تحوي الألم واللذة، ويكون الليبيدو(libido) دافعا إيجابيا في بناء شخصية الإنسان، فهو يملي على الإنسان ما ينبغي أن يفعله وأن يطمح إليه وكذلك يمنعه مما ينبغي أن يتفاداه للحفاظ على بقائه، فالإنسان كما يتصوره فرويد هو كائن أو حيوان فسيولوجي ذو مظاهر نفسية وهو ذو طبيعة ثنائية، وإن تغيرت فإنما يحدث التغير في مظاهرها فقط لا في عمقها ومكوناتها الأساسية، إذن فالإنسان أداة وآلة فسيولوجية مغلقة على نفسها بصورة مونادية تحركها قوتان هما الحفاظ على الذات والحب، كما أنها مزودة بطاقة ثابتة الكم، مستودعها الأصلي هو الغرائز؛ وهي آلة يجتذبها ميل دائم نحو الاستقرار والتوازن ونحو التخلص من التوتر المستمر الذي تستشعره هذه الطاقات سواء في صياغتها الأصلية الجوع والحب، أوفي صياغتها النهائية الحياة والموت، وهي التي تدفع الكائن إلى الحركة لتحقيق متطلبات الغرائز والنفس التي هي موطن الغرائز هذه هي عبارة عن مجال لصراع دينامي بين دوافع متعارضة[2].

[1] إريك فروم: ماوراء الاوهام، ص37.

[2] محمد سبيلا: مدارات الحداثة، ص15، 16.

إن فرويد يجعل من واقع الإنسان ماهية له، فالإنسان الذي يتحدث عنه فرويد ليس إلا الإنسان كما تنشئه وتصوغه الملكية الخاصة ونظام السوق أنه الإنسان الجشع الإنسان العدواني، ما يدفع فرويد إلى ترسيم هذه الصورة المرحلية للإنسان في دالتونية اجتماعية، التي تحيل الظواهر الاجتماعية إلى مكونات بيولوجية ثابتة، وهي جزء من إيديولوجية علماوية وذات سمات وضعية كانت تطغى على الفكر الأكاديمي في تلك الفترة، وهذه النزعة العَلموية تتبطن بأحكام قيمة أخلاقية واضحة من تلك الأحكام القيمية التي يكونها فرويد عن طبيعة إنسانية شريرة وغير اجتماعية، بينما لا نكاد نعثر على مثل أحكام القيمة هذه عند ماركس، فالإنسان عند هذا الأخير لاحق لنوع العلاقات الاجتماعية المحيطة التي تتوقف بدورها على نمط الإنتاج السائد.

<< إن تصور فرويد الأساسي للإنسان هو تصور فلسفي أخلاقي تشوبه أحكام قيمية ونموذج الإنسان عنده هو مزيج يضم خليطا من المفاهيم الكارهة للإنسان>>.[1]

فهو يرى أنها نظرة فردية، فحسب فرويد الفرد دائما في تعارض مع المجتمع، بسبب طبيعته الفردانية العميقة ونرجسيته الفطرية، وبسبب تعارض مبدأه الأساسي مبدأ اللذة تعارضا حادا ومستمرا مع مبدأ الواقع بما يتطلبه من ارغام تفرضه مصالح المجتمع ورغبات الآخرين، إن التعارض بين الإنسان والعالم والمجتمع والآخرين هو تعارض دائم لا فكاك منه، لأن الكائن لا يمكن أن يصل إلى لحظة النيرفانا إلا في الحالة غير العضوية، أضف إلى ذلك التعارض بين الفرد والحضارة، لأن هذه لا تقوم إلا على أساس الحد من جزء من رغبات الفرد، وعلى تحويل جزء من طاقته الليبيدية نحو خدمة وبناء الحضارة، وفي هذا المجال يمكن اعتبار مفاهيم فرويد عن الحضارة متأثرة إلى حد بعيد بالقيم الرومانسية الممجدة للفرد والطبيعة ضد المجتمع والحضارة، ونحن نعتقد أن الإشكال يرتفع حين يحل الإنسان محل مفهوم الحضارة، وحين يتم فهم المجتمع الرأسمالي أو فهم الحضارة الرأسمالية على وجه التحديد.

ولعل من أهم مساهمات فرويد في فهم الإنسان هي نظرية اللاشعور، أي ذلك الجانب العميق من النفس الإنسانية الذي ظل مجهولا والذي لا يمتلك مع ذلك امتياز كونه موجها في خفاء إلى سلوك الفرد.

[1] محمد سبيلا: مدارات الحداثة، ص18.

3 - المحددات الاجتماعية للإنسان عن فرويد

يرى فروم أن فرويد كان ناقدا للمجتمع البرجوازي **<<لقد رأى أن المجتمع يحمل الإنسان آلاما لا فائدة منها تخلق مضاعفات بدلا من التحسن المنشود>>**.[1]

فالمجتمع يمثل سلطة على الإنسان في نظر فرويد، هذه السلطة قامعة للإنسان وهي تمنعه من تحقيق رغباته وأهدافه، ما يؤدي إلى تشكل نوع من العُصَاب لدى الفرد، و فروم يرى هنا أن فرويد لم يساهم في إصلاح الأسس الاجتماعية والاقتصادية للمجتمع الرأسمالي ماعدا نقده الاستثنائي الخاص بالجانب الليبدي، فقد عزل فرويد الإنسان عن المجتمع ورأى أن همه إشباع أناه، فالإنسان عند فرويد آلة فسيولوجية وأما علاقته الاجتماعية وحاجته إليها فهي كذلك تسلك طريق الرغبات الليبدية فسيولوجيا.

هذه هي حاجة الفرد للآخر داخل النسق الاجتماعي في نظر فرويد، وهنا يقول فروم **<<أن إنسان فرويد الجنسي شبيه بالإنسان الاقتصادي الكلاسيكي فكلاهما معزول ويكتفي بنفسه وعليه أن يقيم علاقة مع الآخر ليتسنى لهما إشباع حاجاتهما>>**.[2]

وعليه فإن حاجات الإنسان الجنسية هي حاجات فسيولوجية وحاجات الإنسان الاقتصادي هي حاجات استهلاكية اقتصادية، ويسعى فروم من خلال هذا الطرح إلى جعل العلاقة هنا علاقة تبادلية تكاملية بين الجانب الفسيولوجي النفسي والجانب الاقتصادي الاجتماعي، لتحقيق وإشباع الرغبات والدوافع بين الإنسان في جانبه النفسي والاجتماعي حتى لا يبقى الإنسان في كلا الحالتين غريب.

ومن هنا نخلص إلى أن فرويد حسب وجهة نظر إريك فروم يرى أن الأخلاق والدين ما هم لا شبه قيم، فحسب فرويد نجدها تشكل عُصَاب ووسواس؛ فالمحرمات الدينية والأخلاقية ما هي إلا عُصَاب مرضي، فهي قيم مجهولة وخفية ولا شعورية، فالقيم ما هي إلا مجموعة من المكبوتات والعقد النفسية فالقيمة عند فرويد آلية وليست وليدة إنتاج الإنسان وإبداعه وبهذا فهي تُنتظم في دائرة المكبوتات.

---

[1] إريك فروم: أزمة التحليل النفسي، ص 37.

[2] نفسه، ص 38.

ثانيا: الصحة النفسية عند فروم

1- مفهوم الصحة النفسية

يرى فروم أن الصحة النفسية يمكن تعريفها من خلال منطلقان، الأول موجه مجتمعيا والثاني موجه فرديا، أما عن التعريف الأول **<<يعني أن الإنسان سليم إن كان قادرا على الاضطلاع بالوظائف التي يكلفه بها المجتمع>>**[1] أي إن كان الإنسان قادرا على أداء العمل الذي يكلفه به مجتمعه، سواء كان هذا العمل الذي سيؤديه الفرد مرغوبا لديه أو منبوذ، المهم أن يرضى مجتمعه، فما يحسنه المجتمع ينبغي أن يكون حسنا لدى الفرد وما يقبحه يكون قبيحا لديه، حتى وإن كان هذا يخالف مُيولاته ورغباته فإن المجتمع هنا هو الذي يحدد إن كان الفرد سويا أو لا، فإن خالف شخص معين داخل طائفة أو جماعة أو مجتمع معين ما يطلب منه حتى وإن كان مطلب هذا المجتمع هو المطلب الغير سوي، فإن الفرد هو من يعتبر في نظرهم مريضا نفسيا، وغير سوي، أو حتى إن قام الفرد بفعل مخالف لهذا الجمع، فإن فعله سواء كان صحيحا أو خطأ كان مخالفا للجماعة فإن الفرد هو من يعد شاذا عن الجماعة، وهذا يعني هنا أن المجتمع هو من يحكم على الإنسان إن كان سليم أو مريض.

أما عن التعريف الثاني **<<لا تقرر فيه الصحة النفسية بواسطة الوظيفة المناسبة في أي مجتمع معطى بل تقررها معايير متأصلة في الإنسان>>**.[2]

فهذا المفهوم يرتبط بمفهوم القيمة التطورية للإنسان بالتطور القيمي، التطور المرحلي للإنسان من الطفولة إلى نهاية الإنسان، فقد تكون هناك أشياء لدى الطفل يعتبرها البعض سُلوكات غير لائقة لكنها ضرورية في مرحلة الطفولة مثل النرجسية، فهي في مرحلة الطفولة لا تعد مرضا لكن في مرحلة الشباب تصبح غير لائقة.

وحسب فروم فإن مفهوم الصحة النفسية عند فرويد متعلق بالتخلص من عقدة أوديب، فالتطور الإنساني ارتقائه يمر بمراحل بدايتها عقدة أوديب إلى أن ينتهي إلى الارتقاء وتجاوز هذه المرحلة، وحصول

[1] إيريك فروم: مساهمة في علوم الإنسان، ص 109.

[2] نفسه، ص 110.

الرضى، أما عن وجهة نظر فروم وتحديده للصحة النفسية فهو يقول **<<عندما أفكر في الصحة النفسية للفرد أفكر بشكل رئيسي في الصحة النفسية للمجتمع>>**.[1]

و فروم على هذا النحو يرى أن الصحة النفسية للفرد لا يمكن عزلها عن الصحة النفسية للمجتمع، مادام الفرد جزء من المجتمع، لذا نجده يسعى إلى بناء ما يعرف بعلم النفس الاجتماعي، ونجده يوضح رأيه من خلال فكرة أفلاطون القائلة أن العقل السليم في الجسم السليم، ومن هنا يرى فروم أن الكثير من العقول السليمة موجودة في أجسام غير سليمة، وبهذا يرى أنه توجد حالات استثنائية فهناك عقول سليمة في مجتمعات سليمة وعقول سليمة في مجتمعات غير سليمة، وبالتالي لا يمكن فصل الفرد عن المجتمع.

فالصحة النفسية تجعل الفرد على وفاق مع المجتمع وعدم الشذوذ عنه وعدم مخالفته، فهي عكس المرض النفسي الذي يعني عدم التوافق مع المجتمع، ففي الصحة النفسية يمتلك الإنسان القدرة على التطور سواء كان ذلك في أحوال النفس الثلاث وهي حالة الأبوة، وحالة الطفولة، وحالة الرشد، باعتبار أن الشخص السليم نفسيا يعيش بهذه الحالات في تناغم وانسجام، وفي حال الاختلال يحدث المرض وكذلك على المستوى العملي يكون هناك تطور، فالإنسان ينمي ويطور قدراته العملية ليضمن بقائه وبقاء غيره.

2- شروط الصحة النفسية

أ- التغلب على النرجسية(Narcissime)

النرجسية بمختلف تعاريفها تعني حب الذات، حيث يرى الإنسان النرجسي نفسه الأفضل في كل شيء مهما كان ويتصور الآخرين بمكانة أقل منه، ويطلق اسم النرجسية **<<على الشذوذ الجنسي الذي يجعل المرء غارقا في عشق ذاته>>**.[2]

فهي بذلك افتتان المرء وإعجابه الشديد بنفسه وجسده، فتجعل المرء عاجزا عن عشق غيره أو إقامة علاقة عاطفية مع الآخر، وتركز عاطفته الجنسية حول جسده نفسه، إلى حد يجعل النرجسي يؤثر إشباع رغباته الجنسية عن طريق العادة السرية على إشباعها من طريق الإتصال الجنسي

[1] إريك فروم: مساهمة في علوم الإنسان، ص 115.

[2] جميل صليبا: المعجم الموسوعي، ج2، مادة النرجسية، ص 462.

السوي، والنرجسية تنشأ عادة في مرحلة الطفولة، يقول فرويد **<<من الضروري أن نسلم بأنه لا وجود لوحدة شبيهة بالأنا لدى الفرد في البداية فلا بد من أن يطرأ على الأنا ضرب من النمو ولكن الدوافع الذاتية موجودة منذ البدء>>**.[1]

وهو هنا يبين أنانية الفرد فهو يرى أنه لا شبيه له، كونه الأجمل والأفضل، وهي حسب وجهة نظر فرويد طبيعة متأصلة في الإنسان، ولذا نجد فروم يرى أن النرجسية عند فرويد هي موقف نفسي يتغلب فيه الذاتي والاحتياجات الخاصة أكثر من العالم الخارجي، وهذا ما يتجلى عند الطفل، ويؤيد فروم فكرة فرويد في أن النرجسية تلعب دورا هاما لدى كل الناس والنرجسي عند فروم **<<غير قادر بالتأكيد على تصور العالم العاطفي Enotianolly بواقعيته هناك يتصوره ذهنيا Intellecholly وإن لم يتصوره كذلك فلن يكون عاقلا>>**.[2]

فهو من فرط الأنانية لا يميز بين العالم العاطفي والعالم الواقعي، ونجد أن فروم يضرب مثال على ذلك من خلال أن الشخص إذا أحب آخر فإنه لا يصدق فكرة أن ذلك الإنسان لا يبالي به؛ فهو يرى أنه كيف لهذا الشخص أن لا يحبه، فالنرجسية تشوه الحقيقة للإنسان الذي يرى فروم أنه ينبغي التغلب على النرجسية، يقول **<<إن هدف الإنسان هو أن يتغلب على نرجسيته أن يكون قادرا على الحب أن يكون قادرا على تجاوز هذه العبادة لأناه>>**.[3]

وعليه فإن التغلب على النرجسية حسب فروم لا يكون إلا من خلال الحب، حب الإنسان للإنسان، من أجل قتل الأنانية الذاتية التي تقصي الآخر من دائرة الأنا، وأن تكسب الذات التعاطف مع الآخرين والتخلص كذلك من تأليه الذات، فقد سعى فروم إلى دمج الأنا مع الآخرين والتفكير فيهم، وتجنب تقص عيوبهم وانتقادهم وعدم استغلالهم لتحقيق مصالح شخصية وتجنب الإفراط في الغيرة والتفكير في الصالح العام واحترام قرارات وآراء الآخرين، وتقبل وجهة نظرهم، فعلماء النفس يركزون في علاجهم للنرجسية على السلوك الذي يرتكز على إزالة هذه العادات والمعتقدات والسلوكيات السلبية من داخل الشخص وإحلال صفات إيجابية مكانها كأن نقضي على الأنانية بالتعاون.

---

[1] فريق من الباحثين: علم النفس وميادينه من فرويد إلى لاكان ممارسة علم النفس ونقده، ترجمة وجيه أسعد، الدار المتحدة، مؤسسة الرسالة بيروت، ط2، 1993، ص 110.

[2] إيريك فروم: مساهمة في علوم الإنسان، ص 117.

[3] نفسه، ص 119.

وإريك فروم يعقد آمالا كبيرة على تطور العلوم الحديثة التي سيكون لها دور كبير في القضاء على النرجسية، يقول فروم **<<نعقد آمالا كبيرة على تطور العلوم الحديثة التي ستقود أيضا إلى موقف من الموضوعية والسبب Reasom الذي هو جوهر التغلب على النرجسية>>**.[1]

وهنا نجد أن العقل له أهمية كبيرة في القضاء على النرجسية خاصة العقل العلمي، وهنا يستثني فروم نرجسية بعض العلماء الذين قادتهم نرجسيتهم إلى تدمير العالم من خلال السعي نحو التسلح، وغير ذلك فهو يرى أن النرجسية تنتقل من نرجسية فردية إلى نرجسية جماعية مثل النرجسية العرقية والقومية وغير ذلك، ويسعى فروم إلى تهذيب النرجسية من خلال العلم الحديث وتوجيهه لصالح وخدمة الإنسانية.

ب- التغلب على الاغتراب(Alienation)

يبحث منهج التحليل النفسي في الاغتراب انطلاقا من الذات بمفهومها اللاشعوري من خلال ارتباطها بسلسلة من الدلائل التي ارتسمت في تاريخ حياته، بما تخلل ذلك من أحداث كان من نتيجتها تكوين أوهام وامتثالات لاشعورية أصبحت الموطن الأول المعبر عن رغباته، ومن هذا المنطلق بدأ فرويد، فهو يرى أن الدوافع اللطيفة والبناءة والمفعمة بالحب لدى الإنسان ليست أولية بل نشأت بصورة ثانوية من ضرورة كبت دوافعه الخبيثة الأصلية، وهو ما يصور الحضارة على أنها نتيجة هذا النوع من الكبت، فهو يرى أن الإنسان تتحكم فيه بالأصل دوافع شريرة وكلما نما المجتمع وتطور، كلما مضى في إكراه الإنسان على أن يقمع ويكبت هذه الدوافع، حيث يلجأ لآلية تصعيدها، ولكن لما كانت قدرة الإنسان على تكوين ردود فعل تصعيديه محدودة فإن هذا الكبت يبقى غير ذي فاعلية وغير ذي تأثير، حيث تعود الدوافع الأصلية إلى الحياة وتنشيطها، وبما أنه من الصعوبة إحداث تغيير عميق في تلك الدوافع الأصلية فإن ذلك سيفضي إلى أعراض عُصَابية هي الاغتراب **<<فالفرد في المجتمع المعاصر حيث يعزل نفسه ويقيم حاجزا بين نفسه وسائر الأفراد>>**.[2]

ويفقر عالمه الروحي ليحصره في طائفة من أكثر الاحتياجات بساطة يسعى إلى استرجاعها وتخطي الحواجز التي أقامها بنفسه، فالاغتراب في ظل المجتمع المعاصر هو عملية اجتماعية تتحول فيها نشاطات الإنسان وصفاته وقدراته إلى شيء مستقل عنه، بل ومسيطر عليه تتعرض فيه النفيسة الإنسانية لضعف

[1] إريك فروم: مساهمة في علوم الإنسان ص 119.

[2] جمال تالي: الاغتراب من الفكر الفلسفي إلى ما بعد الحداثة محاولة لتحليل تطور مفهوم الاغتراب وأزمة الإنسان المعاصر، ص 205.

والانهيار، من خلال تأثير العوامل الثقافية الاجتماعية التي تتم داخل المجتمع فتنمو شخصية الفرد الإنسانية مشوهة، وتفقد مقومات الإحساس المتكامل بالوجود والديمومة مثل حالات الاضطراب التي تعتبر صورة من صور الاغتراب التي تعتري الشخصية.

وتنتقل كذلك الشخصية إلى صراع بين الذات والموضوع من العالم الخارجي إلى العالم الداخلي في النفس الإنسانية، فالاغتراب النفسي لا يختلف عن الاغتراب الديني والسياسي والاقتصادي، ذالك أن شخصية الإنسان عند فروم وحدة متكاملة في جوانبها البيولوجية والنفسية والاجتماعية، كما هي واحدة مع العالم الذي يعيش فيه الإنسان بكل أبعاده المختلفة.

ويسعى فروم إلى معالجة الاغتراب من خلال حث الإنسان على التغلب عليه، يقول فروم **<<إن تغلب الناس على الاغتراب هو بوضوح القاعدة الأساسية للاستقلال من أجل أي نوع من الديمقراطية غير المنقوصة>>**.[1]

فالتغلب على الاغتراب من أهم العوامل التي من شأنها أن تقيم الصحة النفسية، وبالتغلب عليه تعود للإنسان قواه من شعور بالذات وقدرة على التكيف مع المجتمع والتأثير في المواقف الاجتماعية والسياسية، والحصول على الاستقلال الفردي والتخلص من التبعية والخضوع للأجزاء، ويستطيع الإنسان معرفة معنى وجوده ومعرفة المعايير الاجتماعية لضبط سلوك الفرد، ويرى فروم أنه يجب من أجل هذا إحداث **<<تغيرات اجتماعية هامة تغيرات لا يكون الفرد فيها خاضعا لزعماء قبائل أو بيروقراطية، تغيرات يكون له فيها دور فعال ومسؤول في تشكيل حياة اجتماعية>>**.[2]

ذلك أن الفرد عضو فاعل في المجتمع وينبغي أن يؤثر فيه ويساهم في بنائه، ولا يكون ذلك إلا من خلال اللامركزية أي عدم اعتماد الفرد على جهة معينة لتوفير خدماته وتحقيق متطلباته، بل ينبغي أن يكون له صوت ويساهم في هيكلة المجتمع وتجنب العزلة التي ينفصل فيها عن المسؤوليات وتولد في داخله القلق.

على الرغم من أن فروم سعى إلى معالجة الصحة النفسية من خلال حديثه عن الاغتراب إلا أنه لم يقدم الحلول التي توضح كيفية التغلب على هذه المشكلة التي يعاني منها الإنسان المعاصر.

---

[1] إريك فروم: مساهمة في علوم الإنسان، ص 125.

[2] نفسه، ص 125، 126.

ج- التغلب على العدوان(Agression)

أورد إريك فروم العدوان على اعتبار أنه يعود سلبا على الصحة النفسية العدوانية **<<غريزة يغذيها ينبوع طاقة دائم التدفق وليس بالضرورة نتيجة استجابة لمثيرات خارجية>>**[1].

فالعدوان هو مجموعة المقاصد الكامنة وراء السلوك البشري، وهو في الغالب إلحاق الضرر أو الأذى بالغير وحتى بالنفس، فهو يكون أحيانا نتيجة عدم القدرة على ضبط الذات للتوافق مع نظام المجتمع والعجز عن تحقيق التكيف والمواءمة المطلوبة للعيش في المجتمع أو الخوف من الموت ويميز إريك فروم بين نوعين من العدوانية، عدوانية تفاعلية، وعدوانية مجامعة الموتى؛ الأولى هي:

<<رد فعل على القلق، فالشخص الخائف هو عدواني شرط أن يكون خائف عديم الحيلة>>.[2]

فالعدواني هنا يحاول أن يثبت وجوده عن طريق العنف فهو قلق وخائف، فهو يكبت أشياء كثيرة نتيجة خضوعه للسلطة في العصور الوسطى وكذلك هو الحال اليوم نتيجة الخوف و القلق من التكنولوجيات الحديثة يحاول الإنسان أن يخفي عدم قدرته وجدارته بالعنف بما أنه كبت الكثير ما يترتب على ذلك العنف والاعتداء.

أما العدوانية التي يسميها مجامعة الموتى أو حب الموت وأبرز مثال يعرضه فروم عنها نجده في شخص هتلر، حيث يصفه بأنه أكثر من يشعر بالنشوة عند قتله للآخرين، فهو يسخر قوته للسيطرة والاستمتاع بإيذاء الآخرين، وقد وصف فروم هذا النوع من العدوان بالعدوانية الخبيثة والتي يرى أنها تحمل شعار ليحي الموتى على لسان **الجنرال ميلان** والتي رد عليها **أونامونو**(Miguel de Unamuno) وقال **<<الآن للتو سمعت صرخة جماع الموتى والهراء ليحي الموتى>>**[3] فهم هنا يستمتعون بالأذية للآخرين وإبراز قواهم ليثبتوا أنهم يحظون بمكانة اجتماعية، فهم يؤذون الآخرين حتى وإن لم يكن هناك دافع أو سبب، فشعورهم بالضجر لا ينتفي إلا باعتداء والاستمتاع بتعذيب الآخرين، ما يدفعهم لإبراز قواهم وجلب الانتباه إليهم لا لأي سبب بل من أجل المتعة، بالإضافة إلى تحقيق الإحساس بالقوة والضبط والسيطرة وطبقا لهذا فإن هذا العدوان يكون بدون تفكير.

---

[1] إريك فروم: تشريح التدميرية البشرية، ج1، ص 57.

[2] إريك فروم: مساهمة في علوم الإنسان، ص 126.

[3] نفسه، ص 128.

و يرى فروم أن السبب الرئيسي لهذا العدوان هو:**<<أن كل إنسان يفشل في تطوير ما أسميه قواه الكامنة الأساسية، أي عندما يفشل في الارتباط بالحياة كشيء مثير للاهتمام، مبهج، أو يطور قدراته على الحب والاستنتاج المنطقي...عندئذ يكون الإنسان عرضة لتطوير نوع آخر من الارتباط وهو تدمير الحياة>>.**[1]

أي أن الإنسان يمتلك قوة كامنة في داخله لم يستطع أن يسخرها لخدمة الإنسانية وتوجيهها بشكل ايجابي، فيحاول أن يظهر للعالم ولا يستطيع أن يثبت وجوده إلا عن طريق الاعتداء والقتل رغم امتلاكه للقوة إلا أنه فاشل في الارتباط بالحياة بشكل ايجابي، ولا يستطيع أن يرى الحب والتعاون بين الناس فيطور قوى العنف والتدمير بداخله، وبهذا يتعالى على الحياة بتدميرها، فتدمير الحياة هو التعالي على خلقها وعدم المساهمة في بنائها رغم امتلاك القدرة على ذلك وهذا نتيجة الجشع والأنانية والخوف من أن يرى الآخرين سعداء.

وللقضاء على هذه الأنانية في الإنسان ينبغي وجود شروط فردية واجتماعية معينة لكي تستقيم الحياة النفسية، وكذلك إيمان الفرد بقدراته الشخصية كما يرى فروم أنه **<<يمكن أن يعتمد باعتدال على شخص آخر دون أن يتغذى منه ولا أن يتغذى عليه إن التعبير الايجابي هو ذلك الذي أسميته التوجه المنتج للإنسان المستقل والحر>>.**[2] أي أنه ينبغي عليه أن لا يخجل من روح التعاون والتكامل الاجتماعي، ولا يسخر الآخرين لخدمته وجعلهم وسائل لتحقيق أغراض شخصية ومنافع خاصة، ولا يكون كذلك هو أداة لتحقيق أغراض الآخرين والتبعية والخضوع لهم، وأن يكون منتج لشروط الحياة الإنسانية الحقة بكامل استقلالية وحرية.

على الرغم من أن فروم سعى لإيجاد حلول للقضاء على الأمراض التي تهدد الصحة النفسية، إلا أنه قدم مجرد عرض لأفكار لا تحتوي على الحلول فهو حدد أمراض النفس ولم يقدم آليات واضحة للقضاء عليها.

وعليه فإن التغلب على هذه الأمراض النفسية التي طغت على الإنسان المعاصر حسب فروم سيساعد الإنسان على العودة إلى إنسانيته والقضاء على كل الأفكار والهواجس التي هيمنت

[1] إريك فروم: مساهمة في علوم الإنسان، ص 129، 130.

[2] نفسه، ص 130.

عليه، ومنه فإن التغلب على تلك الأمراض لا يكون إلا بالتمسك بالقيم الدينية والأخلاقية والتي بها سيتمكن من القضاء على العزلة والعدوان وكذلك النرجسية.

ثالثا: الشخصية في التحليل النفسي(personnalité)

1- المفهوم

يعتبر مفهوم الشخصية من أكثر المفاهيم تعقدا في علم النفس، ذلك راجع لتعدد وتباين الدراسات التي ناقشت الموضوع، أما عن المفهوم الذي أتى به فروم في كتابه الإنسان من أجل ذاته وقد انطوى هذا المفهوم على مصطلحين هما الطبع والمزاج، فالشخصية عند فروم هي **<<كلية الخصائص النفسية الموروثة المكتسبة في فرد واحد وهي التي تجعل الفرد فريدا>>**[1] وبهذا فإن الشخصية عند فروم تحمل موروثات مكتسبة، وهذه المورثات تكسبه شخصية فريدة تميزه عن غيره، وهي تتضمن صفات كامنة في الإنسان وهذا يعني أن الشخصية تتكون ابتداء من طابع جماعي وتتجه نحو عالم الخبرات بصورة اختيارية، كما أنها تتعدّل وتتطور بفضل ما تتلقاه من خبرات، وليست شخصية الفرد سوى نتاج قوي داخله تمارس فاعليتها حيال القوة الخارجية ،كما تتأثر بفاعلية هذه القوى، ويرى فروم **<<أن في كل مجتمع توجد بنية شخصية مشتركة أصلية فهي بنية مشتركة بين غالبية الأفراد المنتمين لمجتمع معين أو لحضارة معينة، وأن هذه الشخصية هي النواة النفسية للفرد التي تشكل سلوكه وأنماط تفكيره وانفعالاته وإدراكه الكلي للعالم الخارجي وعلاقته مع العالم>>**[2] فهي تنظيم دينامي لسمات وخصائص ودوافع الفرد النفسية والفسيولوجية والجسمية وذلك التنظيم الذي يكفل للفرد توافقه وحياته في المجتمع ولكل شخص تنظيمه الذي يميزه عن غيره؛ بمعنى أنه لكل فرد في المجتمع شخصيته الفريدة، فهي تجمع مجموعة من الخصائص الإنسانية التي يتقبلها المجتمع، فهي تؤثر في المجتمع كما تتأثر به، فالشخصية هي نتاج تفاعل العوامل البيولوجية والعوامل النفسية لاسيما البنية الاجتماعية التي تلعب دور الوسيط فهي حصيلة فعل وتفاعل أعداد هائلة من المكونات الأساسية للشخصية ومتغيراتها.

---

[1] فيصل عباس: العلاج النفسي والطريقة الفرويدية النظرية التقنية الممارسة، دار المنهل اللبناني للطباعة والنشر، بيروت، ط1، 2005 ص 249.

[2] إريك فروم: الإنسان من أجل ذاته، ص 84.

وهذا ما أكده فروم في قوله **<<أرى أن الشخصية هي نتاج تفاعل شبكة العلاقات بين الأشخاص في فترة مبكرة من الحياة، كما هي نتاج الظروف الاجتماعية التي أدت إلى تكوينها>>**[1] وهذا يعني أن فروم تجاوز ما قاله فرويد أن الشخصية تتكون في مرحلة مبكرة من النمو، فهو يعترف ويقر بإمكانية تغيرها وتكوينها نتيجة الظروف الاجتماعية.

فالشخصية عنده ليست هي بنية الطبع، حيث يقول **<<هو لب الطبع الذي يشترك فيه معظم أفراد حضارة ما خلافا للطبع الفردي الذي يتميز به الناس المنتمون إلى نفس الحضارة>>**.[2] وهو لا يقصد أن الطبع الاجتماعي ثابت وساكن فالطبع الاجتماعي يميز حضارة عن أخرى، كونه خاصية إنسانية تحفظ مقومات الحضارة، هذا خلافا عن الطبع الفردي الذي يميز إنسان عن إنسان آخر، فالشخصية الاجتماعية حسب وجهة نظر فروم تتولى صياغة وتوجيه الطاقة الإنسانية داخل المجتمعات بغية استمرار وظيفة المجتمع، هذا ما جعل فروم يقول **<<إذا حدث وتطورت احتياجات معينة في مكونات شخصية ما فإن أي سلوك يسير في خط هذه الاحتياجات هو في الوقت نفسه مرض سيكولوجي وعملي من زاوية النجاح المادي وطالما أن المجتمع يقدم للفرد هذين الرضائين في وقت واحد فإنه يكون لدينا وضع فيه توطد القوى السيكولوجية للبناء الاجتماعي>>**[3] وهذا يعني أن للشخصية الاجتماعية عامل نفسي بإمكانه تعزيز استمرارية المجتمع وأداء وظائفه، وتتوقف أهمية الجانب النفسي في إمكانية إنتاج متطلبات التكيف مع المجتمع بأقصى فعالية ممكنة، تتضمن أقل ما يمكن من الاضطراب النفسي وتتشكل هذه الشخصية تحت تأثير عوامل مثل نظام التعليم والدين والأدب والفن ومن ناحية أخرى في عملية التنشئة الاجتماعية التي تتم داخل الأسرة.[4] وخاصة التنشئة الاجتماعية للأسرة على أساس أنها النواة الأولى التي ينشأ فيها الفرد وقد اعتبرها فرويد الوكالة النفسية التي تقرب مطالب المجتمع إلى فهم الطفل.

فالأسرة هي المؤسسة الأولى حاضنة الطفل، فهي تقوم بنقل متطلبات المجتمع للنشئ فالأسرة هي التي تعكس المجتمع للطفل، وتتحقيق هذه المهمة حسب فروم من خلال دورين هما:

---

[1] إريك فروم: الإنسان بين المظهر والجوهر، ص 75.

[2] إريك فروم: ما وراء الأوهام، ص 83.

[3] إريك فروم: الخوف من الحرية، ص 226.

[4] فيصل عباس: العلاج النفسي والطريقة الفرويدية، ص 249.

1- التأثير الذي يحدثه طبع الأبوين في تكوين الطبع عند الناشئ.[1]

2- الدور الذي تلعبه العملية التربوية؛ أي **<<الوظيفة الاجتماعية للتربية باعتبارها تأهيل الفرد لأداء الدور الذي عليه أن يلعبه فيما بعد في المجتمع بمعنى تعديل شخصيته بطريقة تقارب الشخصية الاجتماعية وأن تتطابق رغباته مع ضروريات دوره الاجتماعي والمذهب التربوي لأي مجتمع عندما يتحدد بهذه الوظيفة>>**،[2] وهنا نجد أن فروم الذي يرى أن الشخصية تتغير وتتكيف بنوع الوظيفة وبتلبية متطلباتها فقديما في مرحلة العائلات والعشائر والقبائل، كان الناس يعيشون معتمدين على بعضهم البعض، وقد أوكلوا قيادتهم إلى رؤساء العشائر، وهؤلاء بدورهم قاموا بتأمين الحماية والأمن ووسائل العيش إلا أنه في العصر الحديث بداء الناس يتباعدون عن بعضهم البعض ويستقلون بأنفسهم وتكونت لديهم شخصيتهم وفرديتهم، ولهذا بدأ الناس يشعرون بالوحدة وعدم الأمان و بدءوا يعانون من القلق والحيرةبين أن يختاروا الحرية مع القلق والتوتر والخوف من المستقبل وبين أن يظلوا تابعين للآخر مع ضمان الأمن والطمأنينة.[3]

2- أنماط الشخصية

بعد دراسة فروم لمفهوم الشخصية أقر بوجود أنماط مختلفة للشخصية وهذه الأنماط تحتوي على توجهين، هما التوجه الغير إنتاجي والتوجه الإنتاجي:

أ- التوجه الغير إنتاجي:

ويتضمن هذا التوجه: النمط التلقفي، والنمط الاستغلالي والنمط الادخاري، وكذلك النمط التسويقي.

[1] إريك فروم: ما وراء الأوهام، ص 87.

[2] إريك فروم: الخوف من الحرية، ص 228.

[3] فيصل عباس: التحليل النفسي والاتجاهات الفرويدية المقاربة العيادية، دار الفكر العربي، بيروت، ط1، 1996، ص 126.

-النمط التلقفي "المتلقي:

يرى فروم أن الأفراد من هذا النمط ينسبون مصدر الخير إلى الآخر وليس إلى الأنا، فكل النفع الذي يحصل عليه الإنسان يتلقاه من الخارج، يقول فروم **<<يشعر الشخص في التوجه التلقفي أن مصدر كل خير هو في الخارج ويعتقد أن السبيل الوحيد إلى الحصول على ما يريد... هو أن يتلقفه من الآخرين>>**[1] فكل مصدر خير سواء كان مادة أو عاطفة أو حتى معرفة ولذة وحب؛ إنما يحصل عليه الفرد من الآخرين فهو ينتظر من الآخر الحب، فالفرد يرغب أن تأتي إليه الأشياء من الحب،[2] وينطبق هذا أيضا على المجال الفكري فما دام توجه الفرد هنا هو استقبال وتلقي الأفكار فهو لا ينتج حسب فروم لأنه لا يستطيع البقاء دون الآخر، فهو دائم البحث عن مساعد سحري على حد تعبير فروم وهذا النوع يخشى من فراق من يمد له يد العون، لذا نجده دائما يحرص على إظهار الولاء والإقرار بالفضل ولا يمتلك القدرة على النقد والرفض، إلا أن نظرته للحياة حسب فروم هي نظرة تفاؤلية فهو يثق في الحياة كونه يمتلك من يمده بالأمان، كما أنه يمتلك الرغبة في تقديم المساعدة للآخرين.

- **النمط الاستغلالي:**

وهي الشخصية الاستغلالية التي تقوم في علاقتها على استغلال الآخرين،[3] ويرى فروم أن هذا النمط يختلف كثيرا عن النمط الأول، حيث يعتبر الآخر مصدر الخير فهو عاجز عن إنتاج أي شيء لنفسه وهذا النمط **<<لا يتوقع أن يتلقى الأشياء من الآخرين بوصفها هبات بل أن يسلبها من الآخرين بالقوة والخبث>>**[4] فهذا النمط ينتظر العطاء من الآخر دون الشعور بالولاء ولا يعتبرها هبات وإنما يسلبها بالقوة والحيلة والخبث، فهو يستغل الفرص لسلب واستغلال الآخرين فهو حتى في مجال الحب والعاطفة لا يشعر بالانجذاب ولا بالامتنان على ما يقدمه الآخر له، فهو شخص أناني يغلب عليه الطبع الشرير، ولا يمتلك الشعور بالإنسانية والاحترام لمن يقدم له يد العون. أما في المجال

[1] إريك فروم: الإنسان من أجل ذاته، ص 94.

[2] فيصل عباس: العلاج النفسي والطريقة الفرويدية، ص 255.

[3] فيصل عباس: التحليل النفسي والاتجاهات الفرويدية المقاربة العيادية، ص 127.

[4] إريك فروم: الإنسان من أجل ذاته، ص 96.

الفكري فيميل هؤلاء إلى سرقة أفكار الآخرين وسلبها منهم وقولبتها وإعادة صياغتها بأسلوب جديد ومختلف فهو شخص عدائي وكل إنسان حسب وجهة نظره هدف يمكن إستغلاله ينظر إليه على أنه مصدر للنفع، لهذا فهو دائم الشك والريبة والارتباك والحذر وكذلك التهكم والاستخفاف بالآخرين.

- **النمط الادخاري**

وتعرف بالشخصية الحيازية التي تميل إلى التملك وتسعى أن تعيش بأقل النفقات.[1] فهذا النمط يجعل الفرد ضعيف الإيمان بأن كل شيء جديد يستطيع الحصول عليه من العالم الخارجي أو بالأحرى من الآخر، لذا يرى أن الأمن يكمن في التوفير والادخار فكثرة الإنفاق هي تهديد للأمن والرخاء، فالشخصية في هذا النمط هي شخصية بخيلة وشحيحة بالمال والأشياء المادية بل وحتى المشاعر فهم وضعوا أنفسهم داخل حصن يقيهم إهدار الممتلكات يقول فروم **<<هدفهم الأساسي هو أن يجلبوا إلى هذا الواقع المحصن أكثر ما يمكنهم جلبه وأن يتركوا في خارجه نقل ما يمكنهم تركه>>**[2] فهم حسب وجهة نظر فروم حتى الحب لا يمنحونه بل يسعون إلى امتلاك المحبوب، وما يميز هذه الشخصية أنها تمتلك صفة الوفاء نحو الآخرين، وحتى الذكريات يبقون أوفياء لها، مع امتلاكهم للمعرفة إلا أنهم عاجزون عن الإنتاج، وهم يمتلكون القدرة على رؤية الأشياء وإعادة ترتيبها لكن ترتيب آلي فالشخص الادخاري كثير الوسوسة والظنون وهو إنسان منظم ولكن روتيني ويمتلك الدقة في المواعيد ولهم القيم التي يتميزون بها هي النظام والأمن وشعارهم لا جديد تحت الشمس.[3]

- **النمط التسويقي**:

وهي الشخصية التاجرة؛ شخصية الإنسان الانتهازي الوصولي المقتنع بصورة وأشكال عديدة حسب متطلبات الموقف، والذي يبيع نفسه ويهدر قيمته كإنسان من أجل الوصول لتحقيق غاياته الشخصية.[4]

---

[1] فيصل عباس: التحليل النفسي والاتجاهات الفرويدية، ص 127.

[2] إريك فروم: الإنسان من أجل ذاته، ص 98.

[3] نفسه، ص 99.

[4] فيصل عباس: التحليل النفسي والاتجاهات الفرويدية، ص 127.

وقد ظهر هذا النمط بصورة واضحة وجلية في الفترة الحديثة ولفهم هذا النمط ينبغي دراسة الوظيفة الاقتصادية للسوق في المجتمع الحديث، فهذه الشخصية شخصية غير مكترثة لأنها **<<تقوم على ممارسة الشخص لذاته كسلعة وكقيمة تبادلية لا قيمة انتفاعية حيث أصبح الكائن البشري سلعة سوق الشخصيات، وفي الحالتين قيمة المعروض هي قيمته التبادلية حيث القيمة الانتفاعية الاستعمالية شرط لازم وليس كافي>>**،[1] وقد أهدرت كرامة الإنسان في هذا النمط فقيمة الإنسان هاهنا بمقدار إنتاجه ونجاحه، فمبدأ التقدير والاحترام للإنسان سواء في السوق الشخصية أو سوق السلعة، معروضة للبيع فتقلبات السوق هي التي تتحكم في قيمة المرء، وقيمة الإنسان تتوقف على مدى قدرته على بيع كرامته وشخصيته فهو لا يعدو كونه يمارس نفسه كسلعة.

هذه النماذج من الشخصية هي التي تسود المجتمعات الحديثة، فالناس أصبحوا ينظرون إلى أنفسهم على أنهم سلعة تباع وتشترى، ما دفعهم إلى أن يُكونوا نمط الشخصية المتوائمة مع السوق والمتحكم في هذه اللعبة هو سيد الموقف والمقرر للمصير.

ب- النمط الإنتاجي

نجد أن فروم قد حدد مفهوم الإنتاجية في قوله **<<هي قدرة المرء على استخدام قدراته وعلى تحقيق إمكانياته المتأصلة فيه وإذا قلنا أنه يجب أن يستخدم قدراته نقصد ضمنيا أنه يجب أن يكون متحررا أو غير معتمد على شخص ما يسيطر على قدراته... وتعني الإنتاجية أن يخبر نفسه بوصفه تجسيدا لقدراته بوصفه الفاعل وأنه يشعر بأنه متحد مع قدراته وأنها في الوقت نفسه متقنعة ومنسلخة عنه>>**[2] وهذا يعني أن الإنتاجية هي قدرة المرء على تحقيق الإمكانيات التي تميزه، وذلك من خلال استخدامه لقدراته العقلية التي تمكنه من الإنتاج والإبداع، وبهذا يصبح عضوا فاعلا في المجتمع، فهو يرى أن الفرد ينبغي أن يتحرر من كل سلطة وسيطرة ولا يعتمد على الآخرين حتى لا يسيطروا عليه وينبغي أن يتحد مع قدراته وأن يكون مقتنع بها وبفاعليته وإمكاناته الشخصية.

وكلمة الإنتاجية عند فروم ترتبط بالإبداع خاصة الإبداع الفني، فالفنان الحقيقي هو من يمتلك القدرة على الإقناع من خلال الإنتاج المبدع، ويرى فروم بوجود طريقتين أساسيتين للإنتاج هما إعادة الإنتاج والتوليد، يقول فروم **<<أريد أن أؤكد أن الإنتاجية ليست مجموع كلتا القدرتين أو توحيدهما**

[1] إريك فروم: الإنسان بين المظهر والجوهر، ص 139.

[2] إريك فروم: الإنسان من أجل ذاته، ص 116.

وإنما هي شيء جديد ينشأ عن تفاعلهما>>[1] وبهذا فإن الوسيلة المعقولة والتي لا غنى عنها ولا يمكن أن نثق بغيرها بغية حل مشكلة الوجود الإنساني هي الحب والتفكير المنتجين،[2] ويشترط إريك فروم الحب كعنصر أساسي في العملية الإنتاجية باعتباره من يصل الإنسان بغيره، كما يولي فروم أهمية كبيرة للمعرفة الفردية لأنها تعتبر المرشد للاهتمام والمسؤولية والتفكير الإنتاجي، حسب وجهة نظر فروم ينبغي على الذات فيه أن تكون حريصة جدا على الموضوع فكلما كانت هناك علاقة بين الذات والموضوع كان التفكير مثمر على نحو أفضل، فالعلاقة بين الذات والموضوع، هي من يقوم بتنشيط الفكر وتخصيبه للإنتاج الفعال **<<إن التفكير الإنتاجي تحدده طبيعة الذات التي تربط نفسها بموضوعها في عملية التفكير وهذا التحديد المثنى يشكل الموضوعية وهذه الأخيرة لا تعني الاحترام أي القدرة على أن لا يحرف المرء ويزور الأشياء والأشخاص>>**.[3]

فالتكفير الإنتاجي يتميز بالموضوعية، وهي تعني الاحترام ومن خلالها يتم توحيد الإنسان مع العالم ومع الآخرين من الأفراد، فهو يجمع بين التكامل والتفرد والتفكير الإنتاجي تتحكم فيه ذات الفرد، فهي من تربط نفسها بالموضوع خلال عملية التفكير.

1- **التوجه غير إنتاجي**

أ- التلقفي ← المازوخي (الأولاء) } التوكل

الاستغلالي ← السادي (السلطة) }

الادخاري ← التدميري (الجزم) } الانسحاب

التسويقي ← الغير مكترث }

2- **التوجه الإنتاجي** ← العمل المحبة، تحكيم العقل

[1] إريك فروم: الإنسان من أجل ذاته، ص 122.

[2] فيصل عباس: العلاج النفسي والطريقة الفرويدية، ص 232.

[3] إريك فروم: الإنسان من أجل ذاته، ص 138.

[4] قاسم جمعة: إريك فروم نحو علم نفس تحليلي اجتماعي: موسوعة الأبحاث الفلسفية للرابطة العربية الأكاديمية للفلسفة، الفلسفة الغربية المعاصرة صناعة العقل الغربي من مركزية الحداثة إلى التشفير المزدوج، ج1، إشراف علي عبود المحمداوي، تقديم: علي حرب، منشورات ضفاف، الرياض، ط1، 2013، ص 815.

المبحث الثاني: النظرية النفسية

أولا: نظرية التحليل النفسي بين فروم وفرويد

1- ماهية التحليل النفسي عند فرويد

التحليل النفسي هو اصطلاح حديث أطلقه فرويد على إحدى طرق البحث والعلاج في علم النفس المرضي، وقد انتشر هذا الاصطلاح في علم النفس الحديث حتى أطلق على جميع التقنيات المستعملة في دراسة الأفعال النفسية شعورية كانت أو لاشعورية.[1]

ومدرسة التحليل النفسي بصفة عامة ترفض فكرة الشعور كموضوع لعلم النفس يقول فرويد **<<إن التحليل النفسي لا يمكنه أن يقبل الرأي الذي يذهب إلى أن الشعور هو أساس الحياة النفسية>>**[2] وكذلك ترفض الاستبطان كمنهج لدراسة الظواهر النفسية، فالشعور حسب فرويد ليس إلا خاصية من خصائص الحياة النفسية، وإنما هو فترة قصيرة جدا فما يمكن أن يكون شعوري في لحظة يصبح لا شعوري في لحظة أخرى، وتؤمن مدرسة التحليل النفسي بإمكانية ضبط وتفسير السلوك على أساس المثير والاستجابة وتعود الظواهر النفسية والسلوكات التي يأتيها الفرد في اعتقاد مدرسة التحليل النفسي إلى عوامل ودوافع لاشعورية.[3]

نستطيع القول أن فرويد يكاد يقضي على الحياة الشعورية وبهذا يعدم الوعي عن الإنسان.

ومنه فإن فروم يرى أن الشخصية الاجتماعية هي بمثابة الوسيط بين البنية الاجتماعية والاقتصادية وسائر المثل السائدة في المجتمع، والذي يرى أن الأسرة فيه تلعب دور حاسم باعتبارها وكالة نفسية للمجتمع، حيث لم يولي فرويد اهتمام كبير بها، ونجد أن فروم قد حدد أنماط للشخصية حاول من خلالها إيجاد حل من خلال إبرازه لهذه الأنماط التي رأى فيها أن النمط الأول نابع من كون الإنسان قد تخلى

[1] جميل صليبا: العجم الفلسفي،ج1، مادة التحليل النفسي، ص 257.

[2] سيغموند فرويد: الأنا والهو، ص 25.

[3] زروخي الدراجي: مشكلة المنهج في العلوم الإنسانية والاجتماعية، رسالة دكتوراه غير منشورة، المدرسة العليا للاساتذة، بوزريعة، 2012 ص 141.

على المنظومة القيّمية، وسيطر عليه الجشع والأنانية والبغض، و أظهر كيف أن النمط الثاني للشخصية الإنسانية أساسه القيم الإنسانية والروحية والاجتماعية وحتى المادية.

أ- آليات التحليل النفسي(Psychanalyse)

-الكبت(refoulèment) : لقد حاول فرويد أن يصوغ آلية من آليات التحليل النفسي أطلق عليها اسم الكبت، وذلك من أجل تبرير فكرة الكمون أو الشيء الخفي من الحياة النفسية، والذي يرى فرويد أنها تستطيع أن تصبح ظاهرة نفسية أو شعورية في أي وقت ويفسرها كذلك بأنها تستطيع أن تكون حالة لا شعورية وذلك في محاولة لتبرير موقفه لمنتقديه يقول فرويد **<<ونحن نسمي الحالة التي تكون فيها الأفكار قبل أن تصبح شعورية بالكبت>>**.[1]

وفرويد يبرر الكثير من الأمراض النفسية بوجود رغبات مكبوتة لا يستطيع المريض ذكرها أو يأبى ذكرها، وقد يعود الكبت إلى صراع بين رغبتين وعادة ما تنتصر رغبة على أخرى فتطفو المنتصرة إلى ساحة الشعور وتختبئ الأخرى في ساحة اللاشعور(inconcient) باحثة عن مخرج.[2]

وقد قسم فرويد النفس البشرية إلى ثلاث طبقات الأنا، الأنا الأعلى والهو، فيمثل "الأنا" الشعور و"الهو" الطبقة التي تحاول أن توحد بين الهو والأنا الأعلى، و"الأنا الأعلى" هو المثل العليا والقيم، أما الهو فيتمثل في الرغبات التي تبحث عن إشباع وفي حالة الفشل في إشباع الرغبات يحدث الكبت.

-التنويم المغناطيسي(Hypnotisme): وقد عرفه جميل صليبا بأنه **<<شبيه بالتجريب المرضي وهو تجريب نافعلأنه يكشف عن قوانين الحركات اللاإرادية والأوتوماتيكية الذهنية وعن تأثير اللاشعور فيها إلا أن منفعة هذا التجريب محدودة لاقتصاره على إيضاح الحالات التي يحدثها المنوم في نفس النائم>>**[3] فالتجريب في علم النفس يختلف عن التجريب العضوي، غير أن التنويم المغناطيسي يحدث كذلك بطرق علمية على الحالات العلاجية، ويرى هنا **صليبا** أن للتنويم المغناطيسي جانبان، ايجابي وسلبي يكون ايجابيا في حال الكشف عن الأمراض التي يكبتها الإنسان ويأبى الكشف

[1] سيغموند فرويد: الأنا والهو، ص 27.

[2] زروخي الدراجي: مشكلة المنهج في العلوم الإنسانية والاجتماعية، ص 163.

[3] جيل صليبا: علم النفس، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط3، 1984، ص 135.

عنها لأنها تسبب له عقدا ويمكن من خلال التنويم المغناطيسي الكشف عن حالة المريض ويكون سلبيا في الأثر الذي يتركه في نفس المنوم ويستخدم التنويم المغناطيسي للكشف عن أسباب الهستيريا.

-الإيحاء أثناء اليقظة: بعد الصعوبات التي واجهها علماء النفس في إعادة إرجاع المريض إلى الوعي والانعكاسات السلبية التي يخلفها التنويم المغناطيسي في نفسية المريض سعى فرويد في محاولة منه إلى الكشف عن أسلوب جديد لعلاج الحالات المرضية وقد توصل إلى طريقة الإيحاء(Suggestion) أثناء اليقظة **<<وهي طريقة يعمد فيها المحلل النفسي إلى محاورة المريض والتقرب منه لمساعدته على تذكر حياته النفسية وإخراج المكبوتات من ساحة اللاشعور>>**.[1]

وذلك عن طريق إلغاء الحواجز بين الطبيب والمريض والتقرب إلى المريض وكسب ثقته من أجل أن يستطيع البوح بكل ما عنده دون خوف أو رهبة، وإخراج مكبوتاته إلى ساحة الشعور واسترجاع الماضي، فقد يوحي الطبيب إلى المريض أثناء محاورته له بفكرة معينة تساعده على إخراج ما بداخله.

-التداعي الحر للأفكار(Association des idées): يطلق لفظ التداعي على تعاقب الظواهر النفسية أو على حدوثها،[2] وفي هذه الحالة المريض هو من يقوم بالتعبير عن حالته النفسية دون أن يوجهه الطبيب، فتداعي الأفكار يكون غير إرادي أو تلقائي، فالطبيب في هذه الحالة يلاحظ الهفوات والزلات الصادرة عن المريض ويحاول معرفة دلالتها في نفس المريض.

-تفسير الأحلام: يرى فرويد أن للأحلام (rêves)دور كبير في التعبير عن الحالات النفسية للمريض فهي تحمل رموز ذات معنى، يقول فرويد: **<<للأحلام رموز خاصة تستخدمها للتعبير عن الموضوعات المخجلة والممنوعة>>**.[3] ويرجع فرويد أصل كل المكبوتات إلى الرغبة الجنسية فتظهر على شكل حلم، فكلما لا يستطيع الإنسان تحقيقه في الواقع يراه في أحلامه، وهذه الأحلام لها دلالات رمزية تقودإلى اكتشاف الجانب الخفي لدى المريض وفي الغالب تعبر هذه الأحلام عن رغبات لم يتمكن الإنسان من تحقيقها.

---

[1] رزوخي الدراجي: مشكلة المنهج في العلوم الإنسانية والاجتماعية، ص 167.

[2] جميل صليبا: المعجم الموسوعي، ج1، مادة تداعي الأفكار، ص 263.

[3] سيغموند فرويد: تفسير الأحلام، ترجمة نظمي لوقا، دار الهلال، 2001، ص 89.

2- التحليل النفسي عند فروم.

من خلال دراسة إريك فروم لفرويد، والذي يعتبر مرتكز هام لفلسفته نجد أن فروم حاول أن يطور من نظرية التحليل النفسي لفهم المجتمع المعاصر، وعلى خلاف فرويد الذي ركز نقده للمجتمع على القمع الجنسي نجد أن إريك فروم حاول من خلال نظرية التحليل النفسي فهم شخصية الإنسان داخل المجتمع، وطور كذلك من طرق التحليل النفسي والطرق العلاجية ومن هنا يرى إريك فروم أن التحليل النفسي **<<ليس مجرد علاج بل هو وسيلة لفهم الذات أي أنه وسيلة للتحرر الذاتي ووسيلة في فن العيش>>**[1] فإريك فروم يرى أن العيش يكون فنا بمقدار معرفة الذات لذاتها، وأهم وظيفة للتحليل النفسي هي جعل الإنسان يعرف ذاته ويحررها، فبواسطة التحليل النفسي يستطيع الإنسان أن يغير من شخصيته نحو الأفضل، فمعرفة الإنسان لنفسه تقضي إلى الشفاء، ويستشهد فروم على ذلك بما ورد في الإنجيل "الحقيقة سوف تحرركم" فمعرفة الإنسان لذاته تحرره من القيود وتقوده نحو السعادة.

ويعتمد التحليل النفسي العلاجي عند فروم على ثلاث عوامل أساسية وهي:

1- زيادة الحرية برؤية النزاعات الحقيقية لدى الشخص حتى يتمكن من رؤية نزعاته الحقيقية والتخلص من الأوهام.

2- تحرير الطاقة النفسية من الكبت.

3- إزالة العوائق الموجودة في الذات من أجل الصحة النفسية.

وهذه العوامل تبرز أهميتها من خلال علاقة المحلل بالمحلل.

أ- علاقة المحلِّل بالمحلَّل

يرى إريك فروم بوجود علاقة بين الطبيب والمريض ويرى أنها علاقة تفاعل هذا التفاعل يكون بين الطرفين، فعلى المحلّل والمحلّل أن يستجيب كل واحد منهما للآخر وأن يكون التفاعل مبينا على التواصل **<<تخبرني كيف تستجيب لاستجابتي وعلى هذا النحو نتواصل أنا أستجيب لك وأنت تستجيب لي>>**[2] وقد وضع فروم في حسابه أن المريض قد يسعى إلى إخفاء أشياء عن المحلِّل

[1] إريك فروم: فن الإصغاء، ترجمة محمد منقذ الهاشمي، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2004، ص 54.

[2] نفسه، ص 99.

لذا سعى إلى أن يزرع الثقة بين الطرفين، ورأى أنه على المحلّل أن يخبر المحلّل في حالة ما إذا كان هناك شيء في ذهنه لا يريد البوح به، وعلى الطبيب أن لا يمارس عليه الضغط بل أن يصغي إليه، لذا يرى فروم أنه على المحلّل النفسي أن يعايش هذه الحالات وأن يضع نفسه محل المريض إن كان طفلا أو بالغا أو مجرما أو قديسا، فعليه أن يجمع كل هذه التجارب في نفسه حتى يشعر المريض أن الطبيب يتحدث عن تجربة يشتركان فيها، ويستشهد إريك فروم على هذا من العهد القديم **<<أحبو الغريب لأنكم كنتم غرباء في مصر وبذلك تعرفون روح الغرباء>>**.[1]

فعلى الطبيب أن يعيش التجربة الإنسانية مع المريض سواء كانت جيدة أم رديئة فعليه أن يتعاطف و أن يكون منفتحا لفهم المريض.

ومن هنا نجد أن إريك فروم يسعى إلى صياغة مفهوم جديد لما يعرف بالتحليل النفسي من خلال إلغاء مصطلح التقنية التحليلية النفسية، فقد رأى أن الكلمة المناسبة في هذا المقام هي كلمة فن(the art) يقول فروم: **<<الكلمة المناسبة للتعامل مع ما هو حي هي الفن ولهذا السبب سيكون مفهوم التقنية التحليلية النفسية من خلاله لأنه يبدو أنه يشير إلى شيء غير حي ومن ثم غير قابل للتطبيق على الإنسان>>**.[2]

فالتقنية تصلح على ما هو ميكانيكي خالي من الجانب الروحي والذي يمتاز بالحياة، أطلق عليه فروم اسم فن، لأنه يشترط فيه قدرة المرء على الإصغاء لذاته أولا، فهو يرى أن المرء يواجه صعوبة كبيرة في الإصغاء لذاته يقول فروم **<<إن إصغاء المرء إلى نفسه شديد الصعوبة لأن هذا الفن يقتضي قدرة أخرى نادرة في الإنسان الحديث هي قدرة المرء أن ينفرد بذاته>>**.[3] فهو يرى أن الإنسان المعاصر أصبح يواجه هاجس الانفراد، فالذات الإنسانية أصبحت تجهل نفسها وبهذا فقدت القدرة على الإصغاء للآخر ومعرفته ومعرفة العالم من حوله، فجهل الإنسان يفقده معرفة القيم، وتضيع لديه القدرة على اتخاذ الرأي، لذا يرى فروم أن على الإنسان أن يصغي لذاته أولا، وقد وضع فروم خطوات محددة من أجل أن يتعرف الإنسان على ذاته أولا، وهي البقاء في حالة سكون واسترخاء كي يتمكن من تذكر لأفكار التي تشوش ذهنه

[1] إريك فروم: فن الإصغاء، ص 101.

[2] نفسه ،ص 179.

[3] نفسه، ص 12.

ومحاولة التخلص منها ليتلقى أفكار ايجابية وأن يحاول التركيز حول أهداف الحياة والتغلب على الجشع والأنانية.

وقد وضع فروم قواعد لفن الإصغاء وهي:

- التركيز الكامل من المصغي
- أن يكون متحررا من القلق وكذلك الجشع.
- يجب أن يمتلك خيالا له حرية العمل ويكون ملموسا إلى حد يكفي ليعبر عنه بالكلمات.
- أن يكون موهوبا بالقدرة على تقمص الشخص الآخر وقويا إلى حد يكفي ليشعر بتجربة الآخر كأنها تجربته.
- فهم الآخر يعني محبته بمعنى الوصول إليه.[1]

ثانيا: نقد التشخيص الفريدي للأمراض من طرف إريك فروم.

1- نظرية الدوافع الغريزية

تعتبر نظرية الغرائز من أهم الدراسات التي جاء بها فرويد، وقد سلط فروم على هذه الدراسة انتقادات عديدة، فقد حاول فرويد أن يفسر جميع الظواهر النفسية من خلال افتراضه وجود مجموعة من الغرائز الأولى هي الغرائز التي تصدر عن طاقة الليبيدو والتي تسعى إلى تحقيق الإشباع واللذة، أما الثانية فهي غرائز الأنا والتي تسعى إلى حفظ الذات، وهذا من خلال مراعاة العالم الخارجي ومقتضيات الواقع من جهة، ويكبت الدوافع الجنسية التي تتعارض مع مقتضيات الواقع أو مع وظائف غرائز الأنا من جهة أخرى.[2]

يقول فروم: **<<يكون الإنسان معزولا همه الوحيد هو الإشباع الأقصى لأناه ولغاياته الليبدية وفي المقام الثاني كائنا اجتماعيا لأنه بحاجة للأفراد والآخرين لإشباع دوافعه الليبدية وحفظ الذات... فالإنسان الفرويدي هو إنسان الآلة الذي يتحرك ويتأثر فيزيولوجيا>>**[3] يرى فرويد

[1] إريك فروم: فن الإصغاء، ص 179.

[2] سيغموند فرويد: الأنا والهو، ص 18.

[3] إريك فروم: أزمة التحليل النفسي، ص 38.

أن الإنسان ينفرد بذاته ويستطيع العزلة في حين أن فروم عكس فرويد يرى أنه كائن اجتماعي، فالإنسان عند فروم مجرد آلة تحركه غرائزه فحاجته للآخرين ما هي إلا حاجة لإشباع رغباته وأهوائه لا أكثر.

هذا وقد دخل فكر فرويد مرحلة جديدة جعلته يضع تفسيرا آخر وحدد نوعين من الغريزة؛ غريزة الحياة وغريزة الموت، فالغريزة الجنسية وغريزة حفظ الذات عند فروم يمكن الجمع بينهما تحت إسم واحد وهو الأيروس غريزة حب الحياة، في حين أن غريزة حب الموت فقد قدمها كما يلي **<<أما هدف الغريزة الأخرى على العكس هو خصم الروابط كافة، وبالتالي تدمير كل شيء ومباح لنا أن نفترض أن الهدف النهائي لغريزة التدمير إرجاع الحي إلى الحالة اللاعضوية وبهذا تسميها غريزة الموت>>**[1] هذا ما دفع فرويد إلى مراجعة فكرة المكون العدواني الطبيعي لدى الإنسان وقد شرع في تفسير العدوان في إطار نزوة الموت، فغريزة الموت هي خصم كل الروابط سواء الذاتية أو الاجتماعية، وبهذا فهي غريزة تدميرية قد تتسبب بتفكيك كل الروابط الاجتماعية وهذه الغريزة هي في مقابل غريزة الحياة التي تسعى إلى البقاء والبناء وتشكيل وحدات الحياة وتنظيمها في حين هدف غريزة الموت هو التحطيم و التهديم و التفكيك وإنهاء الحياة، وبهذا فإن هناك صراع بين هاتين الغريزتين المتعارضتين وهما تتركبان في الوظائف البيولوجية، وبعبارة أخرى يمكن أن يذوب بعضها في الآخر، كما يمكن أن يشل أحدهما عمل الآخر.

وقد شاهد فريد في الظواهر المرضية وجود دوافع غريزة غير قابلة للتعديل وهي تتكرر في الحياة تكرارا آليا أعمى، كما أنها معارضة لدوافع الحياة معارضةً صريحة[2]، لذلك أعاد تصنيف الغرائز.

فمن خلال هذا نفهم أن الغرائز الجديدة –غريزة الحياة والموت– تختلف عن سابقتها، ونجد أن فروم حدد مميزات الغرائز الجديدة في كتابه أزمة التحليل النفسي كما يلي:

أ–ليست محصورة في منطقة خاصة من المتعضي organisme كما هي حال الليبيدو في المناطق الجنسية[3].

---

[1] سيغموند فرويد: مختصر التحليل النفسي، ترجمة جورج طرابشي، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ط1، 1981، ص 12.

[2] سيغموند فرويد: الموجز في التحليل النفسي، تقديم محمد عثمان نجاتي، ترجمة سامي محمود علي، عبد السلام القفاش، مراجعة مصطفى زيوار، إعداد سمير سرحان، محمد عناني، مكتبة الأسرة مراجع القراءة للجميع، مصر، 2000، ص125.

[3] إريك فروم: أزمة التحليل النفسي، ص41.

وهذا يعني أنه لا يوجد مكان معين لهذه الغرائز الجديدة فالغريزة الجنسية متواجدة في المناطق الشهوية، فلا مجال لحصر هذه الغرائز في منطقة بعينها من مناطق النفس فهي متواجدة في كل مكان فمن الصعوبة بما كان حصر هاتين الغريزتين في مكان محدد.

ب-كما أنها لا تتبع النطاق الهيدروليكي: توتر متصاعد ـــــــ عدم لذة ـــــــ إرتياح ـــــــ لذة ـــــــ توتر جديد...إلخ، لكنها ملازمة للأنسجة الحية كافة، وتمارس إثارة خاصة.

ج-إن قوتها التحريضية ليست أقل قوة من الغرائز التي تعمل للنموذج الهيدروليكي[1].

ومن خلال عرض فروم لنظرية الدوافع الغريزية عند فرويد وجّهَ له جملة من الانتقادات، فهو يرى بأن النظرية القديمة والجديدة تختلفان وتتناقضان فيما بينهما، ورأى فروم أن فرويد في دراسته لنظرية الغرائز قد توصل إلى اتجاهين مختلفين هما:

الاتجاه الأول: خط التدميرية بوصفها من العناصر المكونة للغريزة الجنسية، وبوصفها قوة مستقلة عن الدافع الجنسي.

الاتجاه الثاني: أن العدوانية مستقلة عن الغريزة الجنسية، وهذه الفرضية الخيارية ترى أن غرائز الأنا هي مصدر العدوانية.[2]

من هنا نجد أن فرويد مرة يقول بأن التدميرية عنصر مكون للغريزة الجنسية، ومرة يقول بعكس ذلك فيرى بأنها تعود إلى غرائز الأنا، فهي مستقلة استقلال تام عن الدافع الجنسي، وفي هذا يقول فرويد **<< وعلى هذا الأساس ستكون السادية تضخما في تطور المركب العدواني في غريزة الجنسية بعد أن يستقل بنفسه ويغتصب الدور الرئيسي>>**[3] وهنا نجد أن العدوانية جزء من الغريزة الجنسية وتحاول كذلك أن تكون العنصر الأساسي والمسيطر على الغريزة الجنسية لنجده يتناقض مع نفسه في قوله**<< إن القسوة التي هي عنصر في المركب الجنسي تتسم في تطورها بقدر أكبر بعد الإستقلال عن النشاط الجنسي المرتبط بالمناطق الشهوية>>**[4] ومن خلال هذين القولين نجد

[1] إريك فروم: أزمة التحليل النفسي، ص41.

[2] نفسه،ص 247.

[3] سيغموند فرويد: ثلاث مقالات في نظرية الجنس، ترجمة جورج طرابيشي، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ط1، 1981، ص24.

[4] نفسه، ص67.

فرويد وقع في تناقض وتضارب في أفكاره فمرة يرى بأن العدوان جزء من الغريزة الجنسية بل ويحاول السيطرة علي الغريزة الجنسية ومرة يرى بأن العدوان هو عنصر في المركب الجنسي وليس جزء منه وأنه يمتاز باستقلالية أكبر خلال عملية التطور عن النشاط الجنسي المرتبط بالمناطق الشهوية، وهذا يدل على عدم اقتناع فرويد بوجود غريزة عدوان مساوية للغريزتين القديمتين، وهذا ما أكده فروم على أن فرويد نفسه لم يكن مقتنعا أبدا أن فرضيته الجديدة كانت صحيحة، وذلك لعدم رؤية الطبيعة الجذرية لهذا التحول بين النظرية القديمة والجديدة، فنظرية فرويد الجديدة لا تخلو من السوابق، بل وعلى التناقض كذلك مع النظرية القديمة فهو بناها على أنقاضها إلا انه وقع في التناقض معها.

وقد استبدل فروم المصطلح الذي أورده فرويد فأطلق على غريزة الحياة البيوفيليا(biophilia) وغريزة الموت النكروفيليا(neaophilia)، و هذه الأخيرة ليست في **<<جوهرها دفاعية في خدمة الحياة أوحتى بشكل ثانوي في الدفاع عن الحياة كأنه موضع حسد ولكن التدميرية التي دعاها بالنكروفيليا >>**.[1]

فغريزة البيوفيليا هي محبة عاطفية اتجاه الحياة ولكل ما هو حي وهي رغبة في النمو والمزيد والإقبال على الحياة، ولا يختلف الأمر سواء عند الإنسان أو النبات أو حتى الحيوان وحتى الأفكار وداخل الجماعات الاجتماعية، فالشخص البيوفيلي يحب البناء والتعمير وهو يفضل أن يكون أكثر على أن يمتلك، فهو يحب الكل والجماعة والبنى ويريد أن يؤثر بالحب والعقل على عكس النكروفيلي، الذي ينجذب إلى كل ما هو ميت ومتفسخ ومتعفن، فهو شغوف إلى تحويل الحي إلى ميت وذلك من خلال التدمير لا لشيء إلا لأجل التدمير، وهو شغوف بتفكيك البنى الحية والجماعات الإنسانية.

وقد رأى فروم أن نظرية فرويد الجديدة مليئة بالتقلبات والتناقضات وذلك لعدم رؤية الطبيعة الجذرية لهذا التحول، فهو يرى أنها نظرية مبنية على ما جاء به فرويد سابقا، وقد كان فرويد يسعى إلى التوفيق بين نظريته الجديدة والقديمة وأن يكون هناك اتصال بينهما لكنه وقع في التناقض خاصة وأنه كان يسعى إلى سد الهوة بين النظريتين، لكنه لم يفلح يقول فروم **<<تقلبات النظرية الجديدة**

[1]Rainer Funk: The clinical erich fromm, personal accounts and papers on therapeutic technikue, editions roodopi B, vn Amsterdam,Newyork,2009,p 42.

التي أحدثها فرويد في تبيين أن الخمرة الجديدة واعتقد في هذه الحالة أنها الخمرة الأجود ولا يمكن ملؤها في زجاجة قديمة>>.[1]

وهنا يرى فروم أنه لا وجود لأي اتصال بين ما أتى به فرويد في نظريته القديمة وما أتى به في النظرية الجديدة، وهو يرى أن النظرية الجديدة أحسن من الأولى، ولا ينبغي كذلك الوصل بينهما، فالمفهوم الذي أتى به فرويد في نظريته الجديدة مفهوم حيوي يتجه نحو البيولوجية أما المفهوم الذي تحمله النظرية الأولى فهو مفهوم ميكانيكي مبني على التوتر الناتج عن الكيمياء، ومن هنا فإن لفرويد حسب فروم رؤية ميكانيكية في العملية الشفائية بتحديد والأصل في هذه الرؤية أنها في حال ما استطاع المرء الكشف عن عواطفه المكبوتة تصبح شعورية وتخرج من نسق اللاشعور وتسمى الظاهرة هذه التفريج.

وعلى الرغم من محاولة فروم للكشف عن التناقضات التي وقع فيها فرويد إلا أن فروم حاول أن يبين الأسباب التي أدت بفرويد إلى افتراض النظرية الجديد خاصة ما يتعلق بغريزة الموت والتي حصرها في عاملين أساسيين هما العامل التاريخي والعامل الشخصي.

أ-**العامل التاريخي**: ثمة أسباب وجيهة للافتراض بأن مفهوم فرويد الجديد حول التدمير، يستمد أصوله من تجربة الحرب العالمية الأولى، هذه الحرب زعزعت أسس التفأول الليبرالي الذي انجذب إليه فرويد في النصف الأول من حياته[2]، اين خلفت الحرب العالمية أثر سلبي عل شخصية فرويد، حيث أصبح يرى أن تطور الإنسان موسوم بطابع مأساوي، فما يقوم به الإنسان دائما يرجع إلى الإحباط فتطور الإنساني لم يرى مع فرويد إلا المعاناة والآلام.

ب-**العامل الشخصي**: كان فرويد إنسانا قليل الطمأنينة، يشعر بأنه مهدد دائما ومضطهد، كما أنه سلبي فهو يعاني من نقص في مشاعره العاطفية، في صلاته الإنسانية، في الحب وخاصة في تمتعه بالحياة[3].

[1] إريك فروم: تشريح التدميرية البشرية، ج2، ص 257.

[2] إريك فروم: أزمة التحليل النفسي، ص 42.

[3] إريك فروم: مهمة فرويد- تحليل لشخصيته وتأثيره-، ترجمة طلال عتريسي، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع بيروت، ط2 2002، ص9.

وما نستطيع قوله في الأخير أن فرويد قد وقع في التناقض في نظريته الجديدة فهو لم يتخلص من النظرية القديمة ولم يتمكن من بناء نظريته الجديدة بناءا متماسكا.

2- نقد العلاج الفرويدي

استهل فرويد طرحه في التحليل النفسي بمفهوم العُصَاب(névrose) حيث قال **<<أن العُصَاب نزاع بين الغريزة والأنا فإما أن الأنا فيه الكفاية من القوة وإما أن الغرائز شديدة القوة>>**[1] وهذا يعني أن الأنا تدخل في صراع حاد مع الغرائز، إما أن تنتصر أو تهزم ودائما يكون الأنا بمثابة حاجز فهو غير قادر على المقاومة وفي هذه الحالة يحدث العُصَاب وهو نوع من أنواع الخوف الذي يؤدي إلى الاضطراب في الشخصية وهذا الاضطراب عصبي وظيفي غير مصحوب بتغير في الجهاز العُصَابي، وفي أغلب الأحيان ترافقه أعراض مثل الهستيريا وهواجس مختلفة، فالعُصَاب اضطراب من تضافر عدة عوامل على رأسها صراعات لاشعورية تبدو في صورة أمراض جسمية ونفسية منها القلق والوساوس والأفكار المتسلطة...وغيرها والتي تعوق الفرد عن ممارسة حياته السوية في المجتمع الذي يعيش فيه.

وقد عرض فروم وجهة نظر فرويد للشفاء من العُصَاب ونقل على لسانه أن المريض سوف يتغلب على قلقه وكوابحه من خلال التحليل النفسي، وقد حدد فرويد ثلاث عوامل تكشف مدى نجاح التحليل من عدمه وهي تأثير الصدمات وقوة الغرائز، وأخيرا التعديلات من الأنا في عملية الدفاع من بناء الغرائز.

ويرى فروم أن الشرط الايجابي الذي وضعه فرويد هو الصدمة، يقول فروم **<<كلما قويت الصدمة النفسية كانت فرصة الشفاء أفضل>>**[2] فعلى المحلل حسب فروم أن يعيش نفس الحالة التي يكون المريض فيها، والتعرف على واقع المريض حتى يعرف سبب المرض ويعرض هذا المريض إلى صدمة تمكنه من الكشف عن عواطفه المكبوتة، وهذا ما يسمى التفريج لكن فرويد تخلى عن هذه النظرية لأنها صعبة حسب وجهة نظره، فمن الصعوبة أن يفشي المريض ويصرح بمكبوتاته واستبدلت هذه النظرية بنظرية أخرى هي أن المريض يستطيع التبصر بواقعه اللاشعوري فتزول أعراضه المرضية بسهولة.

ويعقب فروم على وجهة نظر فرويد هذه عندما حاول فرويد أن يستبدل نظريته الأولى بالنظرية الجديدة لعلاج العُصَاب كونه لم يستطع الخروج عن الفكرة الأولى، ففي كلتا الحالتين شفاء المريض متوقفا

[1] إريك فروم: فن الإصغاء، ص 27.

[2] نفسه، ص 29.

على إقراره بما يخبئه في ساحة اللاشعور، و فروم هنا يريد أن يصل إلى كيفية جعل المريض يقر، وهنا تكمن الصعوبة فالمريض في كلتا الحالتين هو أساس الشفاء وبهذا فإن فرويد بنظريته هذه لم يتمكن من الوصول إلى العُصَاب، كما يرى فروم بوجود تناقض آخر **<<هو التثبيت العميق الذي كان الهدف منه حقا هو إعادة انتقاله إلى رحم الأم أو حتى العودة إلى الموت>>**[1] ويقصد فروم هنا بالأهواء القديمة التدرميرية الشديدة، وكذلك التعلق الفائق بالأم والنرجسية المتطرفة أما عن التدميرية فهي في جوهرها تعتبر دفاعية، أي أنها في خدمة الحياة والدفاع عنها فهي تدميرية نكروفيلية، أما عن التعلق الشديد بالأم فهو يطلق عليه التعلق الرمزي وهو تعلق ما قبل تناسلي بالأم أو الرغبة في العودة إلى الرحم أو حتى الموت ويعتبر الأنا هو منفذ الأهواء الخبيثة وحتى الأهواء الغير خبيثة.

وفروم لا يعتبر أن المشكلة الرئيسية هي الكفاح ضد الأنا مقابل العواطف التي تواجهها؛ وإنما كفاح نوع واحد من العاطفة ضد نوع آخر، بهذا نجد أن فروم يعطي معنيين للعُصَاب أحدهما حميد وثاني خبيث فمهمة العُصَاب الحميد بسيطة نسبيا وهذا ما يترآى جليا في قوله **<<وإذا تحدثنا عما أدعوه العُصَاب غير الخبيث فالمهمة بسيطة نسبيا>>**[2] فهو هنا يرى أننا نعالج بنية أحداث قد صدمت الفرد وشوهت بعض الأشياء لدى المريض، ونستطيع الكشف عنها من خلال علاقة المحلِّل بالمحلَّل ويكشف فيها عن ما هو موجود في دائرة اللاشعور من خلال المساعدة وتكون فيها فرصة للعلاج.

أما عن العُصَاب الخبيث فيقول **<<أنها أحوال العُصَاب التي تكون فيها نواة بنية الطبع متضررة، حيث تكون إزاء أناس لهم ميول متطرفة إما نكوروفيلية وإما نرجسية وإما مفرطة التعلق بالأم>>**[3] وهنا تكون وظيفة العلاج صعبة حيث يتطلب العلاج فيها تغيير وظيفة النكروفيلية والنرجسية وكذلك التطرف المتعلق بالأم، وكل الارتباطات الأخرى من أجل ضمان فرصة للعلاج من العُصَاب الشديد.

وهناك اختلاف في فرص الشفاء بين الأحوال الخبيثة والأحوال الغير خبيثة فهو بمثابة الذهان والعُصَاب ففي حالة العُصَاب يكون الشفاء مستعصي وعميق، وهذا ما صرح

[1]Rainer Funk : the clinical Erich Fromm,p42.

[2] إريك فروم: فن الإصغاء، ص 37.

[3] نفسه، ص 37،38.

به فروم :<<**وما هو مختلف كذلك إنما هو طبيعة المقاومة إنكم لتجدون في العُصَاب غير الخبيث أن المقاومة من السهل نسبيا التغلب عليها ما دامت نواة الشخصية سليمة ولكن إذا تناولتم مقاومة ما ادعوه أحوال العُصَاب الخبيث بالغ الشدة فإن المقاومة تكون عميقة الجذور لأن على العُصَاب... أن يحارب الفراسة بقوة أعظم بكثير من قوة الشخص الذي يكابد العُصَاب غير الخبيث**>>.[1]

فطبيعة المقاومة بين العُصَاب الخبيث والعُصَاب غير الخبيث تختلف، ففي الأول تكون بنية الطبع متضررة وصعبة الشفاء وشديدة المقاومة، فهي متضررة ومتأزمة على خلاف الثاني لأن نواة الطبع فيه تكون سليمة فتكون المقاومة فيه من السهل التغلب عليها وليست عميقة الجذور مثل الأولى.

ومشكلة الشفاء حسب فروم لا تكمن في تقوية الأنا، وإنما في قدرة المريض على مجابهة الجانب الخفي من شخصيته الغير عقلانية بالجانب السليم والتغلب على النزاع الدائر بينهما، فماهية الشفاء حسب فروم تكمن في النزاع الذي يحدثه التقاء الجانب العقلي مع الجانب الغير عقلي من الشخصية، والمريض هنا يجد نفسه أمام مفترق طريقين يجب عليه أن يختار بنفسه وهو أمام هذا الحال سيكون كطفل صغير لا يميز بين الطريقين، أو بالغا راشد مسئولا عن المواجهة، ويولي فروم أهمية كبيرة لهذا الصراع للوصول إلى الشفاء فهو من يولد في المريض المجابهة.

ونستطيع القول أن وجهة نظر فروم تختلف عن فرويد في أن هذا الأخير يركز على العوامل التكوينية على أساس نظرية الليبيدو، بينما فروم يوسع المجال، فهو يرى أنها ليست مجرد عوامل تعرف غالبا بأنها مزاج بل هي تشمل عوامل أخرى كالحيوية ومحبة الحياة والشجاعة.

ثالثا: النظرية النقدية وتحليل التطويع

ارتبطت دراسات النظرية النقدية للمجتمع في مجال علم النفس بنظريات فرويد فقد قدم هذا الأخير حسب رواد هذه المدرسة مفتاح مشكلة الإديولوجيا، وقد بدأ مفهوم التطويع بوصفه مشروعا سيكولوجيا بين الأساس الاقتصادي والتعبير المنتمي إلى البنية الفوقية، يقول هوركهيمر في هذا <<**طالما لم تدرك النظرية كيف يجري تحويل التغيرات الهيكلية في الحياة الاقتصادية، عبر التكوين النفسي لمختلف المجموعات الاقتصادية في لحظة بعينها في الزمان، إلى تغيرات في التعبير عن حياتها**

[1] إريك فروم: تشريح التدميرية البشرية، ج2، ص 146.

بمجملها، فإن نظرية توقف أحداها على الأخرى تنطوي عندئذ على عنصر عقائدي يحصر القيمة الافتراضية لهذه النظرية – بصورة جدية– في تفسير الحاضر>>.[1]

وقد اعتبر رواد مدرسة فرانكفورت أن علم النفس يعد ضرورة حاسمة للنظرية النقدية للمجتمع من أجل فهم الهيكلة الاقتصادية، فالنظرية الاجتماعية على حد تعبيرهم تحتاج إلى تفسير نفسي بتفسير الظواهر الاقتصادية والاجتماعية وتفسير الإيديولوجيات والعقائد، ما جعلهم يهتمون بدراسات علم النفس وعلى رأسها الدراسات التي قدمها فرويد خاصة فيما يتعلق "بالأنا الأعلى" "نزوة الموت"، "نزوة التدمير" وأهمها الأنا الأعلى.

1- الأنا الأعلى والتطويع النفسي

يرى فروم أن لدراسة فرويد في مجال التحليل النفسي أهمية كبيرة في فهم الإيديولوجيات خاصة نظرية الأنا الأعلى وذلك على اعتبار أن الأنا الأعلى هو نتيجة لعملية التنشئة الاجتماعية ووعاء للتقاليد والأصول الحضارية، ويصور فرويد لنا الطفل في تطوره على أنه مجموعة من الدوافع التي تخضع لسلطة الكبار وعن طريق التنشئة الاجتماعية تتم عملية النمو الأخلاقي، وتبعا لرأي فرويد فإن عملية اكتساب الأخلاق تتم عندما ينمو الأنا الأعلى عند الطفل لأن الأنا الأعلى هو الأداة التي تصدر الأوامر[2] الأخلاقية المشتقة من معايير الراشدين الذين يحيطون بالطفل خاصة الأب والأم، وعلى هذا الأساس نستطيع القول أن الأنا الأعلى هو الحارس الأخلاقي للشخص والأداة المسؤولة بالدرجة الأولى عن النمو الأخلاقي، لهذا يعتبر الأنا الأعلى حسب التحليل الفرويدي مركز المفاهيم والمعايير الأخلاقية في شخصية الطفل والراشد فيما بعد.[3]

وقد أتى فرويد بهذه النظرية لكي يدحض فكرة عزيزة القطيع مختزلا الأخيرة إلى مجرد توسيع للتجربة الملموسة داخل نطاق الأسرة يقول فرويد **<<الأنا الأعلى للجماعة المتحضرة مثله مثل الأنا الأعلى الفردي تصدر عنه مطالب مثالية صارمة، يلقى عدم التقيد بها فضاضة هو الأخر على شكل حضر في الضمير الأخلاقي، وهنا يحدث شيء مثير للاستغراب فعلا: فالأوليات النفسية التي يدور**

[1] نقلا عن: فيل سليتر: مدرسة فرانكفورت، ص 153.

[2] جيلالي بوحمامة: دور النشاط الاجتماعي والمعرفي في النمو الأخلاقي، مجلة ثقافية، 1989، العدد 101، ص 190.

[3] نفسه، ص 190.

الحديث عنها مألوفة لدينا أكثر من غيرها، وعقلنا ينفذ إليها في شكلها الجماعي بسهولة أكبر مما ينفذ إليها في شكلها الفردي>>.[1]

وهنا يتحدث فرويد عن منشأ الأنا الأعلى في إطار الليبيدو فكما أن هذه السلطة بإمكانها حماية الطفل وغيابها عنه تهديد لأمنه واستقراره فإن هناك مكبوتات لدى هذا الأخير، فالطفل الصغير يتماهى مع أبيه ويطور تركيز الطاقة النفسية نحو أمه، ومع مضي الوقت يحتاج الصبي إلى ويحصل على اهتمام أقل واتصال نفسي أقل، ويبدو الأب عندئذ وكأنه يحتكر اهتمام الأم، فيصبح الأب في نظر الصبي منافس فتتشكل لدى الطفل ما يعرف بعقدة أوديب فيصبح الأنا الأعلى بمثابة العدو كذلك الأمر في الأوساط الاجتماعية فإن الطبقات المضطهدة و المقموعة تكون مستاءة من سادتها، إلا أنها مضطرة لإظهار الولاء لها، ويعتبر هذا هو الإسهام الذي قدمه فرويد لفهم الإيديولوجيات

2- نزوة التدمير

تتوقف هذه المشكلة على فكرة العدوان و السادية(sadism) و المازوشية(masochism) والتي ترتكز بدورها على مشكلة أساسية هي نزوة الموت فالعدوان يكتسي عند فرويد طبيعة غريزية **<<سأتشبث بوجهة النظر القائلة بأن العدوانية تعبر عن استعداد بدائي مستقل للكائن الإنساني>>.**[2]

وعليه فإن فرويد يرى أن العدوانية متأصلة في الإنسان منذ القدم وهو يرى أنها غريزة طبيعية فيه مدفوعة تحت تأثير الليبيدو النرجسي فمتى أحس المرء أنه أهين في نرجسيته أو استلبت منه فإن سلوكه يتحول إلى سلوك عدائي، فهو يرى أن الإنسان نرجسي من الطفولة فهو منذ الطفولة يسعى إلى التشبث بالنرجسية، فهي تشعره بالأمن وبالكمال والتفوق على الآخرين، وأبرز مثال يوضح العدوان حسب فرويد هو حالة الحرب يقول **<<الحرب كانت أبدا أعتى الأحداث وأوسعها تدميرا لكل قيمة إنسانية>>**[3] فالإنسان يرى أن التدمير في الحرب قيمة إنسانية لأنها استعادة للحقوق، وهي قسوة غايتها استعادة أو امتلاك الحضارة، فالإنسان لا يبتغي من وراء الحرب حق مادي أو التخلص من البؤس

[1] سيغموند فرويد: قلق في الحضارة، ترجمة جورج طربيشي، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت،ط1، 1988،ص 113.

[2] نقلا عن: فيصل عباس: الفرويدية ونقد الحضارة المعاصرة، ص 719.

[3] فرويد: الحب والحرب والحضارة والموت، ترجمة: عبد المنعم الحذفي، دار الرشاد، القاهرة، ط1، 1992، ص 10.

والقهر، وإنما يسعى إلى الضغط وامتلاك الحضارة بأسلوب عدواني، هذا ما يدفع إلى تفكك العلاقات الاجتماعية وتدميرها.

ما يجعل التطويع عند فرويد ضرورة أساسية للحياة الاجتماعية وفرويد هنا يسعى إلى تهذيب الحضارة من أجل التقليل من النزعة التدميرية والنزوات العدوانية، وذلك من خلال إعادة هيكلة البنى النفسية بطريقة أخلاقية عن طريق تحسين علاقات الحب التي كبحت عند البشر.

فهو يرى أن الحروب لم تعد إلا بالدمار والويلات على الإنسان، ولكن المتمعن للدراسة التي قدمها فرويد سيجد أنه حاول أن يدحض الحجة التي جاء بها كارل ماركس في أن إلغاء الملكية الخاصة هو السبيل لكف السلوك العدواني عن المجتمعات الإنسانية. ويرى فرويد أن العدوان طبيعة متأصلة في الإنسان لا يمكن كبحها ببساطة.

وهنا نجد أن رواد مدرسة فرانكفورت وعلى رأسهم هو ركهيمر وإريك فروم يرون أن فرويد تشاؤمي من ناحية الطبيعة الإنسانية التي تحمل في داخلها الخير كما تمتلك الشر.

المبحث الثالث: الأزمة الروحية الحاضرة ونقد الحضارة المعاصرة

أولا: وجهة نظر فرويد للدين

لقد أطلق فرويد على الدين مصطلح عُصَاب الإنسانية الوسواسي الكلي، فهو يرى أن الدين هو ملجأ لكل الرغبات المقموعة في الفرد –كره غيرة؛ حاجة إلى الاضطهاد والتدمير– فهو يعالج الدين بوصفه تعزية أكثر منه عندما يعالجه بوصفه ضربا من عامل التحريم[1] يقول فروم **<<يرى فرويد أن الدين ينبع من عجز الإنسان في مواجهة قوى الطبيعة في الخارج والقوى الغريزية داخل نفسه، وينشأ الدين في مرحلة مبكرة من التطور الإنساني عندما لم يكن الإنسان يستطيع أن يستخدم عقله بعد في التصدي لهذه القوى الخارجية>>**.[2] فهو يحيل الدين إلى ضعف وعجز الإنسان في مواجهة الحياة بجانبيها النفسي والخارجي، فيرى أن الإنسان يلجأ إلى الدين ليخفي ضعفه وعجزه عن المواجهة والتصدي، وبالتالي يرجع كل القوى والرغبات إلى الجانب الإلهي، ومن هنا الدين بمثابة تعزية للإنسان فالدين عند فرويد مؤسس في وضع من التعزية والبؤس، والذي يميز الطفولة الإنسانية وحدها هو انبعاث

[1] بول ريكور: في التفسير محاولة في فرويد، ترجمة وجيه اسعد، أطلس للنشر والتوزيع، سوريا، ط1، 2003، ص 442.

[2] إريك فروم: الدين والتحليل النفسي، ترجمة فؤاد كامل، مكتبة غريب، القاهرة، ص 15، 16.

نوعي لذكرى مؤلمة، وقتل بدائي للعلاقة الإنسانية فهي علاقة أوديبية متعلقة بطفولة الفرد، فالإنسان بدلا من أن يتصدى للغرائز والميول والعواطف لا يجد له مفرا من أن يكبتها من خلال العقل فيحيلها إلى الدين فيتعامل معها بعواطف مضادة، وبقوى وجدانية أخرى وظيفتها الكبت والتحكم فيعجز حينها عن التعامل معها بعقلانية.

وهكذا يكون الدين في رأي فرويد **<<تكرار لتجربة الطفل ويتعامل الإنسان مع القوة المهددة له بنفس الطريقة التي تعلم بها وهو طفل>>**.[1] وبهذا فإن فروم يرى أن فرويد يجعل الإنسان يعزي حالته النفسية إلى الدين من خلال تكرار تجربة الطفولة في مرحلة يرى فيها الطفل أن الأب هو مصدر الأمان، فالأب هو مصدر القوة لذا يحاول أن يكسب أباه من خلال احترامه وطاعته بالامتثال لأوامر واجتناب نواهيه، هكذا تكون الطاعة للدين في مرحلة الرشد، فالدين مثل الطفولة، فالأب عُصَاب فردي والدين عُصَاب جماعي تتسبب فيه الظروف التي تحدث هذا العُصَاب وأهمها الوهم **<<الدين خطر لأنه يميل إلى تقديس مؤسسات إنسانية تحالف معها على مر التاريخ وفضلا عن ذلك، فإن ما يقوم به من تعليم الناس الاعتقاد في وهم وتحريم التفكير النقدي يجعله مسؤولا عما أصاب العقل من إغلاق>>**.[2] فهو يرى أن الدين تحالف على مر العصور مع مؤسسات هي من صنع البشر وهي تشكل وهم لا أكثر، فالدين إغلاق المجال على العقل وقيّده وقتل فيه روح النقد، فهو يرى أن الدين ظاهرة دوغمائية فالدين من إنتاج الإنسان كي يعزي نفسه، وقد وجه فرويد هذا الطرح للكنيسة فهي من كبتت التفكير النقدي.

فبالرغم من الإنجازات التي حققها الإنسان في صعيد الابتكارات والاكتشافات العلمية والتقنية يرى فروم أن الإنسان بقى بعيد عن ذاته ولم يقترب إلى تحقيق كمال الإنسان أي محبة الإنسان لأخيه الإنسان، حيث أصبح هذا الأخير أكثر اقتراب من الفصام فامتلاك الإنسان للعقل والتخيل وإلى الوعي بالذات أصبح الإنسان الحيوان الوحيد الذي يمتلك شعورا بالسأم والسخط فقد أضاع وحدته مع الطبيعة مع هذا الضياع أصبح بحاجة إلى فهم وجوده وإعادة توازنه مع الطبيعة فخلق صورة ذهنية كانت بمثابة إطار للإجابة عما يجب أن يفعله من خضوع لقدراته كالدين الذي يرى فرويد أن الإنسان ضحيته مع أنه خالقه.

[1] إريك فروم: الدين والتحليل النفسي، ص 16.

[2] نفسه، ص 17.

ثانيا: من أزمة التحليل النفسي إلى التحليل النفسي الاجتماعي

يسعى فروم من خلال تجديده لمنهج التحليل النفسي إلى إحياء البعد الثوري النقدي للتحليل النفسي وذلك من خلال إعادة قراءة النص الفرويدي من جهة ومقارنته مع التحليل الماركسي الاجتماعي من جهة أخرى، وهذا كله من أجل الوصول إلى حل مشاكل الإنسانية في الحضارة المعاصرة، وما أصبحت تعانيه من قلق وخوف واغتراب وتشيؤ والتسلط والتدمير والعنف، يقول فروم في خاتمة كتابه أزمة التحليل النفسي **<<موضوع التحليل النفسي أولا هو تطوير الوعي النقدي، وهو يكشف العقلانيات والأوهام الحتمية التي تشل القدرة على الحركة، إلا أنني أظن أن المشكلة التي يستطيع التحليل النفسي المساهمة فيها هي تساؤلنا حول الحياة نفسها>>**.[1]

فإريك فروم هنا يرى أن للتحليل النفسي القدرة على الكشف عن الأوهام الزائفة التي تضلل الوعي الإنساني وتحجب عنه أفق الحقيقة، وأول ما وجه إليه فروم النقد هو حب الموت، الذي جاء به فرويد ورأى أن الإنسان فيه يعيش صراع بين عاطفتي حب الحياة وحب الموت.

إن التجديد الذي يهدف إليه فروم غير ممكن إلا إذا تحول من إمتثالية الوضعية وأصبح من جديد نظرية نقدية تحريضية ضمن فكر إنساني جذري، هذا التحليل النفسي سيستمر في الغوص إلى الأعماق إلى عالم اللاوعي الخفي ،وينتقد كل ما يؤدي في المجتمع إلى تشويه الإنسان ويهتم بالسيرورات التي تؤدي إلى تكييف المجتمع لحاجات الإنسان لا تكيف الإنسان للمجتمع،[2] فالتحليل النفسي الفرومي يسعى إلى فهم ما هو سيكولوجي واجتماعي وإطار التأثير بين كل منهما، وبخصوصية أكثر يتفحص الظواهر السيكولوجية التي تشكل مرض المجتمع المعاصر؛ الاغتراب، القلق، الوحدة، الخوف، نقص النشاط، قلة الفرح، وعلى النظرية التحليلية أن تصاغ بطريقة تسمح بفهم الجوانب اللاواعية لهذه الأغراض والشروط المرضية للمجتمع والعائلة التي تولدها.[3]

وعليه فإن إريك فروم يحاول أن يدرس التحليل النفسي وفق ما يتماشى وتحديات العصر التي هيمنت على النفس الإنسانية وطغت عليها، خاصة من خلال التقنية التي استعبدت الفرد والمجتمع، فقد أصبح الفرد في ظل هذا التطور يعاني من انفصام حاد رغم تحصيله لكل ما يبتغيه.

[1] إريك فروم: أزمة التحليل النفسي، ص 184.

[2] نفسه، ص 34، 35.

[3] قاسم جمعة: إريك فروم نحو علم نفس اجتماعي تحليلي، ص 812.

1- اجتماعية علم النفس

يرى فروم أن نظرية فرويد غير مؤهلة لتفسير العلاقات المتبادلة بين الفرد والمجتمع ليعيد إريك فروم طرح المسائل التي تخص الوجود الإنساني من وجهة نظر فرويدية ماركسية، في أن واحد فيجمع بينهما في منهج علم النفس الاجتماعي التحليلي، ويعرف علم النفس الاجتماعي على أنه **<<دراسة الأفراد في مواقفهم الاجتماعية والثقافية من خلال التدريب والخبرة يتعلم عالم النفس الاجتماعي أن يرفع بصره عن الاهتمامات النفسية البحتة، وأن يشمل في منظوره المحيط الاجتماعي الذي يؤثر على تفكير الناس ومشاعرهم وسلوكهم وتفاعلاتهم>>**[1] فعلم النفس الاجتماعي التحليلي يبحث في الأدوار والخلفيات الاجتماعية للظواهر النفسية، فهو ذلك الميدان الذي تنصب فيه كل الأفكار والاهتمامات والحقائق والوقائع التي يعيشها الإنسان داخل محيطه ويفصح إريك فروم في مقالته "منهج ووظيفة علم النفس الاجتماعي التحليلي" عن آراء تدل على توجهات اجتماعية للتحليل النفسي يقول فروم: **<<يجب أن نفهم الظواهر النفسية الاجتماعية باعتبارها سيرورات تكيف نشيطة وايجابية للجهاز النزوي مع الوضعية الاقتصادية والاجتماعية، إن الجهاز النزوي نفسه له قواعد بيولوجية معينة إلا أنه قادر على التغير إلى حد واسع وتلعب الشروط الاقتصادية دور العامل الذي يقولبه بطريقة أولية>>**[2] ومن هنا فإن علم النفس الاجتماعي التحليلي عند فروم يعد بمثابة المنهج الذي يحاول من خلاله فهم البنية النزوية للجماعة في كل النواحي الاقتصادية والثقافية وغيرها، والتي تعبر عن الموقف الليبدي اللاواعي للبنية الاجتماعية الاقتصادية فهو يرى أنه على علم النفس الاجتماعي أن يفهم ويفسر المواقف النفسية وكذلك الإيديولوجيات الجماعية التي تحمل بين طياتها دلالات، وأن يولي كذلك اهتمام لجذورها اللاواعية، وذلك من خلال تأثير العوامل وخاصة منها الاقتصادية على الاستعدادات الليبدية، فالبنى النفسية ينبغي أن ينظر إليها علم النفس دائما على أنها من تأثير البنى الاجتماعية يقول فروم :**<<إن المحتوى النفسي للإنسان، أو جذوره القوى الليبدية، تشكل جزء من البنى التحتية، لكنها ليست البنى التحتية، كما يظن التفسير السيكولوجي، والمحتوى النفسي للإنسان ليس سوى ذلك المتغير بالسياق الاجتماعي>>**[3] فلكل مجتمع حسب فروم بنية اجتماعية واقتصادية

---

[1] وليم ولامبرت و ووالاس إ.لامبرت: علم النفس الاجتماعي، ترجمة سلوى الملا، مراجعة محمد عثمان نجاتي، دار الشروق، القاهرة، ط1 1989، ص 15.

[2] نقلا عن: فيصل عباس: الفرويدية ونقد الحضارة المعاصرة، ص 495.

[3] إريك فروم: أزمة التحليل النفسي، ص 149.

وسياسية، وكذلك بنية دينية، وهي نتاج التأثير الذي تمارسه الشروط الاجتماعية والاقتصادية على الميول والاتجاهات الغريزية، فحسب إريك فروم تلعب البنية الليبدية دور الوسيط الذي عبره يمارس الاقتصاد تأثيره على الظواهر الإنسانية النفسية وكذلك العقلية، ومنه فإن علم النفس الاجتماعي التحليلي حسب فروم ينبغي أن يدرس تأثير الخبرة الذاتية وكذلك الوضع الطبقي الموضوعي على تطور الغرائز.

و فروم يسعى إلى إبراز التفاعل بين العوامل النفسية والاقتصادية والفكرية وإبراز دورها في التطور الاجتماعي فهو يرى أنه <<**إذا أردنا أن نفهم ديناميات العمليات السيكولوجية العامة داخل الفرد على نحو ما إذا أردنا أن نفهم الفرد فإنه يتوجب علينا أن نراه في سياق الحضارة التي تشكله**>>.[1]

فهو يرى أن الإنسان يتفاعل داخل إطاره الاجتماعي، لذا فإنه ومن أجل فهم سلوك الفرد فإننا لا نستطيع أن نفصله عن مجتمعه الذي ينتمي إليه فهو مزود بميكانيزمات استوحاها من هذا الوسط الذي يعيش فيه، كذلك فإننا نفهمه من خلال نفسية الأفراد فيه إن كان هؤلاء الأفراد التدميريون أو الأسوياء، فالفرد يتفاعل مع مجتمعه فهو يؤثر ويتأثر بالوسط الذي ينتمي إليه فهناك تفاعل بين العوامل النفسية والعوامل الاجتماعية، فهو يرى بوجود بنية شخصية مشتركة في كل مجتمع بين غالبية الجماعات والطبقات الاجتماعية ويرى فروم أن هذه الشخصية هي المركز أو النواة النفسية للفرد، فأفراد المجتمع يتفاعلون فيما بينهم فهم تقريبا لهم نفس الدوافع ويتلقون نفس الأفكار والقيم والمثل العليا لذا فإن سلوك الفرد يتوافق مع متطلبات مجتمعة فهم دائما يتصرفون وفق مقتضيات ومتطلبات حضارتهم فالطبع الاجتماعي حسب فروم بالنسب للفرد له وظيفة تكوين الطاقة الإنسانية وشحنها في هذا المجتمع كي يستمر في الرقي للنهوض بالحضارة.

2- اللاشعور الاجتماعي

يعتبر اللاشعور الاجتماعي حسب فروم حلقة وصل أخرى بين الفرد والمجتمع يقول فروم <<**مناطق الكبت التي يمكن إيجادها عند معظم أفراد مجتمع من المجتمعات أود أن أطلق عليها اسم اللاشعور الاجتماعي**>>[2] وعليه فإن إريك فروم يوجه اهتمامه إلى الطبقة الاجتماعية للعوامل التي تستدعي اللاوعي، فهي عنده بمثابة عوامل وظيفية لها دورها في المجتمع وينظر إريك فروم

[1] إريك فروم: الخوف من الحرية، ص 10.

[2] إريك فروم: ما وراء الأوهام، ص 93.

إلى اللاشعور على أنه السري، المجهول وهو غير عملي أو قبلي علمي،[1] فهو جانب خفي لا نستطيع التحقق منه بطريقة علمية دقيقة ويعتبر فروم أن الوعي واللاوعي محددان اجتماعيا، فالمجتمع هو من يختار ما يصل إلى الوعي وما يبقى داخل اللاوعي وكأن المجتمع يقوم بغربلة المبادئ والقيم فمنها ما يسمح بظهوره ومنها ما يمنعه يقول فروم **<<يبدو أن تأثير المجتمع لا يقتصر على أنه يجري الأوهام في القمع إلى وعيينا... وهو يفضي بنا مباشرة إلى المشكلة المحورية وهي كيف يحدث الكبت أو اللاشعور>>**[2] فهو يرى أن للمجتمع تأثير كبير في الأفكار التي يجب أن تصل إلى الوعي فهو يكبت الكثير من العواطف والأحاسيس ويزيحها من الشعور، فالمجتمع دوما يقمع سلوكات العدوانية للحفاظ على البناء الاجتماعي وتماسكه فهو يرى أن الحضارة أو المجتمع البشري هو من يستطيع القيام بعملية التسامي التي من خلالها يتم كف النزوات العدوانية، وبهذا فإن الحضارة تسعى إلى تحقيق أهدافها الخاصة من أجل تحقيق غايات اجتماعية سامية، وهذا من خلال كبتها لبعض الجوانب التي تقوم بتصفيتها لصالح الجماعة الإنسانية، فالجانب الاجتماعي بإمكانه أن يخلص الإنسان من النزوات التي تدخله في صراع مع نفسه **<<سيحكم المستقبل على قدرة الحضارة على الانخراط في طريق تحرير النزوات الجنسية...في هذه الحالة فقط يكون الإنسان تصالح مع نفسه ولا تعود شخصيته مستلبة>>**[3] فالمجتمع هو من بإمكانه تحرير الفرد من غرائزه الشريرة التي تقوده نحو الاغتراب عن مجتمعه وعن نفسه.

ويرى فروم أن المجتمعات الرأسمالية تسعى إلى شحن الأفراد بما يتلائم ومصالحها ويخدمها، فهو يرى أن جل ما يحمله البشر من وعي وفكر هو مجرد زيف، فهو لا ينفي أن يكون تأثير المجتمع تأثير سلبي ومضلل للحقيقة وغير واقعي كأن يشحن وعي أفراده بوعي زائف اتجاه المجتمعات المتخلفة ويغرس فيهم روح العداوة والحقد لهم، يقول فروم **<<أن جل ما لدى الناس في أذهانهم الشعورية إنما هو الوهم والضلال وليس سبب هذا الحال هو أن الناس من شأنهم أن يكونوا عاجزين عن رؤية الحقيقة بمقدار ما هو سبب وظيفة المجتمع>>**.[4] هذا لأن الوعي قد فرض قصرا على الفرد من قبل مجتمعه وفي رأي فروم أن السبب الذي جعل الفرد ينصاع لهذا النوع من الكبت هو الخوف

[1] إريك فروم وأخرون: بوذية الزن والتحليل النفسي، ترجمة محمود منقذ الهاشمي، أزمنة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2006 ص 37.

[2] نفسه، ص 138.

[3] إدغاريش: فكر فرويد، ترجمة جوزيف عبد الله، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 1986، ص 192.

[4] إريك فروم: بوذية الزن والتحليل النفسي، ص 137.

من النبذ والعزلة فهو يخاف من الوحدة فحاجة الفرد إلى الاتحاد مع الآخرين أقوى من رغباته الشخصية، فالخوف من أن يكون الإنسان منبوذا مطرودا من المجتمع يجعله يمتثل ويكبت ما هو محرم من قبل جماعته، فيصبح يرى أن كل إملاءات المجتمع هي الصواب وهي الحقيقة، وما هو مرفوض في هذه الجماعة يحيله الإنسان إلى ساحة اللاشعور، وحسب فروم فإن بإمكان المجتمع أن يجرد الإنسان من إنسانيته، هذا راجع إلى خوفه من النبذ فالإنسان محكوم عليه وفق هذا المنطلق بالوهم والخداع نتيجة قوى نفسية واجتماعية وكذلك اقتصادية وهذا كله نتيجة عجز الفرد عن إدراك الأفكار والمشاعر المتعارضة مع النماذج الثقافية السائدة في جماعته فيضطر إلى كبتها.

وتتمحور آليات تشكيل اللاوعي الاجتماعي حول ثلاث نقاط هي اللغة، المنطق، والمحرمات الاجتماعية يقول فروم **<<كل مجتمع يمنع أن تكون بعض الأفكار والأحاسيس مشعورا بها ومفكرا فيها ومعبرا عنها>>**.[1] خلاصة ما يسعى إليه فروم من وضعه لهذه الآليات أنها تنقل الأفكار والمشاعر والتصورات والأعمال الغير مستساغة من قبل المجتمع إلى دائرة اللاشعور والذي يمنع من بلوغها إلى الوعي، فهي بمثابة المصفاة الاجتماعية تسمح لبعض التجارب بالظهور وتمنع غيرها من الوصول إلى ساحة الشعور.

3- التحرر من الكبت

التحرر من الكبت هو تحويل اللاشعور إلى شعور أي أن ننقل الهو إلى الأنا يقول فروم **<<إن جعل اللاشعور شعورا يحول مجرد الفكرة عن شمولية الإنسان إلى تجربة حية لهذه الشمولية أنه التحقيق التجريبي للإنسانية>>**[2] يولي فروم أهمية كبيرة لتحرير الإنسان من اللاوعي بغية أن يجد الإنسان مجالا واسعا ليفهم العالم ويفهم الإنسانية الحقيقية، فالإنسان في ضوء الكبت يرى الواقع مشوب بالزيف فهو مشوه وكل ذلك راجع إلى الكبت، ويرى فروم أن الإنسان لا يمكنه التحرر من الكبت إلا إذا تمكن من فهم اللاشعور الاجتماعي، بالإضافة إلى اللاشعور الفردي ففهم الكبت الاجتماعي يكشف عن التناقضات داخل هذا اللاوعي من أجل الوصول إلى الوعي الفردي فالمقدسات الاجتماعية، هي من ولدت الكبت للأفراد ومعرفة الفرد للاشعور الجمعي يوصله إلى معرفة إنسانيته الحقيقية، ولا يتم هذا إلا بالتخلص من الخوف من العزلة والنبذ وكذلك القضاء على الأفكار الجاهزة

[1] إريك فروم: بوذية الزن والتحليل النفسي، ص 142.

[2] نفسه، ص 146.

التي يخلقها المجتمع، والأوهام التي سيطرت على فكر الفرد ومشاعره وإزالة الكبت تتطلب من الإنسان عدم مراعاة المجال الاجتماعي وينبغي له أن يتسامى بالمجتمع الذي ينتمي إليه ويعززه ليطور من إمكانياته الإنسانية وهذا يتطلب منه **<<فهما للقوى الاجتماعية المحركة (الديناميكية الاجتماعية) وحكما نقديا للمجتمع من وجهة قيم إنسانية شاملة>>**.[1]

ومعرفة الإنسان للأبعاد التي بعثت بالأضاليل وكرست الأوهام داخل المجتمعات يمكنه الحكم عليها حكم نقدي، و فروم من خلال هذا يسعى إلى بناء مجتمع سوي يخلصه من عناء الكبت ويحرره من الأوهام والخوف الذي يرى أن الرأسمالية هي من يسعى إلى تكريسه.

ثالثا: التصنيع وأزمة الحضارة المعاصرة

لقد وجه إريك فروم انتقاد للحضارة المعاصرة خاصة في جانب التصنيع فهو لم يحصر التحليل النفسي في المجال العيادي العلاجي بل جعله ركيزة في عملية تشخيص أزمات المجتمع الحديث، وبالتحديد واقع الإنسان في هذا المجتمع، وقد رأى فروم أن السبيل إلى التضييق بالإنسانية، وأن كل أشكال المجتمعات الحالية تدفع بالإنسان إلى الاختلال والاضطراب، فقد شهدت الحضارة الغربية المعاصرة انتشار كبير للأمراض النفسية تزامنت مع ظهور ثقافات عُصَابية، فلم يعد الفرد الواحد مريضا بل الجنس البشري بأسره، وهنا يرى فروم أن الحضارة الغربية تمر بعُصَاب جماعي من خلال التغير الإيديولوجي، والانقسامات داخل الجماعة الواحدة وأبرز مثال عن العُصَاب الجماعي في نظر فروم هو الضجر والسأم الذي أصبح يعاني منه الإنسان يقول فروم **<<السأم كل ما ينتج الحزن والملل والضجر... وإنتاج العداوة>>**[2] فالإنسان عند فروم يعاني من الخمول والكسل ما ينتج الملل والسأم وبهذا فإن فروم يرى أن الإنسان يعيش بدون هدف ولأن حياة الإنسان أصبحت في حالة من الاضطراب والاختلال جعلها تقف على مشارفه كارثة بشرية محققة فإنه لا شيء في نظر فروم يمكن أن ينتشلها من هذه الفوضى إلا بالتصالح مع الطبيعة عوض تدميرها ومع الإنسان عوض تغريبه، ولن يتأتى هذا إلا عن طريق إعادة النظر في طبيعة المنظومة القيمية التي تواجه نظر الإنسان إلى الكون والحياة.

فالإنسان حسب فروم يميل إلى التدمير في ظل الحضارة المعاصرة لأنه أصبح بمثابة الآلة ومن هنا فإن الفرد من جراء الخوف أصبح إما خاضع للآلة أو للسلطة **<<ومع الدولة والبيروقراطية**

[1] إريك فروم: ما وراء الأوهام، ص 132.

[2] إريك فروم: الإنسان المستلب وآفاق تحرره، ترجمة حميد لشهب، تقديم راينر فونك، شركة نداكوم للطباعة والنشر، ص 58.

عاد القهر والاستعباد والتبعية وأصبح الإنسان المعاصر مخلصا للدولة هربا من الحرية ومسؤولياتها>>.[1] وقد أصبح خاضعا للقرارات التي تملى عليه فهو في ظل هذه الحضارة أصبح قطعة غيار في يد هذه الآلة الكبيرة التي تدعى المجتمع، فقد مات الإنسان نفسيا وإن كان يحيا هذه الحياة المادية المليئة بالإشباعات الحسية، فهو يعيش في عالم بلا ممكنات فالبديل الوحيد المطروح أمامه هو المزيد من الاستهلاك والاستلاب، وهي ظاهرة تزداد انحطاطا حينما تحضر في سياقات عالم غريب أين تصبح الدولة أو العالم عبارة عن قرية كونية، مليئة بالبلادة وكذلك الحرمان الذات وضياع المسؤولية ليسود الوهم الذي حل محل الطموح.

نخلص إلى القول أن إريك فروم يسعى إلى إيقاظ الوعي الإنساني داخل المجتمعات الغربية المعاصرة من خلال المبادئ والقيم الإنسانية وتكريس روح الجماعة سعيا منه إلى النهوض بالحضارة التي قوامها الإنسان بالدرجة الأولى الذي نجده يحث على التربية النفسية القيمية بداية من الفرد وصولا إلى الجماعة.

[1] فيصل عباس: التحليل النفسي والاتجاهات الفرويدية، ص 126.

الفصل الثالث: دور القيم الإنسانية في بناء الهيكلة الاجتماعية والنفسية عند إريك فروم

تحتل الدراسات القيّمية مكانة هامة في الفكر الفلسفي المعاصر، وقد حاول فروم من خلال دراسته للقيم أن يعيد هيكلة النفس الإنسانية منطلقا من الذات الفردية ليصل إلى الجماعة الإنسانية فقد كان فروم يسعى للوصول إلى تربية قيّمية من خلال دراسته للمجتمع المعاصر من الناحية الاجتماعية والنفسية على حد سواء.

المبحث الأول: التربية النفسية والاجتماعية للإنسان المعاصر.

أولا: إريك فروم بين فرويد وماركس من النقد إلى التأويل

يستلهم إريك فروم كل من فرويد وماركس ضمن نظريته النقدية، من خلال رؤيته وتأويل أنثربولوجي لاحتواء التناقضات الجوهرية بين الاثنين، ومن ثم بناء منهجية فلسفية إنسانية تسهم في معرفة العالم الاجتماعي النفسي، وهو ما أراده فروم في علم النفس الاجتماعي التحليلي.[1]

وهناك نقاط يلتقي فيها النقد الفرومي اتجاه فرويد وماركس، فقد سعى فروم من خلال العملية النقدية التأويلية إلى سد البون الشاسع بين التحليل النفسي والماركسي يقول فروم **<<أود أن أتكلم عن أفكار فرويد وماركس، وعلى تصوراتهما النظرية وعلى التناقضات بينهما وعلى الكيفية التي يستطيع المرء أن يتواصل بها بحسب رأي، إلى تركيب حين يحاول أن يفهم هذه التناقضات ويلغيها>>**.[2]

فقد حاول فروم هنا أن يطرح فهما يجمع فيه بين التحليل النفسي والفكر الماركسي من خلال نظريته النقدية طامحا إلى التوفيق بينهما من خلال سد الثغرة السيكولوجية في النظرة الماركسية، والنقص السيسولوجي الذي يعانيه التحليل النفسي في نصوص ماركس، ويعوض النقص الموجود في دراسة البنية الاجتماعية والاقتصادية داخل المنهج المادي التاريخي، نفس الشيء مع فرويد مع العلم أن فرويد لم ينفي الجانب الاجتماعي كليا في دراسته للظاهرة النفسية **<<ومن الجلي انحياز النظرية الفرومية لسيسيولوجيا ماركس في مواقع كثيرة، سعيا منه لتخليص الفرويدية من عمقها، بعبارة أدق**

[1] قاسم جمعة: إريك فروم نحو علم نفس اجتماعي تحليلي، ص 781.

[2] إريك فروم: ما وراء الأوهام، ص 18.

أنه يستثمر الماركسية أخلاقيا وأنثروبولوجيا لخلق فضاء تواصلي مع التحليل الفرويدي مبينا في البدء أوجه القصور في خطاب كل منهما>>.[1]

وهذا لا يعني أن فروم يقلل من قيمة النظرية الفرويدية، فهو في الكثير من أعماله يشيد بالأفكار التي جاء بها فرويد، فقد انتقد كل من النظرية الماركسية والفرويدية وحاول أن يعزز الخطابين من خلال النقص الذي وجده لاسيما في فهم طبيعة الإنسان ودوافعه وحاجاته وعلاقته بالآخرين وعلاقة الفرد بالمجتمع، وحتى الحضارة، وحاول أن يزيح الزيف الذي طال النظرية التحليلية و الماركسة والتي لم تولي أهمية للجانب السيكولوجي بالنسبة للفرد والمجتمع عند ماركس، والجانب الاجتماعي عند فرويد، وميل فروم إلى النظرية الماركسية لا يعني أنه انصهر فيها بل أنه كان يقف حيالها بمسافة نقدية واحدة تتراوح بين ماركس وفرويد ليخلق توازن فلسفي إنساني يلغي التناقض والتضارب بين آرائهما الفكرية.

ويحاول فروم الكشف عن نقاط التوافق والالتقاء بين الرؤيتين سيما في مسائل:

1- الشك.

2- الحقيقة بوصفها مصدر التحرر من الأوهام.

3- النزعة الإنسانية.

4- المنهجية الدينامية والجدلية في التحليل الفرويدي والماركسية على التوالي.[2]

وقد أخذت المنهجية الفرويدية والماركسية طابع تفسيري لا تنبؤي كونهما ينتميان إلى دائرة العلوم الإنسانية والتي لا يمكن أن نقول عنها أنها من ضمن العلوم التنبؤية **<<ما يجعل الماركسية والفرويدية متقاربة أكثر، يتجلى في اشتغالهما على حقول السياسة والأخلاق والدين والتربية وتطور المجتمعات البشرية فضلا عن الرؤية المنهجية الساعية لفهم السلوك الإنساني>>**[3] فكلاهما ينتمي إلى النزعة الإنسانية فلا يوجد أي شيء إنساني يمكن أن يكون غريبا عنه من أخلاق وسياسة ودين وتربية، فقد حاول فروم من خلال الجمع بين النظريتين أن يحرر الفرد من الاستلاب وخلق اتجاه أخلاقي

[1] قاسم جمعة: إريك فروم نحو علم نفس اجتماعي تحليلي، ص 782.

[2] إريك فروم: ما وراء الأوهام، ص 21.

[3] نفسه، ص 783.

يلغي بربرية المجتمع الحديث، والنهوض بإنسانية الإنسان، وحاول أن يجد له في ثنايا الماركسية الروح والروحانية الإنسانية من خلال إبراز الداخل الإنساني وما يحركه من شعور و إدراكات صوب العالم، فقد رأى أن الحالة اللاواعية التي يعيشها الفرد والمجتمع على وجه العموم نمت بفعل الغياب الأزلي للنوع الإنساني عن ذاته وعدم إحساسه وكذا شعوره بأنه عليه أن يعيش حرا، ويمارس طاقته ويترجمها إلى الواقع العيني كون الاستعدادات والقدرات والإمكانيات التي بحوزة الفرد الإنساني عندما يولد لا يمكن أن نتغاضى عنها ونتجاهلها، فبناء الذات من وجهة نظر فرومية قد تعرضت لتشوهات تاريخية اجتماعية وكذلك نفسية ولهذا على الإنسان الجديد أن يراجع ذاته والذات الجمعية كي يثبت خطواته من جديد على المعمورة ويحتل الصدارة من بين الأشياء كفرد حر، وهو الذي يتصرف بالأشياء كمواضيع خارجة عنه، وذلك لاستكمال معادلة الذات والموضوع.

كما تؤكد النظرية الفرومية على أهمية العقل النقدي ذي الطابع الإنساني، فنجده قد وجه انتقادات عدة للتحليل الفرويدي فيما يتعلق بالطبيعة العلاجية وعلاقة المحلّل بالمريض وكذلك بعض المفاهيم في التحليل النفسي في حد ذاته، وحتى ما يتعلق بالإنسان والحضارة وحاجات الإنسان ودوافعه وعلاقاته الاجتماعية، كما انتقد فروم أطروحات فرويد حول الدين والسياسة ودور المجتمع محاولا دراسة عوامل الالتقاء الحضاري للشأن الاجتماعي والسيكولوجي.

ومنه فإن الماركسية والتحليل النفسي هما وسيلتان لمعرفة الإنسان فيشيد فروم بما أسهما به قائلا **<<لقد زعزع نيتشه التفاؤل القانع تفاؤل القرن التاسع عشر، وكذلك فعل ماركس ولكن بطريقة مختلفة وجاء تحذير آخر بعد هذا بقليل من فرويد ومن المؤكد أن معظم تلاميذه لم تكن لديهم سوى فكرة ساذجة للغاية عما يجري في المجتمع>>**.[1]

فقد انتقدت النظرية الماركسية والفرويدية على حد سواء الغرور الذي كانت عليه الحضارة الغربية، لذا رأى فروم أنه في التوحيد بينهما سيعملان على توجيه وعلاج المشاكل التي سادت هذه الحضارة وتوحيد الدراسات النفسية والاجتماعية والتصدي للامعقول عن طريق العمل الفكري الذي تصدى له التحليل النفسي الفرويدي وكذلك الماركسي وسد العوز في النظريتين فاللامعقول اجتماعيا عليه أن ينفذ وينضج من خلال روافد التحليل النفسي، ونفس الأمر مع الفرويدية التي تغافلت عن اللاوعي الاجتماعي لتجنب الجمود والتدهور.

[1] إريك فروم: الخوف من الحرية، ص 15، 16.

من خلال هذا نجد أن فروم قد سعى إلى المساهمة البناءة في تأسيس علم نفس اجتماعي تحليلي ليتجاوز القصور الموجود في علم النفس وعلم الاجتماع بداية من أعماله المبكرة في معهد البحث الاجتماعي بدايات العقد الثالث للقرن العشرين من أجل خلق وجهة نظر اجتماعية نفسية ترتكز

على الماركسية والتحليل النفسي.

ومن خلال هذه الدراسة التي قام بها توصل فروم بنظريته النقدية إلى تعريف الإنسان فهو يرى أنه **<<ليس مادة بايولوجية تحكمها أبعاد اقتصادية فحسب، إنه كائن خلاق وعضو اجتماعي فاعل لا منفعل فحسب، له حاجات إنسانية تخصه ككائن بشري تميزه بعد ذلك ككائن نوعي مثلما له حاجات فسيولوجية بايولوجية ومادية واقتصادية>>**.[1] فطبيعة الإنسان حسب فروم تتحكم فيها عوامل بايولوجية حضارية انثروبولوجية وكذلك عوامل اقتصادية واجتماعية ونفسية، ويرى فروم أن الإنسان هو أشد الحيوانات كلها عجزا إلا أن هذا الضعف البيولوجي البالغ هو أساس قوته والسبب الأهم لنشوء خصائصه الإنسانية حصرا،[2] فالضعف في الجانب البيولوجي وما يعانيه الإنسان من وجود انقسامات تاريخية ووجودية ينبغي عليه أن يضع لها علاجا ناجعا، فالضعف البيولوجي حسب فروم هو شرط الحضارة الإنسانية.[3]

ويعتبر هذا التركيز على ضعف الجانب البيولوجي جرأة من فروم على نقد نظرية الليبيدو الفرويدية، فالضعف البيولوجي حسب فروم هو من يستحق الحرية الايجابية، فالإنسان الفرومي لا تتحكم فيه غرائزه ودوافعه البايولوجية بل هو كائن يختار ويفعل من أجل تحقيق ذاته في الوجود فهو يرى أن الإنسان تارة ينفصل عن الطبيعة وتارة يتصل بها، يقول فروم **<<يجب أن يكون وحيدا عندما يكون عليه أن يحكم في أمرا ويتخذ القرارات بقوة عقله وحدها ومع ذلك لا يستطيع أن يتحمل أن يكون وحيدا غير متصل بأنداده البشر>>**.[4] فالإنسان في علاقاته المزدوجة مع الآخرين ومع نفسه ينفصل عن الآخرين عند تحقيق المطالب والحاجات العقلية الخاصة به، فالوجود الإنساني يبدأ عندما يتمكن من تجاوز النقص وله أن ينفصل عن أقرانه عندما لا يكون هناك إكراه تكيفي مع الجماعة

[1] قاسم جمعة: إريك فروم نحو علم نفس اجتماعي تحليلي، ص 790.

[2] إريك فروم: الإنسان من أجل ذاته، ص 70.

[3] إريك فروم: الخوف من الحرية، ص 34.

[4] إريك فروم: الإنسان من أجل ذاته، ص 78.

البشرية في حال العمل، ويعود لاتصاله مع الجماعة ليساهم في بناء الحضارة، فالحضارة لا يمكن أن تبنى عن طريق الغريزة كما زعم لها فرويد.

ثانيا: التربية النفسية عند إريك فروم

1- التواصل ضد النرجسية

أول من فتح أفق الفكرة التواصلية داخل النظرية النقدية هو المحلل النفسي إريك فروم من أجل القضاء على نرجسية وأنانية الإنسان، وقد خاض في هذا الجانب من وجهة نظر نفسية وذلك في معالجته للقضايا الاجتماعية، فهو يرى أن حياة الإنسان موضوعة بين خيارين لا مناص له منهما، وهما النكوص والتطور، و بين أن يكون موجود كوجود إنساني وبين أن يعود إلى الحيوانية أي المرض الذهني يقول فروم **<<ولا يفهم المرء حاجة الإنسان إلى التواصل تمام الفهم إلا إذا درس المرء نتيجة الإخفاق في أي نوع من التواصل وإذا عرف المرء معنى النرجسية... إنه لم يعش بعد تجربة "أنا" بوصفه منفصلا عن أنت>>**.[1] وهنا نجد فروم يرى أن الإنسان عندما يخوض في تجارب تواصلية ويفشل فيها فإن ذلك يعود إلى نرجسيته وأنانيته وحبه لنفسه، ويرى دوما أنه هو على حق وينبغي أن يسمع الطرف الآخر له وينصت له ويأخذ برأيه، وهذا ما يسعى فروم إلى حله من خلال إقحام الإنسان في التجارب التواصلية لتخلص من الجشع والحب المفرط للذات وضرورة فهم أن وجود الآخر ضروري لوجود الأنا واستقامتها، لذا نجد أن فروم يلح على ضرورة الاتحاد مع الكائنات الأخرى والتوصل معها لتحقيق سلامة الإنسان الذهنية وتوطيد علاقات الإنسان الحميمية من محبة وأخلاق لذا نجد إريك فروم يقول **<<توجد عاطفة واحدة تشبع حاجة الإنسان إلى أن يوحد نفسه مع العالم وأن يكتسب في الوقت ذاته الإحساس بالسلامة والفردية وذلكم هو الحب>>**.[2] وهنا يرى فروم أن عاطفة الحب تلغي من تضخيم الآخر لنفسه أمام الأنا، وكذلك الأنا نفس الشيء تفعله، وبهذا فإن الحب حسب فروم يسهل سبل التواصل ويلغي الحواجز بين البشر، فهو تجربة تدعو إلى المشاركة والاشتراك والذي يسمح بالانفتاح الكامل للنشاط الإنساني الداخلي، فهو كفيل بتحقيق التضامن بين بني البشر فالإنسان هنا في هذه الصورة كائن اجتماعي يحتاج إلى وجود الآخرين جنبه فهو **<<مخلوق اجتماعي وليس كما يفترض فرويد أنه مخلوق مكتف بذاته بالدرجة الأولى وأن حاجته إلى الآخرين تأتي**

[1] إريك فروم: المجتمع السوي، ص 140.

[2] نفسه، ص 137.

بالدرجة الثانية وذلك لإرضاء حاجاته الغريزية>>.[1] فحاجة الإنسان للتواصل مع الآخرين هي ضرورة للقدرة على التكيف داخل النمط الاجتماعي وتوطيد العلاقات الاجتماعية وهذا ليس حكرا على الحاجات الغريزية كما ادعى فرويد.

ويرى فروم أن القضاء على النرجسية في الإنسان عن طريق التواصل يتم بمراحل أولها أن الإنسان في بدايته الأولى يرى دائما أن "الأنا" متميزة على "أنت"، ويحدث التغيير تدريجيا فيكون للمرة الأولى على مستوى الإدراك الحسي من حوله وفيها يبدأ المرء يفهم أن له كيان خاص وللأشياء من حوله كذلك كياناتها، وحتى للطرف الآخر كيان خاص يتميز به، ومن ثمة يشرع في عملية التعرف على مسميات الأشياء ويفصل بينها ويرى فروم أن التغلب على النرجسية عند الطفل يستغرق وقتا طويلا فلا يدرك أن الشخص الآخر مهم وله حاجاته الخاصة إلا بعد زهاء التاسعة من العمر وفي حال ما يصل الإنسان إلى القضاء على الأنانية تتولد فيه القدرة على الإبداع والبناء والتواصل مع الآخرين وهذا يفضي إلى سعادة الإنسان وبناء حياة سوية وأن القضاء على النرجسية أمر ضروري للصحة النفسية لدى الفرد لأنه في حال ما لم يستطع التغلب عليها فإن الأنانية تبقى مسيطرة على الفرد فيعيش في عالم من الأوهام يصور لنفسه تصورات ذهنية للعالم الخارجي لا كما هو، فلا يستطيع أن يجد روابط مع الآخرين ومع محيطه الخارجي.[2]

2- التجاوز – الإبداعية ضد التدميرية

هذا الجانب الثاني الذي يقترحه فروم للنهوض بالحاجات الإنسانية والتربية النفسية وتحقيقها، ويرى أن هذا الجانب مرتبط بالجانب التواصلي، فالتجاوز هنا يعني **<<حالة الإنسان بوصفه مخلوقا وحاجته إلى تجاوز حالة المخلوق السلبي>>**[3] وهي الحاجة إلى التفوق والقدرة على تجاوز الضعف والتعالي الخلاق، ليتمكن الإنسان فيها من تجاوز حالته الحيوانية الغير مجدية، فالإنسان عند فروم ألقي به في هذا الكون ولم يكن له الخيرة في ذلك مثل باقي المخلوقات كالنبات والحيوان، وما يميز الإنسان عن سائر المخلوقات هو الوعي والعقل الذي من خلاله يستطيع أن يتجاوز الوضع السلبي، الذي يمكن أن يقع فيه **<<الإنسان يمكن أن يخلق الحياة... وأنه وحده يدرك أنه يخلق، إنه يخلق**

[1] فاخر عاقل: مدارس علم النفس، دار العلم للملايين، بيروت، ط1، 1968، ص 229.

[2] إريك فروم: المجتمع السوي بتصرف، ص 140.

[3] نفسه، ص 142.

وأنه يخلق>>[1] فالإنسان يستطيع من خلال عقله أن يوظف كل قواه وطاقته للإبداع وخلق سبيل الحياة وتسخير المادة والحيوان وحتى النبات ليكون في خدمته، ويبدع الفن، وأن يكرس الصناعة الآلية لخدمة الإنسانية وتعمير الكون وتوظيفها فيما هو ايجابي وتسخير كافة قواه العقلية لحماية الكون لصالحه ولصالح الأجيال اللاحقة، وأيضا كما يرى فروم أن تكوين الفرد داخل الأسرة ينبغي أن يكون إبداعي كي لا ينشأ هذا الطفل نشأة غير سوية أو تدميرية. فالتربية حسب فروم هي فن يستطيع الإنسان أن يوجهه ايجابيا أو سلبيا، لذا يرى فروم أن خلق الحياة نشاط ينبغي أن يكرس له الاهتمام والحرص وكذلك محبة ما يكون المرء قد عزم على إبداعه، وإن لم يمتلك الإنسان القدرة على المحبة والإبداع فإن له القدرة على تجاوز الحياة بشكل سلبي، فينزع إلى التدمير، لذا ينبغي أن يطور الإنسان مقدرته على الحب وحب الحياة بشكل خاص والقدرة على الإبداع والكف وكبت النزعة التدميرية وهذه وظيفة تربوية موكلة إلى المجتمع باعتباره النواة التي ينشأ فيها الفرد، وهذه دعوة من فروم إلى إعادة هيكلة المجتمع هيكلة نفسية سوية قائمة على المبادئ والقيم الإنسانية المثالية متضمنة أهم المبادئ العليا كالأخوة والعدالة والتضامن والذي يكفل نشأة الفرد نشأة سوية تحميه من نفسه أولا.

3- الترسيخ– الأخوة ضد سفاح الحرم

يسعى فروم من خلال هذا الطرح إلى تحقيق التضامن والتكافل الاجتماعي وتجسيد الأخوة والصداقة قبل السفاح الذي قطع العلاقات بين كل المؤسسات؛ بداية من الأسرة إلى المدرسة وصولا إلى المؤسسة الكبرى وهي الدولة يقول فروم **<<ولن يعثر الإنسان على مشكل إنساني جديد للترسيخ، ويحول عالمه إلى وطن إنساني حقيقي إلا عندما يفلح في تنمية عقله وحبه وتنمية أكبر مما فعل حتى الآن، وعندما يستطيع أن يبني عالما قائما على التضامن والعدل الإنسانيين، ويستطيع أن يشعر بالترسيخ في تجربة الأخوة الشاملة>>**[2] وهنا نجد أن فروم يسعى إلى بناء الإنسانية من خلال التربية السوية للطفل ولن يكون ذلك إلا بالقضاء على التعلق السفاحي بالحرم وهو نوع خبيث من تعلق الطفل بأمه، وكذلك النوع الأكثر خطرا هم الأطفال المتفردين بأنفسهم والمكتفين بذواتهم عن من سواهم فهم منسحبين من الواقع، وحتى أنهم لا يستطيعون إخبار أمهاتهم أنهم موضوع للمحبة وليس لديهم أي ارتباط عاطفي بالآخرين فينظرون إليهم بوصفهم أشياء غير حية، ويهتمون بالآلة والجماد أكثر من اهتمامهم بمن حولهم من البشر، أما عن نظرتهم للأم فهم يرون أنها رمز للموت فهي حسب

[1] إريك فروم: المجتمع السوي، ص 143.

[2] نفسه، ص 168.

رؤيتهم ليست شخص، هي الأرض والدم والعرق والتربة العميقة التي منها تبزغ الحياة وإليها تعود وهي كذلك عندهم رمز للفوضى الشاملة والموت، وكل هذا يعود إلى النرجسية وحالة العزلة والاكتفاء بالذات.[1]

ويرى فروم أنه لحل هذه المشكلة ينبغي الاتصال ببني جنسه، وأن يكون هناك دعوة إلى الأخوة والمحبة والتكافل والتعاون بين بني البشر، وتجنب العزلة والتفرد وذلك بتنمية العقل الفردي كي يستطيع تحويل هذا العالم إلى عالم إنساني شامل يسوده الإخاء والإخلاص والمحبة.

4- الإحساس بالهوية الفردية ضد التماثل القطعي

يعتبر مشروع الإحساس بالهوية أو بالأحرى الفردية كبديل للانغماس والانصهار والتماثل في الآخر وخضوع العقل البشري خاصة للعقل الغربي وتقليده، يقول فروم **<<إن من شأن الصدع الوجودي في الإنسان أن يكون غير محتمل إذا لم يتمكن من إنشاء معنى للوحدة في داخل نفسه ومع العالم الطبيعي والإنساني في خارجها>>**.[2]

فصحيح أن إريك فروم قد دعى إلى التواصل مع الآخرين لكن هذا لا يعني أن تلغى شخصية الإنسان وأن يتماثل لهذا الآخر، بل عليه أن يحافظ على هويته وشخصيته المنفردة والمستقلة بذاتها التي لها قرارها في شؤونها الخاصة، وأن يعيش الإنسان في وحدة مع بني البشر لا يعني أن يماثلهم في كل شيء، ولا ينبغي أن ينسى للحظة أنه ذات حرة مستقلة ولا ينبغي أن يسيطر عليه الوضع الاجتماعي الذي يعيش فيه ويقتل فيه التفكير، فإريك فروم يسعى هنا إلى تخليص الفرد من الخضوع للحشد لذا نجد أن فروم في تعريفه للإنسان يقول **<<إنه الحيوان الذي يمكن أن يقول "أنا" الذي يمكن أن يدرك نفسه بوصفه وجودا منفصلا>>**.[3] فالإنسان لكي يدرك هويته الشخصية ينبغي أن يدرك أنه ذات مستقلة عن غيرها، فإحساس الفرد بهويته و ذاتيته تشعره أنه ذو أهمية وذو فاعلية في هذا الوسط الذي يعيش فيه، وأن له مكانة وله دور في المجتمع والإحساس بالهوية يكسب الفرد الثقة بالنفس وأن يكون الشخص سويا مستقلا برأيه وقراره؛ فالإحساس بالهوية يمكنه من الانفصال والتفرد

[1] إريك فروم: تشريح التدميرية البشرية، ج2، ص 140، 141.

[2] إريك فروم: تشريح التدميرية البشرية، ج1، ص 362.

[3] إريك فروم: المجتمع السوي، ص 168.

والقدرة على ممارسة الحياة دون رابط أو قيد وخاصة التعلق بالأسرة لهذا نجد أن فروم يقول <<**أن يقوم الفرد بتنمية قابلياته وطاقاته أو الدخول في مؤسسات أو جمعيات واتحادات يتمكن بواسطتها من استغلال واستثمار قابليته الفردية**>>.[1] فانخراط الإنسان في مثل هذه المؤسسات هو من يبرز هل بإمكان الإنسان أن يحافظ على ذاته كـ"أنا" أم أنه شخصية ستنصهر في مثل هذه الجمعيات، فإن استطاع أن يضمن "أناه" فهو كائن فعال وله دور ايجابي في الحراك الاجتماعي، وهذه الفكرة كذلك نجدها عند ديكارت(René Descartes) في صناعته للكوجيتو أنا أشك فإذن أنا أفكر، فإذن أنا موجود. ويرى فروم أن مشكلة الإحساس بالهوية ليست مجرد مشكلة فلسفية بل هي نابعة من صميم الوجود الإنساني، فهو يرى أنها <<**أقوى حتى من البقاء المادي**>>[2] لأن الذات أو الهوية الإنسانية لا يمكن أن تقارن بالمادة الميتة لذا ينبغي أن يتحرر الإنسان من كل القيود التي تجعله أسيرا خاصة في قيود المجتمعات المتطورة، والتي أحكمت سيطرتها على الإنسان وعلى فكره فيشعر حينها باللامعنى، لذا يحذر فروم في هذا الميكانيزم من أن يعتنق الإنسان شخصية مقدمة له حيث يصبح مثل الآخرين وكما يريدون له هم أن يكون، فتختفي حينها الهوة بين العالم والأنا، فيصبح حينها آلة متطابقة مع ملايين آخرين من الآلات المحيطة به فيموت فيه الإحساس بالقلق اتجاه الحضارة فيفقد قبل كل شيء نفسه.

5- على إطار للتوجه والإخلاص– العقل ضد اللاعقل

يتيمز الإنسان بالعقل عن سائر المخلوقات وبهذا العقل يستطيع الإنسان أن يحصل على هويته الخاصة وتحقيق ذاته وهو من يوظف عقله سواء في الجانب السلبي أو الجانب الايجابي، ويقصد هنا فروم بإطار التوجيه بداية التوجيه في المرحلة الأولى من نمو الطفل وتعرفه على الأشياء المحيطة به، ومن هنا ينبغي أن يعمل هذا العقل من أجل النمو، يقول فروم <<**والعقل هو ملكة الإنسان التي يجب أن تمارس من أجل أن تنمو وهي غير قابلة للانقسام**>>.[3] فالعقل الإنساني من أجل أن ينمو ينبغي أن يشتغل ويعمل كي لا يخمل ويجمد وتوجيه هذا العقل ينبغي أن يكون في الجانب الايجابي، من أجل الإبداع والنهوض بالفكر كي يكون هذا العقل فعال يمكن الإنسان من معرفة الطبيعة والمجتمع وحتى معرفة المرء

[1] السيد أحمد القابنجي: مدارس علم النفس، المجلد1، دون دار نشر، دون بلد نشر، دط، دت، ص 156.

[2] نفسه، ص 171.

[3] نفسه، ص 172.

لذاته، وهذا التوجيه هو من سيقود الإنسان إلى التخلص من الأوهام سواء حول رؤيته القاصرة اتجاه العالم واتجاه الآخرين، وكذلك يمكن أن يوجه العقل اتجاه سلبي منحرف يغرق الإنسان في معرفة مزيفة ومنحرفة لا تمت بصلة إلى الواقع والحقيقة، فيبقى الإنسان غارقا في أوهامه لا يدرك حقيقة الكون ولا ما توصلت إليه البشرية من إبداعات واختراعات تقنية بسبب الركود والخمول، وهذا يشير إلى أن للعقل الإنساني قدرة تمتد إلى العالم كله ومن هنا يحدد فروم مستويين للتوجه هما:

المستوى الأول: يتمثل في امتلاك إطار ما للتوجه، بغض النظر على أنه حقيقي أو زائف وإذا لم يكن للإنسان مثل هذا الإطار المرضي ذاتيا، فإنه يمكن أن يعيش سويا.

المستوى الثاني: تكون الحاجة إلى الاتصال بالواقع بالعقل وإلى فهم العالم موضوعيا.[1]

ويؤكد إريك فروم على ضرورة وجود إطار لتوجيه في كتابه تشريح التدميرية البشرية يقول **<<والحاجة إلى تشكيل إطار التوجه واضحة على الخصوص في حالة الأطفال فهم في عمر معين يظهرون حاجة عميقة إلى إطار للتوجه وكثيرا ما يخترعونه بأنفسهم بطريقة بارعة، مستخدمين ما تيسر لهم من المعلومات القليلة>>.**[2]

فالأطفال هم من يحتاج في بداية الأمر إلى التوجه، وتكون بداية هذه الخطوة عندما يتمكن الطفل لأول مرة من السير لوحده، ويبدأ هنا بالاكتشاف وحده عن طريق حواسه وخاصة حاسة اللمس التي يتعرف بها على الأشياء؛ يلمسها بنفسه وهذه هي الخطوة الأولى من حياة كل إنسان، وفي الكثير من الحالات نجد أن الطفل يخترع بنفسه إطار التوجه الخاص به وأحيانا يكون اختراعهم هذا اختراع بارع مع بساطة الأشياء الموجودة أمامهم، أي بما يتوفر لهم فقط وهم في هذه المرحلة في أمس الحاجة إلى مرشد يساعدهم على تنمية وتطوير العقل بشكل سوي.

ويحتاج التوجه هذا إلى مرشد أهم بل وفي غاية الأهمية وهو الإخلاص فهو حسب فروم النقطة المحورية لكل القيم الإنسانية **<<وهو محتاج إلى موضوع الإخلاص هذا لعدة أسباب، فالموضوع يدمج طاقاته في اتجاه واحد، وهو يدفعه فوق وجوده المنعزل، بكل ما فيه من شكوك واضطراب، ويخلع المعنى على الحياة، وهو في إخلاصه لغاية تتجاوز أناه المنعزل، يتجاوز**

[1] السيد أحمد القابنجي: مدارس علم النفس، ص 173.

[2] إريك فروم: تشريح التدميرية البشرية، ج1، ص 354.

ذاته، يغادر سجن تمركزه المطلق حول الأنا>>[1] فالتوجه ينبغي أن يكون مبني وفق أسس متينة حتى يحقق الجهد الإنساني كالتفاني والإخلاص، فالحاجة إلى التوجه وموضوع الإخلاص عند فروم جزء أساسي في الوجود الإنساني ويقصد فروم بمصطلح التجاوز للذات، الفكرة الدينية التي تعلو على الإنسان، يقول فروم **<<ولأن الحاجة إلى مذهب للتوجيه ولعبادة جزء جوهري من الوجود الإنساني>>**[2] ومن هنا يرى فروم أن الإنسان وموضوع إخلاصه قد يكون إما ايجابي وإما سلبي، على أساس أن هناك من يخلص للأوثان يتطلب منه إخلاصه أن يقدم ابنه قربانا لهذا الوثن، أو أن يحافظ عليه فإما أن يكون الإخلاص هذا تدميري أو إخلاص بناء موجه لصالح الإنسانية أي حسب إطار التوجيه لهذا الإخلاص، لذا نجد أن فروم يسعى إلى بناء عقل يخدم الشخصية السوية والمجتمع السوي.

المبحث الثاني: النزعة الإنسانية عند إريك فروم

أولا: الفلسفة الإنسانية لإريك فروم

1- سلوك الإنسان

لقد ركز فرويد في دراسته لسلوك الإنسان على نظرية الغرائز، على عكسه نجد أن فروم يؤكد على أن السلوك الإنساني محكوم بضروريات اقتصادية واجتماعية وكذلك نفسية، يقول فروم **<<في الحديث عن البنية الاجتماعية، الاقتصادية للمجتمع بوصفها تسبك طبع الإنسان، إننا لا نتحدث إلا عن قطب واحد في الصلة المتبادلة بين النظام الاجتماعي والإنسان، ويجب أن يؤخذ بعين الاعتبار أن القطب الآخر هو طبيعة الإنسان التي تسبك بالتالي الشروط الاجتماعية التي يعيش فيها الإنسان>>**.[3]

وهذا لا يعني أن فروم ينفي دور فرويد فهو الآخر قد فتح له آفاق على عالم اللاوعي، فالعلمية الاجتماعية كذلك لا يمكن أن تفهم إلا من خلال فهم الخصائص النفسية والفزيولوجية التي تطبع سلوك الفرد داخل المجتمع، وكذلك نجد أن المجتمع لا يسبك السلوك وحسب بل كذلك يطبعه ويحدد

[1] إريك فروم: تشريح التدميرية البشرية، ج1، ص 360.

[2] إريك فروم: الدين والتحليل النفسي، ص 28.

[3] إريك فروم: المجتمع السوي، ص 190.

نفسيته، وكذلك للمجتمع دور كبير في تحديد سلوك الفرد والتحكم فيه، وله كذلك أن ينتج الغرائز ويرى فروم أن فكرة النجاح المجتمعي هي فكرة ضاربة بجذورها في أعماق الإنسانية ولها خمس مستويات هي كالتالي:

- التسويق كمبدأ مؤسس جديد.
- تفضيل مبدأ الامتلاك على حساب مبدأ الوجود.
- الخيالات النرجسية الجماعية الكبيرة واحتقار الضعفاء.
- إغراءات الجماد والأشياء.[1]

فالمجتمع له أن يتحكم في سلوك الإنسان بميكانيزماته الخاصة وهناك ما يسميه فروم باللاوعي الاجتماعي، يقول فروم <<**إن الطبع الاجتماعي الذي يدفع الناس إلى أن يتصرفوا ويفكروا كما يتطلب مجرى حياتهم الاجتماعية... ليس إلا صلة بين بنية المجتمع والأفكار وحلقة الوصل الأخرى هي الواقع أن كل مجتمع يحدد أية أفكار وأحاسيس يحق لها أن تصل إلى الشعور و أيها يجب أن تبقى لا شعورية**>>.[2]

فكل مجتمع حسب فروم يحدد الأفكار والسلوكات والأحاسيس التي يحق لها أن تصل إلى ساحة الشعور والتي يمنعها من ذلك ويكبتها ووجود طبع اجتماعي شعوري يعني كذلك وجود طبع اجتماعي لا شعوري، هذا الجانب الذي أهمله فرويد ومعظم المحللين، فهو لم يوله أهمية كبيرة ولم يعطي المركزية للبنية الاجتماعية وتأثيرها على الكبت واتفق فيه فروم مع المحلل النفسي **كارل يونغ** (Carl Gustav Jung) وقد أطلق عليه اسم اللاشعور الجمعي فقد احتوى هذا الجانب الإرث الروحي لتطور البشرية.

2- الجمع بين الماركسية والجانب الروحي للإنسان

يعتبر ماركس أهم مصدر فكري لإريك فروم فقد رأى فروم أن الاشتراكية الماركسية الحقة لا كما صورها أتباعه الذين يسمون أنفسهم بالماركسيين، تعبر عن فكرة تحقيق الذات الإنسانية وقد أعطى فروم أهمية كبيرة للجانب الروحي في حياة الإنسان ورأى أن عالم الروحانيات وحده هو من يعكس الطبيعة

[1] إريك فروم: الإنسان المستلب وآفاق تحرره، ص 09.

[2] إريك فروم: ما وراء الأوهام، ص 93.

الإنسانية كما هي، فالعلاقات الروحي تؤسس للعدالة بين بني البشر، لهذا نجد فروم يعبر عن ذلك بالعبارة التالية **<<كن عادلا حينما تتبادل أعط بمقدار ما تتوقع أن تأخذ، ولا تخدع غيرك>>**.[1] فالجانب الروحي حسب وجهة نظر فروم من الركائز التي لا غنى للإنسان عنها في إحداث تغير في الجانب الاجتماعي، ففي تفاعله مع البنية الاقتصادية للمجتمع، والبنية النفسية للفرد يتشكل ما يسمى بالشخصية الاجتماعية، ولا يقصد فروم بالجانب الروحي الذات المطلقة وغيرها وإنما ما تتطلبه الحياة الإنسانية كالاهتمام بالمهمشين في المجتمع، ويركز فرم في الجانب الروحي على الدين بمعناه الواسع بوصفه نظام للفكر، فالحاجة الدينية متجذرة في الوجود الإنساني فالاتحاد بين الجانب المادي والجانب الروحي هو من يكسب الإنسان إنسانيته بنجاحها وفشلها بخوفها وشجاعتها يقول فروم **<<إن الإنسان الذي يحاول أن يعيش دون اعتقاد "إيمان" يصبح عقيما دون أمل وخائف في عمق وجوده>>**.[2] فالإيمان حسب وجهة نظر فروم خاصية إنسانية لا تنسب إلى عقدية معينة أو دين محدد، فالجانب الروحي للإنسان لا يرتبط بالمقدس أو الذات الإلهية المطلقة، بل هي تجربة يعيشها الإنسان بنفسه فهي شخصية يحس فيها الإنسان بإنسانيته المتكاملة تتسامى بالإنسان وتتعالى به وتتجلى خاصة في أعماله الاجتماعية اللاأنانية، يقول فروم **<<لكي يعيش يحتاج الإنسان للاعتقاد، ومن أجل العيش في العالم المعاصر والمستقبل الذي يتطور فيه، فإن كل إنسان سيكون في حاجة للإيمان العقلي، ويمكن للإيمان العقلي الضروري أن يتطور في النظام المجتمعي حيث تتحقق المثل الديمقراطية>>**[3] فالجانب الروحي بالنسبة للإنسان يعد عصب الحياة، من خلال هذا القول نلمس أن فروم يميز بين الاعتقاد العقلي وآخر لا عقلي، ويقصد بالإيمان اللاعقلي ذلك الخضوع للشخص الآخر أو للشيء، فهو إيمان أعمى مثل الخضوع للسلطات المجهولة، أو للدولة أو للآلة، أما الإيمان العقلي فهو ضروري لتحقيق مجتمع إنساني ومرتبط بالاقتناع الشخصي بعيدا عن الخوف واللاوعي الناجم عن الثقة الشخصية للإنسان، فهو نابع من الذات الحرة للإنسان، وهذا النوع من الإيمان حسب فروم هو الذي سيقود إلى المجتمع السوي ويحقق للإنسان إنسانيته، وهو يلعب دور هام في الوصول إلى المثل العليا مثل الديمقراطية، ولا يكون هذا النوع من الإيمان إلا لدى إنسان سوي لا ينصاع للآلة ولا لسيطرة أي جهة سواء كانت سلطة إيديولوجية أو تقنية، فهو لا ينجر وراء الطمع أو الأنانية.

---

[1] إريك فروم: المجتمع السليم، ترجمة محمود محمود، مكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة، 1960، ص 132.

[2] إريك فروم: الإنسان المستلب وآفاق تحرره، ص 10.

[3] نفسه، ص 12.

3- تقديم مبدأ الوجود على مبدأ الامتلاك ونقد المجتمع الاستهلاكي

يرى فروم أن أهم ما يميز الإنسان هو الوعي فمن بين أهم القضايا التي عالجها فروم الاستلاب، استلاب المجتمع المعاصر في ظل التطور التقني ومنه أصبح الإنسان غائبا عن الوعي فاستحوذ عليه الطابع الاستهلاكي اللاعقلاني، وما ينتقده فروم في الاستهلاك الغير الواعي **<<هو أنه يقود حتما إلى السقوط في فخ الامتلاك، الذي يقلص الحياة الإنسانية في الأشياء والمواد التي تقدم له>>**[1] فالحياة الإنسانية في ظل المجتمع المعاصر ارتبطت بالأسلوب التملكي ونزوع الإنسان نحو الاستهلاك المتطرف والذي يشكل أحد أهم وأخطر أشكال التملك، فالتملك حسب فروم متأصل في الوقائع البنيوية للحضارة الصناعية المعاصرة فسعى فروم إلى تهذيب هذا الجانب في الفرد من خلال عقلنة الاستهلاك وذلك لا يتم إلا من خلال اكتشاف المرء لذاته وقوته النفسية والعقلية والجسدية، وتقرير مصيره بنفسه وإيقاظ الوعي الذاتي للفرد لذا فإن **<<النزوع باتجاه الوجود يعني دائما أن هدف المرء في الحياة ينحو إلى قوى المرء النفسية حيث يدرك المرء، ويطلع على، ويستوعب حقيقة أن ما هو مجهول وغريب في ذاته وفي العالم الخارجي هو مجرد خصائص لذاته وبمعرفته هذه فإن المرء يحصل على علاقات أعظم وأكثر شمولية مع نفسه ومع محيطه>>**[2] فالوجود يجعل الإنسان يكتشف إنسانيته الفعلية، والوجود فن لأنه يعبر عن التجربة الإنسانية الحقيقية، فيه يستوعب ما هو كائن وما هو مجهول في ذاته وفي العالم الخارجي ليوطد علاقته مع نفسه ومع العالم الخارجي ويتخلص من هيمنة الآلة عليه وبهذا يحصل الإنسان على الاستقلالية والحرية وحضور العقل النقدي خلاف مبدأ التملك الذي يجعل الإنسان يشعر بالخوف من ضياع ممتلكاته في حين أن مبدأ الوجود أو الكينونة يجعل الفرد يعيش حياته بالاعتماد على نفسه لا على الأشياء الخارجية، فالسعادة والأمان في مبدأ الوجود وجدانية يعيشها الفرد أثناء نضجه ونموه واقترابه من تحقيق هدفه وهو إنسانيته وهذه تعتبر سيرورة مستمرة ومتواصلة في حياة الإنسان يعيشها دائما فهي ليس لحظة عابرة مرتبطة بفترة زمنية محددة فمبدأ الوجود يخلص الإنسان من قيود الماضي والضياع والإبحار بالفكر خوفا من المستقبل، ففي مبدأ الوجود يحترم الإنسان الزمانولا يخاف منه عكس مبدأ التملك الذي يعيش فيه الإنسان في رعب من أن لا يقدر على كسب الزمن لامتلاك أكبر قدر من المقتنيات.

---

[1] إريك فروم: الإنسان المستلب وآفاق تحرره، ص 13.

[2] إريك فروم: فن الوجود، ترجمة إيناس نبيل سليمان، دار الحوار للنشر والتوزيع، سورية، ط1، 2011، ص 11، 12.

4- الالتزام السياسي في المجتمع كواجب إنساني للمفكر

ينتمي الإنسان المفكر إلى الفئة المثقفة في الإطار الاجتماعي، وتميل هذه الفئة دائما إلى الحديث عن نفسها من أجل تعبئة صورتهم في الواقع الاجتماعي لتنسب إلى نفسها أي هذه الفئة الدور الحاسم في السياسة وأن لها كلمة الفصل في هذا الميدان، لتجعل من نفسها وحدها المؤهلة لإدراك الحقيقة الاجتماعية، فهي فئة نرجسية تحسب أن التاريخ لن يتحرك من دونها، وما يقصده فروم هنا بالالتزام السياسي في المجتمع أن يتطابق فكر المفكر مع اتجاهه السياسي في واقعه الاجتماعي وأن يكون فعلا يعايش هذا الفكر أو هذا الواقع، يقول فروم **<<إن توجهي السياسي هو توجه اشتراكي إنساني، ما يهمني هو مجتمع يكون فيه هدف التنظيم الاجتماعي هو التطور الأقصى للفرد وحريته>>**[1] فهو يرى أنه من غير المعقول أن يفكر الإنسان في أشياء لم يعشها، ويقر فروم هنا أنه اشتراكي ديمقراطي، وأن الالتزام السياسي هو أن يكون للمفكر فيه موقف ورأي لما هو شائع ومنتشر في المجتمع، إما أن يتبنى ما هو سائد في هذا المجتمع إن كان ما هو منتشر شيء ايجابي وفي صالح هذا المجتمع، وإما أن يكون موقفه نقدي بناء فلا يصح أن يخوض في قضايا مجتمع لم يساير ما يحدث فيه ويتدخل بشكل قد ينجم عنه ثورة وحرب وهدم لهذا المجتمع، أما النقد البناء فإنه **<<يفتح أفق التغيير والاعتراف المبدئي المتبادل بالرأي الآخر>>**[2] فالنقد البناء هو المناقشة الفعلية الفعالة التي تخرج بنتيجة ايجابية لصالح المجتمع عن طريق احترام رأي الآخر والتفاهم على أساس الحوار الذي يخدم المصلحة العامة ويعود بالنفع على كل فرد في المجتمع، ومن هنا نجد أن على المفكر أن ينزل إلى أرض الواقع ويساير ما يحدث في المجتمع حتى يستطيع أن يحكم على وقائع قد عاشها بنفسه وخاض في غمار تجربتها لا أن يعيش هو في الراحة والرخاء كما يصفه فروم ويحكم على وقائع لم يجربها، وإنما أن ينغمس في هذا المجتمع ليفهم أسباب المشاكل فيه.

ويمكن تجسيد الالتزام السياسي في الواقع الاجتماعي عن طريق الممارسة العملية داخل الحيز الاجتماعي من خلال المنظمات والنقابات والجمعيات داخل المجتمع المدني.

---

[1] إريك فروم: الإنسان المستلب وآفاق تحرره، ص 13.

[2] نفسه، ص 14.

5- رفض كل أشكال الهيمنة الإمبريالية المعاصرة بما فيها الصهيونية

يرى فروم أن المجتمع الغربي قد سيطر على كل الصفات الإنسانية بل وأعدمها بثرائه وسلطته السياسية ومن المفروض حسب فروم **<<أن الإنسان هو غاية ولا ينبغي قط أن يستخدم كوسيلة في خدمة الإنتاج المادي وأن الهدف من الحياة هو الكشف عن قوى الإنسان في خدمة الإنتاج المادي>>**[1] فقد استخدمت السلطة السياسية الإنسان لخدمة أغراضها الشخصية، والدافع الأساسي لمقاومة فروم للإمبريالية بكل أنواعها أن هذه الأخيرة تخدم فئة على حساب فئات أخرى، وتعزز مبدأ الامتلاك على حساب مبدأ الوجود، وإريك فروم بوصفه يسعى إلى إحياء النزعة الإنسانية من جديد فهو يرفض هيمنة الدول القوية على الدول الضعيفة، والسيطرة عليها واستعبادها، فقد أصبحت العلاقات بين الناس في ظل الهيمنة الصهيونية علاقة سلعية، كما يحذر فروم من خطورة الحروب، فموقفه من الحربين العالميتين جعله يوجه نقد لاذع لغزو أمريكا للفيتنام وقد حذر من خطر حرب نووية زمن الحرب الباردة، كما لا يفوتنا أنه انتقد الصهيونية وممارستها العدوانية اتجاه الفلسطينيين مع أنه يهودي الأصل فهو يرفض كل هيمنة للإنسان على الإنسان.[2]

ويرى إريك فروم في الديانات السماوية السابقة أنها كانت حريصة على إنسانية الإنسان فهي كانت تناشد بمحبة الإنسان أيا كان وحتى محبة العدو ففي العهد الجديد **<<نجد الأمر بمحبة العدو وبين محبة العدو ومحبة الغريب ليس هناك إلا فرق ضئيل، إذا أحببت الغريب فإنه يصبح قريبا ويصبح "أنا" وإذا أحببت عدوا فإنه يكف عن عدوانيته>>**.[3] وهذه المحبة للغير وللعدو تلغي الشحناء والعداوة، وعليه فإن الفكرة التي يريد لها فروم أن تصل إلى أذهاننا هي مناهضة الفكر السلطوي التدميري لإلغاء نرجسية وهيمنة الفكر الصهيوني الذي انغمس في الملذات وأصبح يتمتع بموت الضعفاء وتعذيبه لهم دون وجه حق، لذا نجد أن إريك فروم يسعى إلى تكريس النزعة الإنسانية التي تحمي إنسانية الإنسان وحماية الآخر والنظر إليه على أنه ذات إنسانية لا أداة يستخدمها القوي لخدمة أغراضه الشخصية وتحقيق أهدافه ومصالحه، وهنا يشدد فروم على ضرورة القضاء على غرور الدولة الصهيونية التي تعتدي على الضعيف وتجرب أسلحتها النووية عليهم باعتبارها ملكت زمام الأمور فأصبح الإنسان الآخر

[1] إريك فروم: المجتمع السليم، ص 160.

[2] أنظر: إريك فروم: الإنسان المستلب وآفاق تحرره، ص 15.

[3] نفسه، ص 118.

عندها وسيلة أو حقل لتجاربها النووية وإيديولوجيتها المختلفة فتستخدمه كسوق لسلع وأرض للحروب والتجارب التقنية.

ثانيا–أنسنة المجتمع التكنولوجي

يرى فروم أن القضايا الإنسانية كالحب والحرية والقلق والاغتراب... لا يمكن فصلها عن البناء الاجتماعي والاقتصادي والسياسي فتحقيق الحرية الايجابية وقهر الاغتراب مرهون لديه بتحقيق التغيرات الاجتماعية والاقتصادية التي تسمح للإنسان أن يعبر عن نفسه بشكل تلقائي حر، فهو يرى أن الإنسان في ظل المجتمع الصناعي قد زّج به في عوالم استهلاكية خيالية حرم فيها استعمال ذكائه وخياله وعبقريته وعقله، لذا نجد فروم قد حدّد مجموعة من الشروط الأساسية التي سعى من خلالها إلى تغيير الشخصية الإنسانية أولا، فإذا توفرت هذه الشروط فإنه بالإمكان تغيير الشخصية الاجتماعية وهي:

1- المعاناة مع الوعي أننا نعاني.

2- الكشف عن الأصل في الحالة السيئة التي بسببها نعاني.

3- أن نتبين أن ثمة مخرجا من حالنا تلك.

4- أن نقبل فكرة أنه لكي نتجاوز تلك الحال فإنه يجب علينا أن نتبع طرائق معينة في المعيشة وأن نغير ممارساتنا الحياتية الراهنة.[1]

يظهر جليا هنا أن مهمة المجتمع الجديد هي تحرير الشخصية من رواسب التكنولوجيا التي حرفت الطبيعة البشرية، فقد خلقت هذه الرواسب صعوبات وتحديات حقيقية ليس من السهل تجاوزها لذا نجد أن فروم يسعى إلى خلق نموذج للتنمية والقضاء على الشره والاستهلاك اللامحدود.

كذلك يرى فروم أنه لأنسنة المجتمع الصناعي ينبغي إعادة النظر في الأنظمة والمناهج الاقتصادية وذلك لدواعي سيكولوجية، ونجد فروم يقترح هنا تسمية للمجتمع العاقل **<<سماه الاشتراكية الإنسانية الجماعية...وهو يرى أنه أكثر اعتدالا حيث يدعو إلى الإصلاح من خلال أنسنة وسائل الإنتاج...ولا ينكر فروم وجود الغرائز ولا المناطق العقلية اللاشعورية المحركة لتلك الغرائز...إلا أنه يسمو عليها. وعليه أن يجد مبادئ للعمل تحل محل مبادئ الغريزة>>**[2]

[1] إريك فروم: الإنسان بين المظهر والجوهر، ص 159.

[2] فارس كمال نظمي: الحب الرومانسي بين الفلسفة وعلم النفس، دار فارس للطباعة والنشر، العراق، ط1، 2008، ص96.

إن هذه الغايات الإنسانية النبيلة لا يمكن بلوغها إلا من خلال فعالية الفرد والمسؤولية التي ينبغي أن تتجذر فيه، وتغيير المناهج البيروقراطية المغتربة إلى مناهج الإرادة الإنسانية، وذلك من خلال تخطيط يشمل إنسان النسق، والقائم على معايير تنبع من فحص الأداء الأمثل للإنسان، كما ينبغي تغيير النموذج الاستهلاكي من خلال الاستهلاك الذي يساهم في الفعالية ولا يشجع السلبية، أي في حدود ما يحتاج الإنسان إليه من أجل الحصول على معايير جديدة للتّوجه والتّكريس السيكولوجيين والروحيين مما يتساوى مع الأنساق الدينية في الماضي،[1] وهذا حسب فروم لن يتم إلا من خلال **<<اختراق نرجسية الإنسان واختراق الملكية في وجود الإنسان>>**.[2]

ويعالج فروم هذين النمطين النرجسية الإنسانية وحب التملك ليبين أن الإنسان هو المخلوق الذي يعيش في عالم الموجودات، وهو من يمتلك القدرة على تقرير مصيره، وهو يسعى في عيشه إلى البحث عن السعادة، فالإنسان حسب فروم يبحث عن معنى وجوده في الحياة ولهذا ينبغي التخلص من الجانب السلبي للاستهلاك المتطرف لدى الإنسان.

كما يرى فروم أن من أساسيات التغيير **<<الإدراك والإرادة والممارسة وتحمل الخوف وتحمل التجربة الجديدة جميعها ضروريات لنجاح الفرد، وعند نقطة معينة فإن الطاقة واتجاه القوى الداخلية يتغيران بالحد الذي يتغير فيه شعور المرء بهويته>>**.[3] ونجد هنا أن فروم يسعى إلى تخليص الإنسان الغربي من الانفصام من خلال مجموعة من المبادئ الأساسية وعلى رأسها الإدراك، أي وعي الإنسان بما يدور حوله واكتشافه لما هو ظاهر وباطن، فالإدراك عند فروم هو المعرفة أو الوعي في حالة من الإصغاء الدقيق وامتلاك الإرادة التي تساعد الإنسان على تحقيق طموحاته الإنسانية عن طريق الممارسة العملية التي تخدم الإنسان بصفة عامة، فيرى فروم أن شعار من يملك الوجود "أنا أساوي ما أملك" وبعد تغيير شعاره يصبح شعاره أنا أساوي ما أعمل أو أنا أكون ما أنا عليه وينبغي أن يصبح الإنسان هو مصدر القيمة الأخلاقية لا الآلة التي صنعها هو بنفسه، يقول فروم **<<إن الإنسان وليست التقنية يجب أن يصبح المصدر الأقصى للقيم والتطور الإنساني المتطور وليس الإنتاج الفائق هو معيار**

[1] إريك فروم: ثورة الأمل، ص 151.

[2] إريك فروم: فن الوجود، ص 185.

[3] نفسه، ص 190.

التخطيط كله>>[1] فالإنسان هو مصدر القيم وليست التقنية لهذا ينبغي أن لا يكون الإنسان عبدا لها، فالآلة ينبغي أن تصبح وسيلة للغايات التي تتحدد من جانب عقل الإنسان وإرادته، ولا يعتبر الإنتاج هو معيار القيمة بالنسبة للإنسان، فالإنسان عند فروم ليس بضاعة تباع وتشترى كباقي البضائع الأخرى فهو يرى أن الحب قد تحول في المجتمعات المعاصرة إلى جنس وإشباع شهوات، وأُفرغ من كل مضمونه الإنساني، ما جعل فروم يدعو إلى تقوية مبدأ الوجود دون القضاء على مبدأ الامتلاك وإنما خلق توازن بينهما من أجل حياة متوازنة، ولا يتم ذلك إلا من خلال عقلنة الاستهلاك الفردي باقتناء الضروري والاستغناء عن الثانويات وعدم الخضوع لإغراءات العالم الصناعي، فأنسنة المجتمع حسب فروم **<<تحتاج إلى تجاوز وزعزعة الاستحواذ باتجاه نزعة الفعل، وعلى الإنتاجية والأنا لصالح المشاركة والآخر>>**[2] وقد قدم إريك فروم في كتابه فن الوجود خطوات لأنسنة المجتمع أولها الرغبة في الشيء فهو يرى أن الرغبة توجه الإنسان وسلوكه نحو قرار يجعله يكرس من طاقته لتحقيق فن الحياة فالرغبة تجعل الإنسان مخلص في عمله، وتلغي الأنانية وتوجه الإنسان نحو الفعل اللاأناني والمشاركة مع الآخر وهنا يقصد فروم الجانب الاجتماعي للرغبة ومراعاة العلاقات الشخصية كون الحالة الاجتماعية التي يعيشها الفرد هي جزء من حياته الخاصة، ولا يمكن للإنسان إقصائها فهي تؤثر فيه بقدر تأثيره فيها، ونجد كذلك أن فروم يؤمن بإمكانية الخير البشري لدى الإنسان، فهو عكس فرويد لا يرى أن الإنسان تدميري بطبعه بل قد استلهم النزعة التدميرية من المجتمع، فهو يؤمن بقوة العقل البشري وقدرته على خلق مجتمع كامل وسوي، يقول فروم: **<<إن مشكلات التغيير الاجتماعي لا تستعصي على الحل، نظريا وعمليا مثلها مثل المشكلات العلمية التي استطاع علماء الكيمياء والطبيعة حلها... فحتى لو طبقنا جانبا صغيرا من العقل، ومن الإدراك العلمي الذي يستخدمه في حل مشكلات العلوم الطبيعية على المشكلات الإنسانية فلسوف يسمح لنا ذلك بمتابعة المهمة التي كان يفخر بها أسلافنا في القرن الثامن عشر>>**[3] فهو يرى أن أنسنة المجتمع ليست بالمشكلة المستعصية على العقل البشري كونه امتلاك القدرة على حل مشاكل العلم الطبيعي، فإن له كذلك القدرة على فهم وإدراك المشاكل الإنسانية في المجتمعات المعاصرة وإيجاد حلول لها، لذا ينبغي توجيه العقل توجيه راشد لحل مشاكل المجتمع

[1] إريك فروم: ثورة الأمل، ص 154.

[2] إريك فروم: فن الوجود، ص17.

[3]From: the sane society holt ,rinehart and winstion, new york, eleventh printing, 1962, p 282.283

من اغتراب ومشاكل نفسية وكذلك حل مشكلة الاستهلاك التي هيمنت على المجتمعات المعاصرة والكف عن الإنتاج اللاعقلاني وخاصة إنتاج مالا حاجة للإنسان به.

وقد اتجه فروم في إصلاحه للمجتمع اتجاها راديكاليا ويتجسد هذا الاتجاه في جانبين:

أ- **الجانب الأول:**

أطلق عليه فروم "قانون التقدم المتزامن" وهذا يعني حسب فروم أن **<<الإنسان وحدة واحدة فتفكيره وشعوره ومسلكه في الحياة، كلها أمور مترابطة>>**[1]، فالإصلاح يجب أن يتم في مختلف الجوانب الحياتية للإنسان، سواء اقتصادي أو اجتماعي أو سياسي وحتى أخلاقي وسيكولوجي، ولا ينبغي التركيز على جانب على حساب الآخر بل يجب أن يكون بشكل متزامن في كل الجهات.

ب- **الجانب الثاني:**

وهو طريقة أو أسلوب تغيير، يقول فروم **<<الإصلاح يكون ثوريا إذا وصل إلى الجذور ويكون سطحيا إن حاول علاج الأعراض دون مساس الأسباب>>**[2] فتغيير عند فروم سواء أخذ الطابع الإصلاحي أو الثوري ينبغي أن يضرب بجذوره في أعماق المشكلة الاجتماعية، فالإصلاح ينبغي أن يكون له أثر عميق ووقع ويبلغ الأسباب الحقيقية للمشاكل الاجتماعية.

فالمجتمع السوي الذي يريد فروم الوصول إليه هو المجتمع الذي لا يكون فيه الإنسان وسيلة لغاية ما بل غاية في ذاته، فالإنسان عند فروم هو المركز وكل النشاطات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية هدفها هو الرقي بالإنسان لا بالنظام، والمجتمع الذي يريد فروم بلوغه هو مجتمع تنفى فيه الفوارق الطبقية والنرجسية والجشع والاستغلال وحب السيطرة والتملك، فلا يكون هناك إنسان أحسن من الآخرين.

وعليه فإن القيم التي يسعى فروم إلى ترسيخها هي قيم تقدس الإنسان في حد ذاته، فالقيم الإنسانية عند فروم تعطي المركزية للإنسان، وتسعى إلى تكريس المبادئ الروحية للنهوض بالمجتمع الإنساني وإرجاع المكانة له على حساب الألة عن طريق عقلنة الإنسان بعقلنة الإنتاج وتهذيب الاستهلاك.

---

[1] Fromm : the sane society, p272.

[2] Ibid,p 273.

ثالثا–الرؤية الجديدة لبناء الإنسان

يسعى فروم من خلال مشروعه الإنساني إلى إعادة بناء الإنسان وفق منظور النزعة الإنسانية والتي من خلالها يطمح إلى بناء وتوحيد العالم وذلك من خلال المشاركة في الإنتاج الصناعي والتقارب بفضل تطور وسائل الاتصال بين كافة أقطاب العالم.

ونجد فروم يرى أن الشبح الذي يهدد الإنسانية هو المجتمع الصناعي فلا يخفى أنه بعد أن تحطمت أغلال الإقطاع ودخلت الإنسانية مرحلة العصر الصناعي، التي تميزت بالعديد من السمات التي ميزتها عن المراحل السابقة ومن أهمها: إحكام السيطرة التامة على الطبيعة وازدياد الشعور بالحرية مع الوفرة المادية التي جعلت الناس يشعرون أو يتطلعون إلى نوع من السعادة بفعل ازدياد الإنتاج والاستهلاك اللامحدودين.

وعلى النقيض مما كان الإنسان يتوقعه فقد أصبح خائف ووحيد مع أنه حر إلا أنه خائف من هذه الحرية فقد تمزقت عنده كل المعايير وانعدمت، فأصبح معيار الوجود في ظل هذا المجتمع هو الكم والمحاسبة والإنتاج والربح فأصبحت حياته ثمن للاقتصاديات والمبيعات وبهذا فإنه قد تَشَيَّئ على حد تعبير فروم لذا يقول: **<<إذا أصبح الإنسان شيئا، فإنه سيموت على الرغم من أنه يحيا جسديا، فإنه يقاد إلى السقوط ويصبح خطيرا على نفسه وعلى الآخرين>>**.[1]

فالأزمة الراهنة التي تعاني منها الحضارة المعاصرة حسب إريك فروم هي التشيّؤ فعلى الرغم من التقدم الذي أحرزته خاصة في الجانب التقني إلا أنها تُعاني من تخلف في الوعي الإنساني فقد ازدهر حقا الاستهلاك للمنتوجات لكنها تُعاني من القمع الفكري والنفسي، هذه التكنولوجية البيروقراطية تخنق إنسانية الإنسان وتحيلها إلى شيء من الأشياء، وأكبر خطر يقع فيه الإنسان حسب فروم هو الموت الفسيولوجي، لأنه يقوده إلى الدمار والتخريب فأن تتحكم الآلة في الإنسان الذي اخترعها وتصبح هي من تسيره هذا ما يعني أن الإنسان قد فقد قوة السيطرة على نفسه وهو ما سيعود عليه وعلى البشرية من خطر.

ويحاول فروم أن يصل إلى حل للمأساة التي وقعت فيها البشرية اليوم وإيجاد علاج مناسب لها من خلال معرفة المرء لذاته وإثبات وجوده، يقول فروم: **<<من اللازم أن يعرف المرء أولا من نحن وما هي دوافعنا وإلى أين نحن ذاهبون>>**[2] وهنا يحاول فروم أن يعالج المشكل الذي يعاني

[1] إريك فروم: الإنسان المستلب وآفاق تحرره، ص 47.

[2] نفسه، ص 55.

منه الإنسان المعاصر من خلال مشروعه الجديد لتحرير الإنسان من قيود هذه التقنية التي استعبدته وكبلته، فحاول فروم أن يبني مشروعه هذا للنهوض بإنسانية الإنسان وكشف الحجب التي عتمت على الإنسان المعاصر من خلال مجموعة من النقاط الهامة وهي الأمل، والإيمان والثقافة الروحية من خلال إعادة بعثها في الإنسان.

1- الأمل

يقول فروم أن **<<الأمل هو عنصر حاسم في أي محاولة لأحداث تغيير اجتماعي في اتجاه حيوية ووعي وعقل أعظم>>**[1] وهنا يرى فروم أن الأمل ليس انتصار سلبي أو وهم أو انتظار لشيء مجهول يضيع حياة ومستقبل الإنسان، بل الأمل هو القضاء على اليأس الذي خيم على حياة الإنسان وحجب عنه حقيقة القيم والمبادئ من خلال الاغتراب، فهو يرى أن الإنسان باستطاعته أن يطور قواه العقلية لينسجم مع العالم ومع ذاته بالدرجة الأولى وكذلك مع الطبيعة، فالإنسان المعاصر عند إريك فروم بحاجة إلى الأمل ليتمكن من الخروج من حالة الضياع والعودة إلى الذات الحقيقية الذات الإنسانية.

والأمل ليس مجرد امتلاك للأمنيات والرغبات السلبية التي تركز على الماديات وبذلك يقع الإنسان مرة أخرى في قفص الاستهلاك، فهو يرى أن الاغتراب قد تجاوز الجانب الفكري لدى الإنسان ليطال وجدانه ومشاعره والأمل بحاضره ومستقبله وهذا ما يتسبب في اغتراب الأمل، ويسعى إريك فروم من خلال مشروعه ثورة الأمل إلى إيقاظ العقول البشرية حتى تترك للأجيال اللاحقة الحق في الأمن والسعادة والاستقرار والمساواة على وجه الأرض، فهو يوكل إلى الإنسان مهمة مصير الأجيال التي لم تولد بعد، لذا فإن إريك فروم قد وجه النقد إلى الماركسيين الذين يرون بأن الإنسان لا يأمل ويطمئن إلى المستقبل بل المستقبل هو من يحكم عليه فهو يرى أن فهمهم لماركس فهم خاطئ.

لذا يسعى فروم من خلال الأمل إلى إيقاظ الإنسان من سباته يقول عن الأمل **<<هو حالة من حالات الوجود، إنه استعداد باطني قوي>>**[2] فالأمل حسب وجهة نظر فروم ليس قناع راديكالي كما هو حاصل للإنسان الغربي المعاصر اليوم، الذي أصبح يعبد الأوثان التي يصنعها ويرى أنها من سيجلب له الاستقرار والأمان في حين أنه قد فقد السيطرة على النظام الاجتماعي، فالأمل

[1] إريك فروم: ثورة الأمل، ص 21.

[2] نفسه، ص 28.

عند فروم هو قوة باطنية في الإنسان تخلصه من ما لحق به جراء التقنية التي أصبحت تهدد المجتمعات، ومن هنا فإن الهدف الذي ينشده الأمل الفرومي هو استعادة العلاقات الإنسانية الروحية.

إن الأمل الحقيقي عند فروم أن يقاوم الإنسان كل المصاعب ففي **<<خضم هذه الأزمة ينبغي التمسك بالأمل بنمط جديد من المجتمعات، المجتمعات العالمية>>**.[1]

ولا يقصد هنا الأمل الساذج أو التفاؤل الساذج بل يقصد أن على الإنسان أن يكون دائما مستعد للمشاركة في التغيرات التي تطرأ على حياته، وأن يكون عنصرا فعالا، لا أن يستسلم للحياة ويتركها تسيره وفق ما تشتهي، وإنما هو من ينبغي أن يوجهها وأن لا يعزل نفسه عن المتغيرات التي تطرأ على العالم، فالأمل هو مقوي نفسي للإنسان وللحياة في تطورها فهو من يبرز قدرة الإنسان وإمكانياته.

فالأمل **<<تلازم نفسي مع الحياة والنمو فإذا كانت هناك شجرة لا تحصل على أشعة الشمس فإنها تحني جذورها حيث تتأتى الشمس>>**[2] فالأمل هو الميلاد المستمر للحياة فهو من يخرج الإنسان من العدمية واليأس الذي أوقعته فيه التكنولوجيا، ويسعى فروم إلى تحرير الإنسان أولا من سيطرة اليأس عليه ومن هيمنة القوى الخارجية لأن مثل هذه القوى تصيب الذات الإنسانية بالعجز فقد شوهت المجتمعات المعاصرة مفهوم التحرر لدى الإنسان من خلال الهيمنة الإيديولوجية.

من هنا نفهم أن على المجتمع أن يقوم بثورة يحدث من خلالها تغيير لهذه المبادئ التي سيطرت على المجتمع من عبادة للأوثان، وتغير مبدأ الوجود بإحداث يقظة يدرك من خلالها الإنسان مفهوم القيم والمبادئ الحقيقية، ليستعيد من خلالها كرامته كإنسان وهويته وأن لا يكون عبد للآلة التي صنعها بنفسه، ويحمي الجيل اللاحق من الدمار الذي قد تتسبب به التكنولوجيا والتقنية والعودة إلى الذات الحقيقية الغير مزيفة، وكذلك حماية الشعوب من دمار التكنولوجيا والنظر إلى الإنسان على أنه إنسان أيا كانت طبقته الاجتماعية وحتى أن كان متقدما أو متخلفا، فهو يسعى إلى تغيير نظام القيم السائد في المجتمع الغربي ليحل محله نظام قائم على الأمل والتكافل والتضامن الإنساني.

[1] جون بودريارد و إدغار موران: عنف العالم، ص78.

[2] إريك فروم: ثورة الأمل، ص 29.

2- الإيمان وتحطيم الأصنام

يرتبط الإيمان بالأمل ونجد أن الإنسان في غالب الأحيان يربط الإيمان بالله والعقائد الدينية أما فروم فيرى أن الإيمان هو <<**الاقتناع بالنسبة لما لم تجري البرهنة عليه بعد، معرفة الإمكانية الحقيقية، الوعي بالخصوصية**>>[1] يعتقد فروم أنه ومع تطور العلوم الحديثة أخذ تأثير الدين بشكله التقليدي يقل تدريجيا ليحل محله العلم الجديد، ومن هنا فإن الخطر الذي يلوح في الأفق هو أن القيم الروحية المتأصلة في أوربا قد أوشكت على الانهيار.[2]

فالإيمان حسب وجهة نظر فروم هو قناعة الإنسان بالشيء أو الحال الذي هو عليه حتى وإن لم يكن هذا الأمر مبرهن عليه علميا، فهو ضارب بجذوره في البناء الخاص بالإنسان، ومن هنا يميز إريك فروم بين نوعين من الإيمان، الإيمان العقلي والإيمان اللاعقلاني وفي هذا الشأن يقول فروم <<**أفهم من الإيمان غير العقلي الاعتقاد بشخص أو بفكرة أو رمز من غير أن ينجم هذا الاعتقاد عن تجربة هذا الاعتقاد عن تجربة المرء الفكرية أو الشعورية، بل يكون قائما على خضوع المرء الانفعالي لسلطة غير عقلية**>>[3] فالإنسان كان على مر العصور ينشد التحرر من قيود السلطات الكنيسة، ويسعى لتخلص من قيودها ليقع أسيرا لدى شبح مجهول، يكبله فقد وقع في حبائل الصنمية دون أن يعرف وهو يخوض في هذه التجربة بنفسه، حتى دون أن يفكر في عواقب هذا السقوط الذي حصل له وهذا النوع من الإيمان سلبي، لأنه إيمان أعمى دوغماتي دون وعي، فالإنسان فيه يؤمن بالسلطة أو بشخص آخر.

و فروم يرى أن الإنسان في حاجة ماسة إلى إعادة بعث الإيمان، الإيمان العقلي وهو عنده <<**نتيجة إمعان المرء، الباطني في التفكير الشعوري**>>[4] فالإيمان العقلاني تجربة إنسانية نفسية، والأساس الذي ترتكز عليه هو شخصية الإنسان، لأنه نابع من تجربة الإنسان وثقته في قدراته وتفكيره وقدرته كذلك على الخوض والإمعان والملاحظة للأمور وإصدار الأحكام عليها، فالإيمان العقلي متأصل في العقيدة الإنسانية المستقلة والتي قوامها الفكر الحر والمنتج للإنسان، فهذا النوع من الإيمان

[1] إريك فروم: ثورة الأمل، ص 31.

[2] فيصل عباس: الفرويدية ونقد الحضارة المعاصرة، ص 537.

[3] إريك فروم: الإنسان من أجل ذاته، ص 232.

[4] إريك فروم: ثورة الأمل، ص 32.

مستقل ومتحرر من العبادات الصنمية وقيودها، فهو قائم على ثقة الإنسان في نفسه وإحساسه بهويته، فهذا النوع من الإيمان قائم على الحرية ويؤكد على كرامة الإنسان، ويساعد الإنسان على مناهضة الصنمية في كافة أشكالها، ولذلك ينبغي على الإنسان أن يتحد روحيا لنفي ومناهضة الصنمية داخل نفسه عن طريق الإيمان الغير مغترب، والتخلص من القناعات التعصبية التي يكتسبها الإنسان جراء خضوعه للسلطات الوثنية، فالإيمان العقلاني أصبح ضرورة في كل خطوة يخطوها الإنسان ويرى فروم أن غياب الإيمان بالذات والهوية يهدد استمرار الإنسان، وعليه فإن <<**المعرفة المكتملة لهذا العالم لايمكن أن تتم الا عن طريق الايمان والمجاهدات الروحية والتأمل الخالص**>>[1] فعلى الإنسان أن يؤمن بقدراته الشخصية وأن لا يجعل أموره للآخرين ليسيروها وفق ما يشتهون كونه صاحب عقل فإنه يستطيع أن يكون عنصر فعّال ايجابي، ولا ينفي فروم أن يؤمن الإنسان بالآخرين وقدراتهم، ذلك أنه لا يعيش وحده بل في وسط اجتماعي، فالإيمان بما يمتلكه الفرد يولد لديه الإيمان بإمكانيات الآخرين كي لا يقع الإنسان في دائرة النرجسية.

ويرى فروم أن الإيمان متلازم مع الأمل يقول <<**أن الأمل هو حالة ترافق الإيمان والإيمان لا يمكن أن يتدعم بدون حالة الأمل، والأمل لا يمكن أن يكون له أي أساس إلا في الإيمان**>>[2] فالإنسان المعاصر بحاجة إلى بعث الإيمان مثلما هو بحاجة إلى بعث الأمل، فالإيمان والأمل متلازمان ومتكافئان فالإيمان لا يدوم دون وجود الأمل كذلك الأمل، لا يصمد في غياب الإيمان، وينبغي أن يكون للإنسان القوة والجلد على تحمل المصاعب ليصل إلى مُبتغاه، فعلى الإنسان أن يتغلب بالإيمان والأمل على الخوف الذي يتهدده من قبل التقنية.

وفروم يرى أن خوف الإنسان هو الذي يجعله يتمسك بالأمل؛ لأن عدم الخوف يجعله ينصاع إلى الأوثان وينجر إلى عبادتها، وإذا تمكن الإنسان من التخلص من هذا الخوف بصموده فإنه يتغلب على طمعه وجشعه في حب التملك والتمسك بالأوثان، فالأمل والإيمان حسب فروم <<**وصفتان جوهريتان للحياة، هما بحكم طبيعتهما الخالصة في توجيه تجاوز الحالة الراهنة للأمور فرديا واجتماعيا**>>.[3]

---

[1] فيصل عباس: الفلسفة والإنسان جدلية العلاقة بين الإنسان والحضارة، دار الفكر العربي، بيروت، دط، دت، ص 104.

[2] إريك فروم: ثورة الأمل، ص 32.

[3] نفسه، ص 35.

فالأمل والإيمان عنصران جوهريان للسمو بروح الإنسان، ويرى فروم أنهما الباعث الأساسي لتطور الفرد والمجتمع بل وكذلك الأمم، فعلى الإنسان أن يدرك حقيقة الزيف في الحياة وأن يتمتع بالأمل من أجل تغيير الوجود الاجتماعي وتغيير القيم الزائفة التي سيطرت عليه.

إن فروم ينظر نظرة متفائلة لما ينطوي عليه مستقبل الإنسانية، والطريقة الفعالة لحل مشكلة الاغتراب الشامل في النظام الرأسمالي لا يأتي عن طريق القوة أو الثورة الدموية بل عن طريق التغيرات الثورية الاجتماعية أي عن طريق الإشتراكية[1]،أي المشاركة الفعالة والبناءة التي يمكن من خلالها خلق مجتمع سوي يسوده العدل والتعاون والتكافل الإجتماعي والتي تمثل عند فروم المثل الأعلى للمجتمع الإنساني.

3- مشروع الثقافة الروحية

يطرح فروم برنامجه الجديد لتغيير البنى الاجتماعية في المجتمع الرأسمالي، باتجاه أنسنة الإنسان، بحيث يتحرر الإنسان المعاصر من لاعقلانية وجوده،[2] وذلك من خلال إحداث ثورة داخلية يحاول فروم من خلالها أن يغير فكر الإنسان المعاصر وبعث قيم روحية سامية فيه وذلك من خلال إعادة هيكلة القيم الأخلاقية للإنسان وبعث الضمير فيه فهو **<<الصوت الداخلي الذي يهتم ويدافع عن سلوكنا فيما يتصل بخصائصه الأخلاقية>>**[3] فالضمير حسب فروم هو قوة الروح، فالهدف عند فروم من التحليل النفسي هو إيقاظ الضمير، ويرى إريك فروم أن التحليل النفسي هو تعبير مميز عن أزمة الإنسان الغربي الروحية ومحاولة للعثور على حل لها، فعلى الإنسان أن يصلح ذاته أولا فالإنسان عند فروم هو مصدر الأخلاق وهو مانح المعايير الأخلاقية، وإريك فروم يؤكد في كتابه الإنسان أجل ذاته إن الإنسان مقياس كل الأشياء فهو يرى أن فلسفة الأخلاق الإنسانية متمركزة حول الإنسان في حد ذاته ويقول **<<إن الإنسان مركز الكون بل بمعنى أن أحكامه القيمية... والموقف الإنساني هو أنه لا شيء أعلى ولا شيء أجل من وجوده الإنساني>>**[4] فالإنسان حسب وجهة نظر فروم أعلى من كل التقنيات التي وصل إليها العلم المعاصر فهو يحاول هنا أن يتغلب على كل ما يقهر الإنسان من اغتراب وانفصال.

---

[1] فيصل عباس: الفرويدية ونقد الحضارة المعاصرة، ص 640.

[2] نفسه، ص 540.

[3] إريك فروم: الإنسان من أجل ذاته، ص 175.

[4] نفسه، ص 48.

وفروم في سعيه إلى إعادة إيقاظ الروح الإنسانية التي هي على وشك الموت من جراء النظام الرأسمالي ركز على بوذية الزن* والتي تعتبر شكل من أشكال التصوف اللاديني وتساعد الإنسان على إدراك ذاته وتحرير نفسه، والغاية النهائية لبوذية الزن هي **<<أن تدخل في الموضوع ذاته وتراه كما هو من الداخل>>**[1] فالزن هو تبصر المرء بطبيعته وكينونته ويرى فروم أن هذه الطريقة هي طريقة قبل عملية أو أنها إن صح القول ضد العلم وبهذه الطريقة يستطيع الإنسان أن يحرر ذاته من العبودية، فالزن حسب وجهة نظر **سزوكي** يقتضي التوقف والتأمل في الذات من أجل تحرير كل الطاقات الحبيسة داخل الذات، فالغاية من الزن هو أن ينفذ المرء من كل التشوهات واستعادة الحياة عن طريق التفكير؛ وهذه الطريقة تحافظ على الحياة كحياة، فالزن هو إبداع بل منبع الإبداع من أجل الخلق أي استعادة المرء لذاته، ونفهم من هنا أن على الفرد أن يستغرق في تأمل ذاته سعيا نحو النيرفانا عن طريق الارتقاء الروحي وبوذية الزن هذه ذات قوام شرقي تعتمد على التجريد العقلي الهندي والصيني ومن جهة أخرى التحليل النفسي وتنحو بوذية الزن منحى وجودي روحي وتقترب من التصرف.[2]

ويمكن القول أن **<<غاية الزن هي بالضبط ما يطمح التحليل النفسي إلى تحقيقه أي تبصر المرء بطبيعته والحرية والسعادة والحب وتحرير الطاقات والخلاص من الجنون والعجز والقعاد>>**.[3]

وبالتالي فإن التحليل النفسي وبوذية الزن تقريبا نفس الغاية وهي مساعدة الفرد على أن يحيا حياة سليمة بعيدة عن التشوهات النفسية ومساعدته على أن يتحمل مسؤولية نفسه والابتعاد عن الاتكال على الآخرين وتنوير حياته وتخليص الإنسان من اللاوعي والكبت والضغط وإحلال الأنا محل الهو وجعله يعيش في وفاق مع نفسه ومع الآخرين، والقضاء على الاغتراب أي إيقاظ الإنسان من سباته وتحريره من الأوهام التي سيطرت وهيمنت عليه.

---

* هي فرقة بوذية تؤمن بأن الإنسان يستطيع أن ينفذ إلى الحقيقة من خلال التأمل المترجم.

[1] د ت سزوكي: التصوف البوذي والتحليل النفسي، ترجمة: ثائر ديب تقديم: وفيق خنسة، دار الحوار للنشر والتوزيع، سورية، ط2، 2007 ص 47.

[2] نفسه، ص 45.

[3] فيصل عباس: الفرويدية ونقد الحضارة المعاصرة، ص 541.

وعليه فإن ما يسعى إليه فروم هو إعادة بعث القيم الأخلاقية من أجل أن يخلص الإنسان من الأوثان والأكاذيب التي غرق فيها جراء الطمع والجشع والأنانية التي لحقته من اكتسابه للتقنية.

المبحث الثالث: القيم الروحية والأخلاقية ودورها في تكوين الإنسان

أولا: القيم الروحية عند فروم

1- دور الحب في بناء القيم الإنسانية

يرى فروم أن الحب يعبر عن الوجود الإنساني، والحب هو مقدرة الشخصية الناضجة على الإنتاج وذلك من خلال تأثير الحضارة على شخصية الإنسان، وهذا الأخير في ظل المجتمع المعاصر قد فقد معنى الحب؛ وذلك حسب فروم لأنه المعنى الحقيقي لكلمة المسؤولية حيث أصبح يرى بأنها قيد، والتي يرى فروم أنها فعل إرادي وليست إرغامي؛ فهي استجابة لاحتياجات إنسان آخر، فالإنسان المسؤول هو الإنسان القادر على الاستجابة وعناصر الحب الأساسية عند فروم هي الرعاية والمسؤولية والاحترام والمعرفة يقول فروم عن الحب الايجابي **<<إن الإنسان عندما أصبح إنسانا قد تمزقت لديه عرى الوحدة الحيوانية الأولية بالطبيعة...أصبح على الإنسان أن يخلق علاقته الخاصة به، وأكثرها تحقيقا للإشباع هي تلك القائمة على الحب الخلاق>>**.[1]

فالحب حسب فروم يساعد الإنسان على تطوير شخصيته من خلال اتصاله بالآخرين، فالحب هو تواصل إبداعي بين الإنسان وأخيه الإنسان، وبينه وبين الطبيعة،[2] والانغماس مع الآخرين في تجربة الوحدة دون أن تنصهر وتنعدم شخصيته بينهم، مع احترامهم واحترام الذات؛ من أجل الشعور والتغلب على العزلة وكابوس التفرد والاغتراب الذي طال الإنسان المعاصر، فقد تفكك المجتمع المعاصر من فرط الأنانية التي أصبح الإنسان حبيسها خوفا من فقدان ممتلكاته وخوفا كذلك من السلطة وكذلك من الحرمان، ويرى فروم أن الحب هو العطاء وليس التلقي، ويرى فروم أن العطاء ليس خاصية للأغنياء وحسب فليس من يملك الكثير من الغنى بل الذي يعطي، يقول فروم **<<وبجانب عنصر العطاء فإن الطابع الايجابي للحب يصبح جليا من أنه يتضمن دائما عناصر رئيسية معينة شائعة في جميع**

[1] فارس كمال نظمي: الحب الرومانسي بين الفلسفة وعلم النفس، ص 96.

[2] إريك فروم: المجتمع السوي، ص 137.

أشكال الحب هذه العناصر هي: الرعاية والمسؤولية والاحترام والمعرفة>>[1] ولا يكون احترام الإنسان لدى شخص ممكن دون معرفته وكذلك لا يحصل كل هذا إلا عندما يتخلى الإنسان عن أنانيته ويتجاوز الاهتمام بنفسه ويعطي الآخرين جزء من هذا الاهتمام ويعاملهم على أنهم جزء مهم في دائرة الإنسانية، والحب عند فروم طريق وإرادة للمعرفة؛ معرفة الآخر ومعرفة الذات واكتشافها، واكتشاف إنسانية الإنسان الآخر والحب يسهل عملية المعرفة والفكر والانغماس في تجربة الوحدة الإنسانية، وتتشابك كل من المعرفة والمسؤولية والاحترام باعتماد كل من هذه العناصر الواحد منها على الآخر، فهي تنمي الشخصية وتساعدها على التخلص من النرجسية، ويضرب لنا فروم مثالا واضحا عن المسؤولية والمعرفة إنه إذا ما أوكل أمر لشخص معين وكلف بالقيام به ثم تخلى عنه هذا يعد هروب من المسؤولية وأنه لا يمتلك معرفة، وبهذا فإن عنصر أساسي في الحب هو حب العمل يقول فروم **<<إن ماهية الحب هي العمل من أجل شيء وأن يجعل الشيء ينمو وأن الحب والعمل لا ينفصلان فالإنسان يحب ذلك الذي يعمل من أجله والإنسان يعمل لذلك الذي يحب من أجله>>**،[2] وبهذا فإن الحب يتضمن الرعاية والعناية بالعمل لأجل الآخر وبهذا فإن الإنسان ينبغي أن يقوم بعمله على أكمل وجه وبصدق والاعتناء والرعاية بصدق اتجاه المسؤولية الموجهة للإنسان، لهذا ينفي على الإنسان أن يبقى دائما في اتصال مع الآخرين وهذا لا يعني أن يعتزلهم وأن يحيا معهم في كل متكامل والتفاعل مع الآخرين والمشاركة بكل مسؤولية.

المسؤولية هي استجابة المحب لأخيه وتدل المسؤولية هنا على أن **<<الحب نشاط وليس هوى يتغلب على المرء وليس ولعا يولع به المرء...>>**[3] وأسمى صورة يتجسد فيها الحب كمسؤولية هو حب الأم لطفلها فهي التي تتحمل مسؤوليتها بحب وتعتني بصدق دون أن تنتظر مقابل، ويرى فروم أن المسؤولية يمكن أن تنهار إذا ما تخلت عن عنصر الاحترام، فتتحول إلى هيمنة وتملك وسيطرة وكذلك أنانية، والاحترام حسب فروم هو **<<القدرة على رؤية الشخص كما هو إدراك فردانيته المتفردة، والاحترام يعني الاهتمام بأن الشخص الآخر إنما ينمو وينكشف على ما هو عليه، وهكذا يتضمن الاحترام عدم وجود الاستغلال>>**[4] فالإنسان في تحمله للمسؤولية

[1] إريك فروم: فن الحب، ص 33.

[2] نفسه، ص 33.

[3] إريك فروم: الإنسان من اجل ذاته، ص 131.

[4] إريك فروم: فن الحب، ص 34.

ينبغي أن يحترم الطرف الآخر وكذلك على الآخر أن يحترمه، أنه لا ينبغي أن يستعمله كغاية لتحقيق وسيلة معينة وإنما أن يحس من جهته بالاحترام وأن لا يسيطر عليه من أجل حاجاته، فالحب وليد الحرية لا سيطرة على الآخر واستغلاله فهذا الحب نرجسي لأنه وليد الحاجة، فأن يحب الإنسان شخصا من أجل تحقيق أغراضه الشخصية فهذا قتل لإنسانية الإنسان، أما أنه يحتاج إليه لأنه يحبه فهذا هو روح الحب الحقيقي عند فروم.

ويرى فروم أن احترام الشخص دون معرفته ستكون المسؤولية هنا والرعاية عمياء، إن لم توجد المعرفة التي يكون الاهتمام هو باعثها الحقيقي ويرى فروم أن **<<المعرفة التي هي جانب من الحب هي المعرفة التي لا تتوقف عند المحيط بل تنفذ إلى اللّب وهي لا تكون ممكنة إلا عندما أتجاوز الاهتمام بنفسي وأرى الشخص الآخر في إطاره>>**[1] فالمعرفة في الحب ليست معرفة سطحية وإنما معرفة أحوال الشخص الآخر في كل حالاتها سواء كان فرحا أو غضبا، فالمعرفة تولّد بين الناس المشاركة والمساعدة للخروج من العزلة وتقود الإنسان كذلك إلى اكتشاف أناه وتحرره من سجنها وقيودها، والحب يمكن الإنسان من التخلص من السادية والتخلص كذلك من سلوك التدميري، وتدفع الإنسان إلى إصلاح العالم من حوله، والقسوة التي أحيط بها الإنسان؛ فعنصر التكنولوجيا الذي كبله وأصبح عبارة عن وثن يحرمه ويقيده هو عبارة عن إيديولوجية عمياء تسعى إلى القضاء على الإنسانيات وإبراز القوة اتجاه الضعفاء.

إن الحب حسب فروم يجب أن يكون حب إنتاجي يحمي الضعيف ويحمي الإنسانية جمعاء ويخلص الفرد من كل القيود التي سيطرت عليه وكبلته وحرمته من الحرية وضيقت عليه الخناق، ومن هنا فإن الرعاية والمسؤولية والاحترام والمعرفة كل متكامل لا نستطيع الفصل بين هذه العناصر فبواسطتها تنضج شخصية الإنسان، وينمي قواه ليصبح فعال.

ومنه فإن فروم يرى أن شمولية الوجود الإنساني هي أولا وقبل كل شيء الأساس المشترك بين الناس وممارسة الحياة المحددة للبناء الاجتماعي، فهو يرفض فكرة أن أساس الاجتماع هو الإشباع، فالإرادة والوعي والمسؤولية والاحترام والرعاية هي من يولد الحب الناضج البناء، وهي التي يمكن لها أن تتحكم بالمصير الاجتماعي للوجود الإنساني فالقيم الروحية لها دورها الفعال في بناء مستقبل الإنسان.

[1] إريك فروم: فن الحب، ص 34، 35.

ومن هنا فإن الحب عند فروم يسعى إلى تكريس القيم داخل المجتمع الإنساني من خلال تحقيق التماسك والشعور بالأخوة، والتوجه المنتج الخالي من الاغتراب وكل مشاعر العزلة والانطواء على الذات.

2- دور الدين في تشكيل النسق القيمي

يشكل الدين حسب نظر فروم أحد أهم الدعائم التي لا غنى عنها، فهو نقطة أساسية في تطور وتغير المجتمعات، ذلك أنه يعتبر منعطف هام في تشكيل الشخصية الاجتماعية من خلال تفاعله مع البنية الاقتصادية للمجتمع والبنية النفسية للفرد، فهو يرى أن **<<الحاجة الدينية مغروسة في الشروط الأساسية بوجود النوع الإنساني>>**[1] فالدين متأصل في الطبيعة البشرية رغم اتخاذه لأشكال مختلفة عند الناس، فالدين ضارب بجذوره في البناء الخاص للشخصية، والدين حسب فروم ظاهرة إنسانية؛ ذلك انه لا وجود لحضارة على مر التاريخ لا تمتلك دين بغض النظر عن ما يكون هذا الدين، لكن المجتمع المعاصر بتخليه عن الدين أصبح يعيش حالة من التفكك والانهيار، ما جعل فروم يرى أن للدين**<<قدرة على تأسيس نظامه الاجتماعي الذي تحكمه مبادئ الحرية والمساواة والإخاء، واليومفإن عدم الإيمان هو التعبير عن التشوش العميق واليأس>>**[2] فالدين هو مصدر سعادة الإنسان لأنه يوفر له سبل الراحة النفسية ويأمنه من الخوف، كما أنه طاقة باعثة لتماسك المجتمعات فهو حافل بالمبادئ الإنسانية كالعدالة والحرية والمساواة؛ وكذلك يدعو إلى الإخاء والتعاون بين البشر، و تخلي الإنسان عن الدين في المجتمع المعاصر هو من ألقى به في متاهات، حتى أصبح غريبا عن نفسه وعن مجتمعه ويرى فروم أن **<<البنية الاجتماعية، الاقتصادية والبنية الشخصية والبنية الدينية هذه كلها مقولات مترابطة، لا تنفصل واحدة عن الأخرى وإذا حدث وكان النظام الديني غير متجاوب مع الشخصية الاجتماعية السائدة، وفي تعارض... فإن أي النظام الديني لا يكون إلا مجرد إديولوجية>>**.[3] من هنا نفهم أن فروم يسعى إلى إصلاح المنظومة الاجتماعية والاقتصادية والبنية الشخصية للإنسان عن طريق الدين، ولا يتم ذلك إلا من خلال الفهم الصحيح للدين، فالتغيرات الطارئة على المجتمع الرأسمالي قد غيرت المفاهيم، لذا من الواجب إعادة البحث عن بناء ديني حقيقي لأنμ الشخصية الإنسانية الحقيقية قد اختلفت ملامحها وحلت محلها الشخصية التسويقية، ولهذا فإن فروم

[1] إريك فروم: الإنسان بين المظهر والجوهر، ص 128.

[2] إريك فروم: الإنسان من أجل ذاته، ص 229.

[3] إريك فروم: الإنسان بين المظهر والجوهر، ص 131.

يرى أن أكثر شيء يحتاجه الإنسان المعاصر هو الدين ويؤكد فروم على أن العلم الحقيقي هو الذي يقود الإنسان إلى الدين، يقول فروم **<<يستطيع التحليل النفسي الذي هو أبعد عن أن يكون تهديدا لهذا الهدف أن يسهم على العكس من ذلك، بنصيب كبير في تحقيقه كما لا يمكن أن يتهدد هذا الجانب أي علم آخر فلا سبيل إلى تصور أن أي كشف تصل إليه العلوم الطبيعية يمكن أن يصبح تهديدا للشعور الديني>>**.[1] فهو يرى عكس ذلك؛ فكلما كان الإنسان على درجة كبيرة من الوعي تعزز إيمانه بمعتقده وزادت ثقته بنفسه، فهو يرى أن العلم أبدا لم يكن يوما ليكون خطرا على الدين بل على العكسمن ذلك بل الإيديولوجيات والسلطات هي من تحاول أن تحرف معتقد الإنسان لصالحها من أجل أن تزعزع ثقة الإنسان في نفسه وتخرب أفكاره، فالإنسان حسب فروم أحوج ما يكون إلى الدين؛ فهو من سيرجع للإنسان هيبته وقداسته كإنسان، لذا نجد أن السلطات تركز على تحريف وتشويه الأديان حتى تضل صامدة على عروشها ومسيطرة على العقول، وهذا ما ينوه فروم إلى خطورته راجيا أن يستيقظ الإنسان المعاصر من سباته وأن يعيد إليه الأمل في الحياة، فالإنسان هو من سخر نفسه للآلة الصناعية التي صنعها بيده، فهو من اهتم بالنجاح والكفاءة على حساب سعادته الروحية، ويرى فروم أن للدين دور كبير في حياة الإنسان وإصلاحها لذا يعتقد أن الدين يستطيع أن يقتسم وظيفته مع العلم في فهم الطبيعة وتطويرها، فالجزء الذي اكتشفه العلم وتوصل إليه وإلى اكتشاف حقائقه ما هو إلا نصف الطريق والنصف الثاني هو الدين، ولطالما كانت الاكتشافات العلمية التي يعجز الإنسان عن إيجاد تفسير لها فيلجأ إلى الدين في تفسيرها.

ويرى فروم أن الدين يمتلك حلول لمشاكل الوجود الإنساني، فالدين هو الذي يولد القدرة على الحب، وهو الذي يبعث بالراحة وهو الذي يجعل الإنسان سعيدا ويحس بالأمان ويمنحه القدرة على استخدام عقله ويبث فيه التواضع لتواصل مع الآخرين ومع الواقع وحتى مع نفسه، فهو يرى أن هدف الأديان أن يكون الإنسان منتجا مع احترام إنسانيته وأن يكون محبا متواضعا، وأن ينفتح الإنسان على إنسانيته وقدراته الخاصة "العقل والحب" وبهذا يعيش الإنسان حالة من الانسجام مع ذاته والانسجام مع العالم.

وعليه فإن هناك اتصل كبير وقوي بين الدين والقيم، فالدين عند فروم يعبر عن مجموعة الأفكار والمبادئ التي توجه أفعال الإنسان واهتماماته، ومن أهم ما يسعى الدين إلى تكريسه هو فكرة القيم والاعتقادات المعقولة؛ هذا من الجانب العقلي للدين الذي ركز عليه فروم لأنه هو من يؤسس نسق القيم

[1] إريك فروم: الدين والتحليل النفسي، ص 91.

في المجتمع، وعن طريق الدين تتصل غايات الإنسان العامة بالقيم، فمن خلال الدين يمكن أن يمارس الإنسان نوعا قويا من الضبط على السلوك الإنساني، والذي يوّجه في نفس الاتجاهات المدعمة للبناء الاجتماعي والنفسي ويمتثل للغايات والقيم الإنسانية.

ثانيا: دور القيم الأخلاقية عند فروم

إن الأخلاق التي يسعى فروم إلى غرسها هي الأخلاق الإنسانية التي تجعل الإنسان هو معيار القيم كلها ولا دخل للسلطات فيها لأنه يريد تحرير الإنسان من الخضوع لكل الهيمنات والإيديولوجيات التي أفرغت الإنسان من كل المبادئ وجعلته مجرد تابع فاقد للهوية وفاقد لنفسه، يحاول فروم هنا أن يخلص الإنسان من الأوهام التي سيطرت عليه في ضل النظام الرأسمالي والذي منع الإنسان من صنع قراراته، فأخذ يحدد هو المعايير والمبادئ التي ينبغي للإنسان أن يلتزم بها وفقا لما يتماشى مع مصالحها، يقول فروم **<<فلسفة الأخلاق الإنسانية... تقوم على مبدأ أن الإنسان نفسه هو وحده الذي يمكن أن يحدد مقياس الفضيلة أو الإثم، وليس السلطة التي تتجاوزه... والمقياس الوحيد للقيمة الأخلاقية هو حسن حال الإنسان>>**،[1] فالأخلاق الإنسانية هته هي كردّة فعل على أخلاق السلطة التي تحاول أن تمحو الكيان الإنساني وفق مبدأ الهيمنة والسيطرة، وذلك من خلال تخدير عقله بواسطة الأوثان التكنولوجية وكذلك الخوف، كما ينتقد فروم أخلاق السلطّة الكنسية التي هيمنت على الإنسان لفترة طويلة من الزمن وفلسفة الأخلاق الإنسانية هي **<<العلم التطبيقي لفن العيش القائم على علم الإنسان النظري>>**[2] ومن هنا فإن إريك فروم يسعى إلى تحقيق الرضا بين الإنسان والواقع، ويرى فروم أن الفضيلة هي ميزة فن الحياة وعليه فإن حياة الإنسان ينبغي أن تكون متناسبة مع ما يمتلكه الإنسان، أي أن يعيش في حدود طاقته؛ لا أن يصبح إنسان مجتر تقوده الأهواء الصناعية التي كبلته بها قيود الرأسمالية، ويرى فروم أن مفهوم الحياة هو أمر من البساطة بما كان وليس كما أصبح ينظر إليه إنسان الحداثة، على أن الإنسان ينبغي أن يعيش وفق فنون تتناسب والعصر التقني بل الحياة لا تتطلب ذلك المجهود الكبير فلكل إنسان طريقته في ممارسة الحياة، ولذلك يقول فروم **<<فإن هدف حياة**

[1] إريك فروم: الإنسان من أجل ذاته، ص 47.

[2] نفسه، ص 53.

الإنسان يجب أن يفهم على أنه كشف قدراته وفقا لقوانين طبيعته>>[1] فالأخلاق ينبغي أن تكون نابعة من الوجود الإنساني وطبيعة الحياة من أجل تحمل المسؤولية اتجاه الحياة والوجود عامة.

كما يعتبر فروم أن القيم الاجتماعية الروحية ليست وحدها الكفيل بإصلاح المجتمع المعاصر ومن هنا نجده يسعى إلى تعميم الأخلاق، فهو يسعى إلى توحيد الإنسانية من خلال برنامجه القيمي، يقول فروم **<<ليس هناك أي شك في كون العالم الموحد في طريق البناء>>**[2] ونجد هنا أن فروم يسعى إلى توحيد المجتمعات من أجل الوصول إلى مجتمع إنساني قوامه الأمل والدين والأخلاق والمحبة، وهومن أجل ذلك يطالب بتغيير المعتقدات السائدة في ظل هذا العالم المزيف وإدخال تخطيط إنساني وتنشيط فعاليات الفرد الروحية والمادية، وهو يسعى إلى إقامة سرح أخلاقي شامل لكل الشعوب والمجتمعات ويلغي سيادة مجتمع على آخر أو تحكم شعب في آخر باسم حقوق الإنسان وغيرها، فهو يرغب في أن يصبح المجتمع إنسانيا وذلك بالقضاء على المفاهيم السلبية ويسعى إلى إلغاء الأخلاق القبلية التي تحكم لمجتمع على حساب آخر، وتحرير الشعوب الضعيفة من الشعوب القوية من أجل أن يعامل الإنسان كإنسان.

ويرى فروم أن الإنسانية ليست في حاجة إلى إعادة بناء منظومة قيمية جديدة، بل فقط إحياء القيم الأخلاقية التي جاءت في الدين الحقيقي الغير مزيف من طرف الكنائس وهنا يقول فروم **<<لسنا في حاجة إلى مثل أو أهداف روحية جديدة وقد نادى المعلمون الكبار للجنس البشري بمعايير العيش السوي>>**[3] فهو يرى أن الإنسان المعاصر لا يحتاج إلى منظومة قيمية جديدة بل على العكس من ذلك فإن النظريات الأخلاقية في ظل هذا المجتمع كثيرة؛ بل وأن الإنسان المعاصر يعيش في زخم النظريات الأخلاقية وانتشارها بكثرة، وأن ما يحتاج إليه الإنسان المعاصر هو تطبيق لهذه النظريات لا أكثر، فإن دروس الوعظ كثيرة، فالإنسان المعاصر حسب فروم يعرف أنه ينبغي الإصلاح بل وكذلك يعرف أنه ينبغي الجدية والإخلاص في إصلاح المجتمع والنهوض به، ويرى كذلك أن المدارس اليوم زاخرة بتعاليم الرقي بالحضارة الإنسانية، لذا يؤكد فروم على **<<ضرورة التخلص من الفصل**

[1] إريك فروم: الإنسان من أجل ذاته، ص 54.

[2] إريك فروم: الإنسان المستلب وآفاق تحرره، ص 115.

[3] إريك فروم: المجتمع السوي، ص 470.

المؤذي بين المعرفة النظرية والمعرفة العلمية لأن هذا الفصل هو عينه جزء من اغتراب العمل>>.[1]

وهنا نفهم أن فروم كذلك يسعى إلى إصلاح المنظومة التعليمية والتربوية لأجل إنشاء جيل إنساني قادر على تحمل المسؤولية ويؤكد فروم على أن المجتمع السوي لا يمكن أن يبنى في ظل الفصل بين الجانب النظري والجانب العلمي.

ويحدد فروم مجموعة من النقاط الأساسية التي تميز الإنسان الجديد في ظل برنامجه الأخلاقي:

- الاستعداد لنبذ التملك بكل أشكاله لكي يحقق كينونته.
- الإحساس بالأمان وتكامل الشخصية والثقة القائمة كلها على الإيمان بكينونته وبحاجته للانتماء والشغف والحب والتكافل مع العالم المحيط به، لا شهوة التملك والاستحواذ واحتواء العالم، ومن ثم التحول إلى عبد لمقتنياته[2].
- القبول بحقيقة أن لا شيء خارج الإنسان ذاته، ولا أحد غير الإنسان ذاته يستطيع أن يعطي الحياة معنى وإنما الشرط الواجب توفره لجعل الحياة مليئة نشيطة مكرسة للرعاية والمشاركة هو التجرد والاستقلالية الخالصة.
- الحضور الكامل حيث يتواجد الإنسان ويكون.
- الفرحة التي تغمر الإنسان حيث يعطي ويشارك وليس حيث يستغل ويكتنز.
- محبة الحياة واحترامها في كل مظاهرها وتجلياتها وذلك على ضوء اليقين بأن لا قداسة للأشياء أو السلطة وكل مالا روح فيها للحياة.
- محاولة الحد من الشراهة والكراهية والأوهام بقدر الإمكان.
- الحياة بغير عبادة الأصنام والأوهام لأن الإنسان وصل إلى حالة تتطلب الاستعانة بالأوهام.
- تنمية قدرة الإنسان على الحب مع تنمية قدرته في الوقت نفسه على التفكير النقدي غير الانفعالي ونبذ عشق الذات النرجسية.
- اعتبار النضج الكامل للذات وللجماعة وهو الهدف الأسمى للحياة.

[1] إريك فروم: المجتمع السوي، ص 471.

[2] إريك فروم: الإنسان بين المظهر والجوهر، ص 161، 162.

- معرفة أنه من أجل تحقيق الهدف يجب الانضباط واحترام الحقيقة.
- تنمية خيال الإنسان لا كوسيلة للهروب من الظروف غير المحتملة وإنما كاستشراف لإمكانيات الواقع للمستقبل.
- الحرية ليس بمعنى الاختيار التحكمي وإنما بمعنى أن يكون الإنسان تحقيقا لذاته كبناء قائم على توازنات حساسة.
- معرفة أن الشر والنزوع إلى التدمير ليس إلا نتيجة الإخفاق في اختيار سبل النمو والنضج.[1]

ومن هنا نستطيع أن نقول عن فلسفة فروم أنها امتازت بطابع الموسوعي وذلك لتشابك وتمازج أفكاره بين الطابع السيكولوجي الاجتماعي والطابع الفلسفي وكذلك من خلال دمجه بين الأفكار النفسية والاجتماعية.

وتعتبر كذلك فلسفة فروم فلسفة إنسانية بالدرجة الأولى، فقد حاول فروم أن يعيد بناء القيم الإنسانية من خلال إعادة بعث النزعة الإنسانية ومحاولة إحيائها وذلك للنهوض بالقيم وإحياء كرامة الإنسان من جديد خاصة وأن الإنسان في ظل المجتمع المعاصر أصبح يقدس الآلة والتقنية، وبهذا أصبح غريبا عن نفسه وعن العالم.

حاول فروم أن يحدث تغير في المجتمع عن طريق تحرير أفراده من كل القيود التي تحول بينهم وبين الوصل إلى إنسانية أكثر إنسانية وتخليصهم من الهمجية كما أنه سعى إلى الحد من طغيان المجتمع الغربي خاصة الأمريكي والصهيوني الذي أصبح يتباهى بقوته ويهيمن بها على الشعوب المستضعفة.

سعى فروم إلى إعادة إحياء الجانب الروحي في الإنسان والذي سيطرت عليه اقتصاديات السوق داخل المجتمع الغربي، حيث استغلت الشعوب المنتجة الجانب الروحي ووظفته لاستلاب الإنسان حتى في الجانب الروحي فكل شيء كيفما كان قابل للتسويق والترويج والبيع فقد استطاعت توظيف المقدس من أجل إحكام السيطرة على الجانب الروحي في الإنسان وهذا ما حاول فروم أن يقلل من حدته.

نجد كذلك أن فروم يرى بوجود مبدأ الامتلاك وكذلك مبدأ الوجود فهو لا ينفي الأول لأن كلا القطبين في نظره ينتميان إلى الطبيعة الإنسانية وفن الحياة الذي ينادي به فروم هنا هو المحافظة على توازن بين المبدأين.

[1] إريك فروم: الإنسان بين المظهر والجوهر،ص 162.

طالب فروم بالتغير على المستوى الفردي من أجل التغيير المجتمع وهذا يعني قبل كل شيء تحمل المسؤولية من قبل كل فرد، مسؤولية لا تفترض فقط حرية كل فرد بل أيضا الوعي والرغبة من أجل العمل على تحقيق هذا المشروع الإنساني الفرومي والذي يتمثل في تحرير الإنسان من كل القيود من أجل إيجاد حلول للمشاكل التي أفرزها التطبيق المكثف لمبدأ الامتلاك على حساب مبدأ الوجود.

خاتمة:

بعد تحليل ومناقشة عناصر وأفكار الإشكالية الأساسية عبر مختلف فصول هذا البحث توصلت إلى مجموعة من النتائج التي أوجزها في النقاط التالية:

-برّر ريك فروم ربطه بين النظرية الاجتماعية عند ماركس والنظرية النفسية لدى فرويد من خلال أن قضية الفرد مركزية في كلا المذهبين، أما عن الاختلاف فهو يكمن في القوى المحركة وراء سلوك الفرد، فهي عند ماركس ذات طبيعة اجتماعية وعند فرويد نظام بيولوجي وعلى هذا النحو فإن فروم يسعى إلى إيجاد وحدة بين التحليل النفسي والماركسية بإعطاء علم النفس الفرويدي مضمونا اجتماعيا وعلم الاجتماع الماركسي مضمونا نفسيا.

-تكمن أهمية فلسفة إريك فروم في أنها مثلت إحدى أهم الاتجاهات النقدية في الفلسفة الاجتماعية المعاصرة، فقد حاول أن يكشف عن الضغوط القاهرة التي هيمنت على الإنسان في ظل المجتمع المعاصر، خاصة في إطار النظام الرأسمالي والتي تسببت في وجود الاغتراب بأشكاله المختلفة، فقد حاول فروم من خلال نقده لهذا المجتمع أن يقدم احتجاج أخلاقي على الواقع الذي آل إليه الإنسان المعاصر محاولا أن يعالج البؤس الذي يعيشه .

-كذلك قدم فروم جملة من الانتقادات إلى النظرية الفرويدية الكلاسيكية التي انصبت على التعلق بالمجتمع الأبوي وهذا ما يظهر جليا في نظرية الدوافع الغريزية التي شهدت تقلبات من محتوى قديم إلى أخر جديد لكن دون جدوى.

-حاول فروم أن يظهر دور المجتمع في التأثير على شخصية الفرد من الجانب الايجابي والسلبي وإبراز دوره كذالك في إحداث الأمراض النفسية والشذوذ النفسي لدى الكثير من أفراد المجتمع، لذا حاول أن يصلح المجتمع الغربي من خلال ربط القيم الإنسانية داخل المجتمع، وسعى إلى ترسيخ قيم الحب والتواصل و إلغاء الفوارق الاجتماعية وتكريس روح الجماعة وإلغاء هيمنة الآلة وهذا لا يكون إلا من خلال تغيّر المجتمع المريض على يد محللين نفسانيين بإتباع أساليب علاجية وذلك بغية التربية القيمية الخلقية للشخصية المرضية.

واعتبر فروم الشخصية الاجتماعية وسيط بين البنية الاجتماعية والاقتصادية والأفكار وأيضا المثل العليا التي تسود مجتمع ما، واهم عملية تساهم في تشكيلها هي الأسرة باعتبارها وكالة نفسية للمجتمع.

-من خلال دراسة فروم لفرويد والذي يعتبر مرتكز هام لفلسفته نجد أن فروم حاول أن يطور نظريته في التحليل النفسي وذلك لفهم المجتمع المعاصر وعلى خلاف فرويد الذي ركز نقده للمجتمع على القمع الجنسي نجد إريك فروم حاول من خلال نظريته فهم شخصية الإنسان في إطارها الاجتماعي كما سعى إلى تطوير طرق العلاج النفسي .

-سعى فروم من خلال أعماله في المجال الاجتماعي والنفسي أن يقدم نموذج إرشادي لإصلاح المجتمع المعاصر من خلال دراسته للطبع الاجتماعي، وهذا من خلال طبع الجماعة وسلوك الفرد بما ينسجم مع الأنّموذّج الذي يقدمه المجتمع، فقد حاول فروم أن يغير المجتمع نحو الأفضل وذلك بتحرير الفرد من كل القيود التي تحول دون الوصول إلى إنسانية أكثر.

-سعى فروم أن يعيد للإنسان كرامته من خلال دراسته للجانب الروحي وإعطائه أهمية كبيرة لإنقاذ الإنسان من الاستلاب وتكريس مبدأ الوجود على مبدأ الملكية حيث أن الإنسان المعاصر أصبح بمثابة سلعة تباع وتشترى علاوة على أن الآلة سيطرت عليه بعد أن صنعها هو بيده، وكذلك نجد أن فروم يحاول أن يخلص الإنسان من الأوهام و الأوثان والخضوع للآلهة المجهولة والتبعية التي هيمنت على فكر الإنسان المعاصر .

-طالب فروم بالتغيير على المستوى الفردي بداية من الذات الإنسانية للوصول إلى المجتمع وهذا يعني قبل كل شيء أن يتحمل كل فرد المسؤولية اتجاه نفسه ومن ثم اتجاه العالم ككل.

- كما أن فروم قد حاول أن يقدم البديل من خلال العدالة الاجتماعية وذالك من خلال نزعته الإنسانية التي تنادي بالمساواة، فهو يرى إن الإنسان ليس بضاعة وإنما هو المحور المركزي لاهتمامات النزعة الإنسانية.

-حاول فروم إصلاح الأبعاد الإنسانية الثلاث وهي البعد الفردي {النفسي} البعد الاجتماعي والبعد الإنساني من أجل النهوض بالإنسان والإحساس بالهوية وإنماء الحرية.

-يعتبر مشروع الأمل الذي حاول به فروم إيقاظ الإنسان من سباته مشروع للنهوض بالحياة وإصلاح الأوضاع النفسية للإنسان وإخراجه من هيمنة الإيديولوجيات والسلطات، كما سعى إريك فروم إلى عقلّنة المجتمع التكنولوجي من خلال التربية النفسية للإنسان، وقدم فروم في مشروعه الأمل رؤية جديدة للإنسان المعاصر أساسها الأمل والإيمان وتحطيم الأوثان وبعث ثقافة روحية لينعش بها الإنسان فكره بعيدا

عن الأغاليط التي سادت المجتمع التكنولوجي الراهن والتي قضت على روح الإنسان ونفسيته حيث أصبح الإنسان لا يعرف نفسه في ظلها.

-يسعى فروم إلى تغيير اجتماعي من خلال القيم الأخلاقية وذلك بالعودة إليها وتجديد القيم الإنسانية والتغيير الداخلي أي الجانب الروحي وذلك بتقدير الإمكانات الإنسانية لدى الإنسان كفرد ولدى المجتمع من أجل إحداث ولادة جديدة .

-قدم فروم مجموعة من الحلول حاول من خلالها إعادة بناء المجتمع وبعث الروح فيه من خلال بعث النزعة الإنسانية وإيقاظ الإنسان وتجديد الوعي الحقيقي وقد أعاد فروم تجديده للنزعة الإنسانية الكلاسيكية وذالك من أجل إعادة البناء الاجتماعي في المستقبل.

-ومن هنا فإن فروم سعى من خلال هذه النقاط إلى إصلاح النفس الإنسانية والتي تمكن الإنسان من التغلب على الأمراض النفسية التي طغت على الإنسان المعاصر وهو ما سيساعده على العودة إلى إنسانيته والقضاء على الأفكار والهواجس التي هيمنت عليه، ومنه فإن التغلب على تلك الأمراض لا يكون إلا بالتمسك بالقيم الدينية والأخلاقية والتي بها سيتمكن من القضاء على العزلة والعدوان وحتى النرجسية .

ما نستطيع قوله في ختام هذا البحث، أن هذا التوجه الجديد في حقل العلوم الإنسانية والاجتماعية يعد محاولة لفهم الحياة الإنسانية بجانبيّها الاجتماعي والنفسي والتي من خلالها سعى فروم إلى تكريس القيم الروحية الإنسانية التي يمكن من خلالها النهوض بالمجتمع إنساني أساسه القيم الإنسانية بالدرجة الأولى.

قائمة المصادر والمراجع:

أولا: قائمة المصادر:

1- المصادر بالعربية

1-إريك فروم: الإنسان بين المظهر والجوهر، ترجمة سعد زهران، مراجعة: لطفي فطيم، عالم المعرفة،العدد140، يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والأدب، الكويت، 1987.

2-ـــــــــ: المجتمع السوي، ترجمة محمود منقذ الهاشمي، ط1، 2009.

3-ـــــــــ: المجتمع السليم، تعريب محمود محمود، مكتبة الانجلو مصرية، القاهرة، 1960.

4-ـــــــــ:ثورة الأمل نحو تكنولوجيا مؤنسنة، ترجمة مجاهد عبد المنعم مجاهد، مكتبة دار الكلمة للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 2010.

5-ـــــــــ: مفهوم الإنسان عند ماركس، ترجمة محمد سيد رصاص، دار الحصاد للنشر والتوزيع، سورية ط1، 1998.

6-ـــــــــ: الإنسان من أجل ذاته بحث في سيكولوجية الأخلاق، ترجمة محمود منقذ الهاشمي،ط1 2007.

7-ـــــــــ: مساهمة في علوم الإنسان الصحة النفسية للمجتمع المعاصر، ترجمة محمد حبيب، دار الحوار للنشر والتوزيع، سورية، ط1، 2013.

8-ـــــــــ: الخوف من الحرية، ترجمة مجاهد عبد المنعم مجاهد، المؤسسة العربية للدراسات والنشر،ط1 1972.

9-ـــــــــ: ماوراء الأوهام، ترجمة صلاح حاتم، دار الحوار للنشر والتوزيع، سورية، ط1، 1992.

10-ـــــــــ: الإنسان المستلب وأفاق تحرره، ترجمة حميد لشهب، تقديم: راينر فونك، شركة نداكوم للطباعة والنشر، 2013.

11-إريك فروم: أزمة التحليل النفسي، ترجمة طلال عتريسي، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر،بيروت، ط1، 1988.

12-ـــــــــ: الدين والتحليل النفسي، ترجمة فؤاد كامل، مكتبة غريب، الاسكندرية، 2003.

13-ـــــــــ: تشريح التدميرية البشرية، ج1، ترجمة محمود منقذ الهاشمي، منشورات وزارة الثقافة في الجمهورية العربية السورية، دمشق، 2006.

14-ـــــــــ: تشريح التدميرية البشرية، ج2، ترجمة محمود منقذ الهاشمي، منشورات وزارة الثقافة في جمهورية سورية، دمشق، 2006.

15-ـــــــــ: فن الإصغاء-دراسة- ترجمة محمود منقذ الهاشمي، إتحاد كتاب العرب، دمشق، 2004.

16-ـــــــــ: فن الحب في طبيعة الحب وأشكاله، ترجمة مجاهد عبد المنعم مجاهد، دار العودة، بيروت 2000.

17-ـــــــــ: مهمة فرويد-تحليل لشخصيته وتأثيره-، ترجمة طلال عتريسي، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط2، 2002.

18-إريك فروم وأخرون: بوذية الزن والتحليل النفسي، ترجمة محمود منقذ الهاشمي، أزمنة للنشر والتوزيع عمان، الاردن، ط1، 2006.

2- المصادر بالأجنبية:

1- From: the sane society holt ,rinehart and winstion, new york, eleventh printing, 1962.

ثانيا: قائمة المراجع.

1- قائمة المراجع بالعربية

1-أحمد قصير: منهجية علم الاجتماع بين الماركسية والوظيفية والبنيوية، الهيئة المرية العامة للكتاب، القاهرة، ط2، 1985.

2-أفانا سيف: أسس الفلسفة الماركسية، ترجمة عبد الرزاق الصافي، دار الغرابي، بيروت، ط3، 1987.

3-آلن هاو: النظرية النقدية مدرسة فرانكفورت، ترجمة ثائر ديب، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ط1، 2010.

4-آلان تورين: براديغما جديدة لفهم عالم اليوم، ترجمة: جورج سليمان، مراجعة سميرة ريشا، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط1، 2011.

5-إدغاريش: فكر فرويد، ترجمة: جوزيف عبد الله، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت،ط1، 1986.

6-بول ريكور: في التفسير محاولة في فرويد، ترجمة وجيه اسعد، أطلس للنشر والتوزيع، سوريا، ط1 2003.

7-جميل صليبا: علم النفس، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط3، 1984.

8-جون بودريارد، إدغار موران: عنف العالم، ترجمة: عزيز توما، تقديم إبراهيم محمود، دار الحوار للنشر والتوزيع، سوريا، ط1، 2005.

9-حسن حماد: الإنسان المغترب عند إريك فروم، مكتبة دار الكلمة، القاهرة، ط3، 1987.

10-د، ت سزوكي: التصوف البوذي والتحليل النفسي، ترجمة ثائر ديب، تقديم وفيق خنسة، دار الحوار للنشر والتوزيع، سورية، ط2، 2009.

11-روجي غارودي: البنيوية فلسفة موت الإنسان، ترجمة جورج طرابيشي، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، 1996.

12-زكريا إبراهيم: مشكلة الإنسان، مكتبة مصر، دار مصر للطباعة والنشر، دط، دت.

13-كارل ماركس: مخطوطات عام 1844 الاقتصادية والفلسفية، ترجمة محمد مستجير مصطفى، دط، دت.

14-كمال بومنير: مدرسة فرانكفورت من ماكس هوركهايمر الى اكسل هونيث، الدار العربية للعلوم ناشرون، منشورات الاختلاف، ط1، 2010.

15- محمد سبيلا: مدارات الحداثة، الشبكة العربية، للابحاث النشر، بيروت، ط1، 2009.

16-فاخر عاقل: مدارس علم النفس، دار العلم للملايين، بيروت، ط1، 1968.

17-فارس كمال نظمي: الحب الرومانسي بين الفلسفة وعلم النفس، دار فارس للطباعة والنشر، العراق، ط1، 2008.

18-فريق من الباحثين: علم النفس وميادينه ممارسة علم النفس ونقده، ترجمة وجيه اسعد، الدار المتحدة، سوريا، ط2، 2005.

19-فريق من الباحثين:علم النفس وميادينه من فرويد إلى لاكان ممارسة علم النفس ونقده، ترجمة وجيه اسعد، الدار المتحدة، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2، 1993.

20-فيصل عباس: الفلسفة والإنسان جدلية العلاقة بين الفلسفة وعلم النفس، دار الفكر العربي، بيروت دط.

21-ـــــــــــ: التحليل النفسي والاتجاهات الفرويدية المقاربة العيادية، دار الفكر العربي، بيروت، ط1 1996.

22-ـــــــــــــ: الفرويدية ونقد الحضارة المعاصرة، دار المنهل اللبناني للطباعة والنشر، بيروت، ط1 2005.

23-ـــــــــــــ: العلاج النفسي والطريقة الفرويدية النظرية التقنية والممارسة، دار المنهل اللبناني للطباعة والنشر، بيروت، ط1، 2005.

24-فيل سلتر: مدرسة فرانكفورت نشأتها ومغزاها-وجهة نظر ماركسية، ترجمة كلفت خليل، المجلس الاعلى للثقافة، ط2، 2004.

25-السيد أحمد القابنجي: مدارس علم النفس، المجلد1.

26-سيغموند فرويد: الأنا والهو، ترجمة محمد عثمان نجاتي، دار الشروق، القاهرة، بيروت، ط4، 1982.

27-سيغموند فرويد: الحب والحرب والحضارة والموت، ترجمة عبد المنعم الحنفي، دار الرشاد، القاهرة، ط1، 1992.

28-ـــــــــــــ: مختصر التحليل النفسي، ترجمة جورج طرابيشي، دار الطليعة للطباعة والنشر، ط1، 1981.

29-ـــــــــــــ: تفسير الأحلام، ترجمة نظمي لوقا، دار الهلال، 2001.

30-ـــــــــــــ:الموجز في التحليل النفسي، تقديم محمد عثمان نجاتي، ترجمة سامي محمود علي، عبد السلام قفاش، مراجعة مصطفى زيوار، إعداد سمير سرحان، محمد عناني، مكتبة الأسرة مراجع القراءة للجميع، مصر، 2000.

31-ـــــــــــــ:ثلاث مقالات في نظرية الجنس، ترجمة جورج طرابيشي، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ط1، 1981.

32-ـــــــــــــ: قلق في الحضارة، ترجمة جورج طرابيشي، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ط1 1988.

33-هربرت ماركيوز: فلسفات النفي دراسات في النظرية النقدية، ترجمة مجاهد عبد المنعم مجاهد، مكتبة دار الكلمة للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 2011.

34-هربرت ماركيوز: الإنسان ذو البعد الواحد، ترجمة جورج طرابيشي، منشورات الادب، بيروت، ط3 1988.

35-وليم ولامبرت، وولاس إلامبرت: علم النفس الاجتماعي، ترجمة سلوى الملا، مراجعة: محمد عثمان نجاتي، دار الشروق، القاهرة، ط1، 1989.

36-يورغن هابرماس، جوزيف راتسنغر: جدل العلمنة العقل والدين، تعريب حميد لشهب، جداول للنشر والترجة والتوزيع، الكويت، ط1، 2013.

2- المراجع بالأجنبية:

1- Rainer Funk: The clinical erich fromm, personal accounts and papers on therapeutic technikue, editions roodopi B, vn Amsterdam,Newyork,2009

ثالثا: المجلات:

1-جمال تالي، نور الدين تاوريرت: الاغتراب من الفكر الفلسفي إلى ما بعد الحداثة محاولة لتحليل مفهوم الاغتراب وأزمة الإنسان المعاصر، مجلة الحكمة للدراسات الفلسفية، العدد16، 2013.

2-جيلالي بو حمامة: دور النشاط الاجتماعي والمعرفي النمو الأخلاقي، مجلة ثقافية، العدد101.

خامسا الموسوعات والمعاجم:

1-الموسوعات:

1-نبيل موسى: موسوعة مشاهير العالم أعلام علم النفس وأعلام التربية والطب النفسي والتحليل النفسي ج2، دار الصداقة العربية، بيروت.

2-قاسم جمعة: إريك فروم نحو علم نفس تحليلي اجتماعي، موسوعة الأبحاث الفلسفية للرابطة العربية الاكاديمية للفلسفة؛ الفلسفة الغربية المعاصرة صناعة العقل الغربي من مركزية الحداثة إلى التشفير المزدوج، ج1، إشراف: علي عبود المحمداوي، تقديم: علي حرب، منشورات ضفاف، الرياض، ط1 2013.

2-المعاجم:

أندري لالاند: موسوعة لالاند الفلسفية، المجلد1، تعريب أحمد خليل، منشورات عويدات، بيروت، ط2 2001.

جميل صليبا: المعجم الفلسفي: ج1، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1982.

سادسا: الدراسات السابقة.

1-زروخي الدراجي: مشكلة المنهج في العلوم الإنسانية و الاجتماعية، رسالة دكتوراه غير منشورة، المدرسة العليا للأساتذة، بوزريعة، 2012.